

الربُّ الجميلُ الإلهيُّ عيسى

بصريح الإنجيل

لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي

تقديم ، تحقيق وتعليق
الدكتور محمد عبد الله الشقراوي
أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان المساعد
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

مكتبة الزهراء
بحرم جامعة القاهرة

دار الحبيل
بيروت

مكتبة المهتدين الإسلامية





جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

الرَّبُّ الْجَمِيلُ الْإِلَهِيُّ عَيْسَى

بصريح الإنجيل

لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي

تقديم ، تحقيق وتعليق
الدكتور محمد عبد الله الشرفاوي
أستاذ الفلسفة الإسلامية وعقائد الأديان المساعد
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة



مكتبة الزهراء
بحرم جامعة القاهرة

المفتدين

دار الحبيل
بيروت

شكر وتقدير

يسرني أن أسجل عميق شكري وتقديري إلى :

الأخ الأستاذ الدكتور : قاسم السامرائي ، بجامعة لايدن بهولندا ، والأستاذ
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - على ما أمدني به من معلومات قيمة ،
ومصورات نادرة ، وعلى مراجعته لأصول الطبعة الأولى من هذا الكتاب .

وأشكر الإخوة القائمين على شؤون المخطوطات في جامعتي الرياض ، والإمام محمد
ابن سعود الإسلامية ، على حسن تعاونهم .

المحقق



مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسل الله ، وعلى خاتمهم : محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد ٦

فإن من أكثر ما يدخل على نفس الكاتب - مؤلفاً أو محققاً - السرور والحبور ، هو أن يتقبل القراء المتخصصون ، والدارسون المهتمون نتاجه العلمى بقبول حسن . وقد هياً الله - بفضلہ وتوفيقه - ذلك للطبعة الأولى من نشرتنا لهذا الكتاب لتفيس ، فما أن ظهر الكتاب حتى تلقفه طلاب العلم ، واهتم به العلماء .. ونبهنى إخواني وأساتذتي إلى بعض النواحي التي تكمل الكتاب وتجمله ، فاستجبت إلى رغبتهم العلمية هذه ؛ شاكرًا لهم اهتمامهم ومتابعتهم .

كما أخبرني المستشرق « الدكتور فان بيتر شوردكو ننجز فيلد » مدير معهد العلاقات التاريخية بين المسلمين والنصارى بجامعة لايدن بهولندا ، أخبرني أنه قد قرأ الكتاب وأعد دراسة عنه يقارن فيها بين هذه النشرة ، ونشرة المستشرق الأب اليسوعي روبر شدياق وترجمته الكتاب إلى اللغة الفرنسية ، والترجمة العربية لهذه النشرة الفرنسية التي أنجزها الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمي ونشرها في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة .

وكان لزاماً عليّ أن أعيد النظر في عملي - في الكتاب - تهدياً وتنقيحاً - بالقدر الذي سمح به الجهد والوقت ؛ وعليه فأرجو أن تكون هذه الطبعة أكمل من سابقتها ، إن شاء الله تعالى .

ويسرنى أن أسجل شكرى العميق لأخى الكريم الدكتور محمد كمال الدين إمام على تفضله بمراجعة أصول هذه الطبعة والقيام على إخراجها بسبب سفرى خارج أرض

الكنانة ، وأشكر دار الهداية للنشر على حسن تعاونهم واحتفائهم بهذا الكتاب وغيره من
كتبي .

وأسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً مقبولاً ، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات .

محمد عبد الله الشرقاوى ٦ / ٤ / ١٤٠٦ هـ

١٨ / ١٢ / ١٩٨٥ م

مَقْدَمَةٌ الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، القائل في محكم كتابه :
﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ، ولا يزالون مختلفين ، إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ﴾

[هود : ١١٨ - ١١٩]

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلُّهم جميعاً ، أفأنت تُكفرُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين ﴾

[يونس : ٩٩]

﴿ وما أكثرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[يوسف : ١٠٣]

﴿ لا إكراه في الدين قد تبينَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ .

[البقرة : ٢٥٦]

والصلاة والسلام على رسل الله جميعاً ، وعلى خاتمهم محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذا كتاب الإمام أبي حامد الغزالي المسمّى : (الردُّ الجميل لإلهية عيسى بصرىح الإنجيل) .

يكشف عنوانه عن موضوعه بجلالة ، فالغزالي يرد فيه رداً جميلاً موضوعياً نزيهاً ،
يردُّ دعوى النصارى إلهية عيسى عليه السلام ، وقد اعتمد في رده هذا على ما جاء في
الإنجيل الذي في أيدي النصارى .. والذي يقدِّسونه ، ويجعلونه كتاب دينهم وحجتهم .
وإني إذ أنشر هذا الكتاب - محققاً تحقيقاً علمياً ، ومُصدِّراً بمباحث حرصت غاية
الحرص ، أن تكون وجيزة مختصرة ، حتى لا تستنزف جهد القارئ قبل أن يبلغ
غايته ، وحتى لا تؤثر عليه ، ولا تكون بمثابة توجيهات له ، وتعليمات ، يقرأ نصَّ
الغزالي من خلالها - لأستشعر أمانة العلم ، وواجب الدعوة ، والجدل بالتي هي
أحسن ... وذلك الذي دعاني إلى إخراج هذا الكتاب على الصورة التي تراها .
وأسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعل ما بذل فيه من جهد خالصاً لوجهه الكريم ،
مقبولاً عنده .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

د. محمد عبدالله الشرقاوى

الرياض في : ١٥ رجب ١٤٠٣ هـ

٢٨ أبريل ١٩٨٣ م

القسم الأول

مباحث موجزة
بين يدى كتاب « الرد الجميل »

الغزالي إمام مجتهد

يُعَدُّ الغزالي - دونما - جدال - واحداً من أبرز أعلام الفكر الإسلامي الذين كان لهم أثر عميق جداً في توجيه مسيرة الفكر الإسلامي ، وتصحيحها ، وإن كتابيه : (مقاصد الفلاسفة) و (تهافت الفلاسفة) ، ليمثلان - في رأينا - نقطة تحول هامة في الفكر الإسلامي ، الذي كادت الثقافة اليونانية وبعض الثقافات القديمة الأخرى ، آتخذ أن تطمس جانباً من ملامحه الذاتية ، أو تنعم على أصالة قسماته ، ليتميع . فيذوب ويتلاشى .

كانت وقفة الغزالي في « تهافت الفلاسفة » ثابتة جريئة ، وموضوعية ، وقد شاء الله - تعالى - أن تكون مؤثرة ، وأن تؤتي ثمارها .. وأن يبارك تلك الثمار !

لقد بلغ أبو حامد الغزالي ، بهذا الموقف ، وبغيره من المواقف ، أرفع مكانة بين الناس ، في حياته وبعد مماته ، كما أنه قد دُرس دراسة واسعة من موافقيه ومخالفيه على السواء ، ولقد غلا فيه البعض مدحاً أو قدحاً ، وجاوز فيه حد الاعتدال ، مع أن المنهج الإسلامي الرفيع ، في دراسة الأعلام والرواد - فضلاً عمّن سواهم - واضح أيّ وضوح :

فكل إنسان - عدا المعصوم ، عليه السلام - يؤخذ من كلامه ويترك ... يؤخذ منه ويرد عليه ... ورأيه صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيره خطأ لا يستحيل عليه الصواب .

والغزالي إما مفكر مجتهد ، لا يضره البتة ، ولا ينتقص منه أبداً ، ألا نقره على بعض اجتهاداته ، وألا نوافقه على جانب من آرائه ، لأن الأصل - مع الاجتهاد - أن تتعدد الآراء ، وتتويع النتائج .

والغزالي واحد من أولئك النفر الذين ليسوا بحاجة إلى التعريف بهم ، لأنهم معروفون عند العامة والخاصة على السواء ، وأى محاولة من هذا القبيل - بدون رأى - تعتبر من مكرّر القول ، يراد بها تكثير سواد الصحف ؛ دون فائدة تنفع ، أو جديد يُمتع . وعلى ذلك أسمح لنفسى بإيراد بعض الصور الكاشفة عن جوانب من حياته

صور من حياة الغزالي

الوقائع والمصادر

السنة الهجرية

- ٤٥٠ هـ (١) ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، حجة الإسلام وزين الدين ، في مدينة طوس ، ثاني مدينة في خراسان ، بعد نيسابور (ابن الجوزي وسبطه وابن كثير والسبكي ، وابن قاضي شهبة ، والعيني ، وياقوت ، وابن بطوطة) .
- قرأ شيئاً من الفقه في طوس ، على أحمد بن محمد الراذكاني (الصدفي السبكي ، العيني) .
- سافر إلى جرجان ، إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي ، وعلق عنه « التعليقة » في الفقه (السبكي) .
- رجع إلى طوس (السبكي) .
- قدم نيسابور ، ولازم الإمام الجويني ، ومن زملاء دراسته على الجويني حيثئذ : الكيا الهراسي ت ٥٠٤ هـ (ابن عساكر ، ابن الجوزي ، السبكي) .

٤٧٨ هـ توفي الإمام الجويني ، ثم خرج الغزالي إلى معسكر نظام الملك ، فناظر الأئمة وقهرهم ، ولقى التعظيم من نظام الملك (ابن عساكر الذهبي ، الصدفي) .

٤٨٤ هـ توجه للتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بتكليف من نظام الملك
(ابن عساكر . الذهبي ، الصفدى ، السبكي) .

٤٨٥ هـ قُتِلَ نظام الملك على يد شاب من الباطنية .

٤٨٦ هـ أفتى ليوسف بن تاشفين بحقه فى عزل الأمراء العصاة
أو ٤٨٧ هـ (ابن خلدون) .

٤٨٧ هـ شهد الاحتفال ببيعة الخليفة المستظهر بالله .

٤٨٨ هـ بدأت أزمته الروحية ، التى استمرت ستة أشهر (المنقذ من
الضلال) .

- ترك التدريس بنظامية ببغداد ، وانقطع للعبادة (ابن كثير والصغرى ،
ابن عساكر ، ابن الجوزى ، وسبطه ، والذهبي ، والسبكي) .

- خرج إلى الحج ، واستتاب أخاه للتدريس بنظامية بغداد على قول من
يجعلون حجه قبل رحيله إلى دمشق ، (ابن عساكر ابن الجوزى ،
وسبطه ، والذهبي)

- الغزالي - فى المنقذ - ينص على أنه رحل إلى دمشق ثم بيت المقدس
والخليل ، ثم حج .

٤٨٩ هـ قدم دمشق وأقام بها مدة قصيرة .

- رحل إلى بيت المقدس ، وبدأ فيها تأليف كتاب الإحياء ، ثم أتمه فى
دمشق (ابن الجوزى) .

- هنا تقع الرواية القائلة بأنه زار مصر ، قال الصفدى : « قصد مصر
وأقام بالإسكندرية مدة ، ويقال إنه عزم على ركوب البحر للاجتماع
بالأمير يوسف بن تاشفين ، صاحب مراکش ، ... فبلغه نعى
المذكور ، فعاد إلى وطنه بطوس » .

وقال السبكي : « ففارق دمشق ، وأخذ يجول فى البلاد فدخل منها
إلى مصر ، وتوجه منها إلى الاسكندرية فأقام بها مدة » .

وقال العيني : « ثم قصد مصر ، وأقام بالإسكندرية مدة » .

مرَّ ببغداد في طريقه إلى خراسان ، وفيها اجتمع بأبي بكر ابن العري ، في جمادى الآخرة (القواصم والعواصم) ، ولم يقيم طويلاً ببغداد ؛ بل مضى منها إلى خراسان ، ودرّس مدة بطوس ، ثم ترك التدريس والمناظرة ، واشتغل بالعبادة وأثر العزلة ، ودام على هذه الحال قرابة تسع سنين (المنقذ) .

- وحدثت في هذه الفترة أحداث هامة منها ثورة الباطنية وفضائعتها ، وانشغال فخر الملك بقتالهم ، وكذلك حوادث الاغتيال المتتالية للأمراء في خراسان .

- أثّرت هذه الأحداث - إلى جانب حاجات العيال وضرورات المعاش - في وجه مراده وشوّشت صفوه .

عَمِنَ سنجر ، فخرَ الملك على بن نظام الملك وزيراً له في خراسان ، فآلَحَ عليه أن يعود إلى التدريس ، فلم يجذْ بدءاً من الإذعان ، وعاد إلى التدريس في نظامية نيسابور .

- ثم ترك التدريس وعاد إلى بيته ، واتخذ في جواره مدرسة وخانقاه للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف الحاضرين : من تحتم القرآن ومجالسة ذوى القلوب : (عبدالغافر الفارسي) .

(يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة - ١٨ ديسمبر ١١١١ م : توفي أبو حامد الغزالي بطوس ، ودفن بظاهر قسبة الطابران ، ولم يعقب إلا البنات (ابن عساكر ، ابن الجوزي ، وسبطه ، الصفدى ، الذهبى ، ابن كثير)^(١))

(١) د، عبدالرحمن بدوى : مؤلفات الغزالي : ط ٢ ص ٢١-٢٥ ، الكويت .

أهمية البحث في مقارنة الأديان

(أ) القرآن الكريم ومقارنة الأديان :

قدم القرآن الكريم الدرس المنهجي الموضوعي الأول ، في مجال مقارنة الأديان ، ولقد حفل القرآن الكريم ، بالحديث المفصل المستوعب عن الأديان والعقائد والملل والنحل والمذاهب المختلفة المتنوعة ، وعرض مقالاتهم بدقة واستقصاء ، ثم ناقشها وبين وجوه الزلل والخطأ والبطلان والزيف فيها ، وقارن بينها وبين الدين الصحيح الذي أرسل الله به رسله ، عليهم الصلاة والسلام .

وعلى سبيل المثال ، انظر كيف يسوق القرآن العظيم ، مقالة الملاحدة الدهريين بتامها ، فيقول على لسانهم :

﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾^(١)

كما يسوق قول الذين أنكروا البعث والحياة الآخرة :

﴿ هيئات هيئات لما توعدون ، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾^(٢) .

﴿ بل قالوا مثل ما قال الأولون . قالوا إذا أمنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ! لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾^(٣) .

(١) سورة الجاثية : ٢٤ .

(٢) المؤمنون : ٣٦ .

(٣) المؤمنون : ٨١-٨٣ .

كما تحدث القرآن الكريم عن اليهود والنصارى ، وفصل مقالاتهم واعتقاداتهم ومذاهبهم ، ولم يعالجها متعجلاً في نص أو نصين ، وإنما جاء فيها بفيض غزير زاهر ، يتناولها من أقطارها ، ويكشف كل خباياها وأبعادها ... وعلى سبيل المثال ، فإن الحديث عن بنى إسرائيل جاء في القرآن الكريم ، من أكثر المسائل نصوصاً ، بعد العقائد .. تحدث القرآن العظيم في المكي منه والمدني ، على سواء ، وفي السبع الطوال وما بعدها من المثاني والمئين ، والمفصل ، وتناولهم بالآية المفردة وبالجملة المتصلة من الآيات (١) .

(ب) مقارنة الأديان في تراثنا الإسلامي :

اهتم العلماء المسلمون - بتأثير مباشر من القرآن الكريم - اهتماماً بالغاً بدراسة أديان الأمم وعقائدها وطقوسها ، وعقدوا لهذا الغرض كتباً مفردة ، أو فصولاً مطولة في مصنفاتهم كالمسعودي (٢) وابن خلدون ، اللذين كانا على علم واسع بكل ما يتعلق باليهودية والنصرانية وفرقهما المختلفة ، بل إن بعض العلماء المسلمين كان فقيهاً في التوراة والإنجيل ، أمثال كمال الدين بن يونس الشافعي ، الذي قال فيه ابن خلكان : « إن أهل الذمة من اليهود والنصارى ، كانوا يقرأون عليه التوراة والإنجيل ، فيفسرهما لهم ، وكانوا يعترفون بأنهم لا يجدون من يوضحها لهم مثله .

ثم هناك البيروني ، الذي يتحدث عن اليهودية في كتابه : (الآثار الباقية من القرون الخالية) ، وعن الهندوكية وأديان الهند في كتابه : (ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة) بدقة ونزاهة عميقتين .

ولقد كتب في الأديان والمذاهب كل من : أبي الحسن الأشعري في : « المقالات » ، والشهرستاني في : « الملل والنحل » ، وابن حزم في : « الفصل في الملل والنحل » ، والبغدادى في : « الفرق بين الفرق » .

ولقد كتب الجاحظ رسالة في الرد على النصارى ومناقشتهم في عقائدهم ، نشرها

(١) د. عبدالستار فتح الله سعيد : معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٦٩-٧٠ طبعة القاهرة بدون تاريخ .

(٢) له كتاب مفقود يطلق عليه : المقالات في أصول الديانات .

(فنكل)^(١) . وكتب الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي رسالة في الرد على النصارى ، وهى رسالة مفقودة ، عرفنا شيئاً عنها من خلال رسالة يحيى بن عدى فى الرد عليها^(٢) .

وكتب تلميذ الكندي ، أبو الحسن العامرى كتاباً قيماً ، تناول فيه بالتحليل العقلى والمقارنة الموضوعية الأديان ، وأسماه : « الإعلام بمنابغ الإسلام »^(٣) ، وهو من أجود المصنفات فى هذا الميدان .

وصنف شيخ الإسلام أبو المعالى الجوينى رسالة : « شفاء الغليل فى الرد على من بدل التوراة الإنجيل »^(٤) .

وكتب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية موسوعته الضخمة التى أطلق عليها : « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح »^(٥) ، وجاء تلميذه ابن القيم ليضع كتابه : « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى »^(٦) .

أما فى المغرب والأندلس فقد كان الاحتكاك مباشراً بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وتمخض ذلك عن عدة مؤلفات جيدة ، نذكر من بينها : « مقامع هامات الصلبان » لأبى عبيدة الخزرجى القرطبى^(٧) ، ومنها ما كتبه على ابن محمد الباجى فى الرد على التوراة واليهود ، وكتاب « الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام » للقرطبى ، ومنها : « جواب القاضى أبى الوليد الباجى المتوفى سنة ٤٧٤ هـ على رسالة راهب فرنسا .

ووضع المهتدى عبدالله الترجمان ، والذي كان يعرف بالقس الكاثوليكي

(١) نشرها المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤ هـ ، ثم حققناها وعلقنا عليها ونشرناها بالقاهرة ١٤٠٥ هـ .

(٢) نشر رسالة ليحيى بن عدى المستشرق Augustin Perier فى باريس سنة ١٩٢٠ م .

(٣) حققه ونشره بمصر الدكتور أحمد عبدالحميد غراب ، سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .

(٤) نشرها بمصر الدكتور أحمد حجازى السقا ، وأعدت نشرها إدارة البحوث العلمية بالرياض سنة ١٤٠٤ هـ .

(٥) هذا الكتاب غير محقق ، وإن كان قد نشر عدة مرات من قبل .

(٦) حققه أحد الباحثين فى كلية أصول الدين بالرياض ١٤٠٣ هـ .

(٧) حققه ونشره بمصر سنة ١٩٧٢ م . الدكتور محمد شامه ، تحت عنوان : « الاسلام والمسيحية » ومن

ناحيتنا لا نفر مثل هذا التصرف ، فهو لا يلائم المنهج الصحيح فى التحقيق العلمى .

« تورميذا » كتابه : « تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب »^(١) وكتب نصر بن يحيى ابن عيسى بن سعيد المتطبب^(٢) كتابه : « النصيحة الإيمانية بفضح الملة النصرانية » ، ووضع المهدي سعيد بن حسن الاسكندراني ، الذي كان يهودياً فهداه الله وشرح صدره للإسلام رسالة أسماها « مسالك النظر في نبوة سيد البشر »^(٣) .

وصنف صالح بن الحسين الجعفرى كتابه الذى عنوانه بـ : « البيان الواضح المشهود فى فضائح النصرانى واليهود » وقد لخصه من بعد السعودى المالكى . ووضعت كتب ورسائل كثيرة يضيق المجال عن حصرها وسردها هنا ، منها مثلاً .

« الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة » لأحمد بن إدريس القرافى ، ومنها « الأجوبة الساباطية » التى وضعها فى (دهل) عبد الجواد الساباطى ، ونذكر الكتاب الجيد الذى وضعه رحمة الله الهندى والموسوم بـ : « إظهار الحق » ، وكذلك رسالة . الشيخ عبدالعزيز الدميرى المسماة بـ : « إرشاد الحيارى وردع من مارى فى اختلاف النصرانى » وكتاب : « الفارق بين المخلوق والخالق » للشيخ التركى باجه جى زادة ، ومنها محاضرات الإمام محمد أنى زهرة فى النصرانية ، وموسوعة أحمد عبدالغفور عطار عن الأديان ، وكتب غير من ذكرناهم ، رحمهم الله جميعاً .

(ج) مقارنة الأديان والدعوة الإسلامية :

لا ريب أن اقتداء الدعاة والباحثين الإسلاميين المعاصرين بالسلف الصالح فى دراسة أديان الأمم على اختلافها ، والإلمام بها ، أمر لازم ، تفرضه عليهم دعوتهم ، وواجب تبليغها للناس كافة .

كما أن هنالك دراسات ذات طابع مميز - فى هذا المجال - يمكن أن تفيد الدعاة

(١) حققه ونشره الدكتور محمود حمادة ، ونشر فى دار المعارف بمصر .

(٢) المتطبب : يقال لمن يعلم الطب ولمن يتطبب ، واشتهر به جماعة انظر : « اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير الجزرى ج ٣ ص ١٦١ ط دار صادر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

(٣) نشرة المستشرق S.A. Weston فى :

Journal of The American Oriental Society, Vol 24. Port 1903.

ونقوم - حالياً - بدراستها وتحققها ، تمهيداً لنشرها بإذن الله تعالى .

فائدة طيبة ، نشير من بينها إلى تلك المناظرات التي جرت بين علماء مسلمين وعلماء يهود أو نصارى أو من ملل ونحل مختلفة ، مثل المناظرة التي جرت بين الفخر الرازى وعالم نصرانى ، وذكرها لنا الفخر فى تفسيره للقرآن الكريم^(١) .

ومنها تلك المباحثة التي سجلها أبو عبيدة الخزرجى فى : « مقامع هامات الصلبان » ، وما كتبه - قبله - أبو الوليد الباجى الأندلسى مناقشة وردًا على رسالة الراهب الفرنسى التي أرسلها إلى الخليفة المقتدر بالله ، وأخيرًا تلك المناظرات التي جرت فى بلاد الهند بين رحمة الله الهندى وبين القس المنصر (فندر Funder) .

ومن بين الدراسات المفيدة فى مجال الدعوة إلى الله ، ما كتبه المهتدون إلى الإسلام ، وقد كانوا يدينون باليهودية مثل الإسكندرانى وعبدالحق الإسلامى ، والسموأل بن يحيى المغربى ، أو بالنصرانية مثل عبدالله الترجمان (تورميدا) ، وابن الطبرى ، والحسن بن أيوب ، وعيسى بن جزلة ، ونصر المتطبّب ، وزيادة ، وغيرهم .

وفى العصر الحديث : ما كتبه محمد أسد (ليوبولد فايس) ، وموريس بوكاى ، ورجاء جارودى وإبراهيم خليل أحمد ، ومرجان ، والدكتور عبدالكريم جرمانوس وغير هؤلاء .

ومما يسجل هنا ، بأن السمة الرئيسية التي تميّزت بها كتابات المسلمين فى مقارنة الأديان ، أو فى الجدل الدينى والردود والمناظرات ، تتمثل فى النزاهة والموضوعية^(٢) والقوة والأصالة^(٣) .

ولا شك أن الدراسة الواعية من قبل الدعاة والباحثين الإسلاميين للخريطة العقديّة للعالم المعاصر ، والإلمام العميق بأسرار هذه الديانات والمذاهب والنحل ،

(١) انظر تفسيره لسورتي : آل عمران والنساء فى : « مفاتيح الغيب » .

(٢) انظر عن نزاهة المسلمين شهادة بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية - مصر ، سنة ١٩٥٢ ص ٧٨ .

(٣) يعلل الأب روبير شدياق اليسوعى ناشر كتاب الرد الجميل ، لأول مرة ، إحجام النصارى عن الرد على رسالة الغزالي المذكورة ، وتفنيدها بقوة حجة الرسالة ونصاعتها وعمقها ، انظر مقدمة الأب شدياق للرسالة المذكورة ، باريس سنة ١٩٣٩ م ، وترجمة الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق حلمى لهذه المقدمات : نشرة مجمع البحوث الإسلامية بمصر سنة ١٩٧٤ م .

والاطلاع على مكان ضعفها وهائها وتناقضها وتهافتها ، لاشك أن كل ذلك يدفع حركة الدعوة إلى الله على بصيرة ويحركها من وجوه متعددة ، ليس المقام مقام تفصيلها .

أهمية كتاب « الرد الجميل »

لم يحظ هذا النص بعناية الباحثين ، مثلما حظيت كتب الغزالي الأخرى ، التي تلقاها الناس بالقبول ، فنالت ذيوعاً وانتشاراً مما دفع بعض الباحثين إلى الوقوف عند ظاهرة تجاهل الباحثين وعدم التفاتهم إلى هذا النص الخطير .. ويبدو أن تقديم جواب شاف عن ذلك أمر غير مسلم به ، وأن محاولة الأب روبر شدياق الإجابة عن هذا ، محاولة ساذجة أولية .^(١)

ويكشف هذا الكتاب - في واقع الأمر - عن جانب من عبقرية الغزالي وثقافته الموسوعية العظيمة ، فهو بهذا الكتاب يكون قد جمع إلى الفقه وأصوله ، والتربية والأخلاق ، والمنطق ، والفلسفة ، والتصوف مقارنة الأديان والأدب الجدلي ، والمعرفة الواسعة بالنصرانية ورجالها ومذاهبها ومقولاتها ، وما هم عليه من خطأ وزلل وتجاوز .

كما أن هذا النص يلقي ضوءاً على موقف أبي حامد من الصليبية المتربصة بالإسلام شراً في بيت المقدس وفلسطين ، وكثيراً ما تساعل الناس عن موقف الغزالي من الصليبية المعتدية الغازية^(٢) وفي هذا الكتاب ، جواب مقبول على هذا التساؤل الذي لا يخلو من الاتهام والظن السيء بالرجل .

ليس ذلك فحسب ، بل إن هذا النص يبين لنا جانباً من موقف الصوفية - والغزالي واحد من شيوخهم العلماء - من النصرانية آنئذ .

(١) راجع مقدمات الأب شدياق لرسالة الرد الجميل .

(٢) كانت الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩٢ هـ .

والكتاب - فوق ذلك - وثيقة تعكس قوة الجدل ، ورصانة الحجة . وعمق
التناول ، وسعة المعرفة ، كما تعكس الأدب الإسلامى فى الجدل ، فهو جدل بالتى هى
أحسن ، تأدب صاحبه فيه بأدب القرآن الكريم :

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾^(١) .

فالتزم النزاهة ، والموضوعية ، وأمانة النقل عنهم ، وسوق حججهم غير مبتورة
أو مضطربة أو مشوشة ، ثم مناقشتها وتفنيدها فى عبارة غير مستهجنة ولا مُسيئة ،
ولا بد من أن يشار هنا إلى أن الغزالي قد سلك نهجاً فريداً فى نقده لعقائد النصرانية ،
والحق « أننى لم أر كتاباً فى الجدل أقوى حجة وأنصع بينة ، وأقنع برهاناً ، وأسلس
أسلوباً من كتاب الغزالي هذا .

فقد أوتى - رحمه الله - علماً واسعاً بوجوه التأويل ، ومعرفة شاملة بالفلسفة
اليونانية ، وعقائد الفرق النصرانية المختلفة ، إضافة إلى معرفة عميقة بعلم الكلام ، مع
أدب جم ، ومنطق فى الجدل رفيع ، والقارىء لكتابه يفهم جيداً أنه لم يكتب لعوام
النصارى ، ولا لعوام المسلمين ، وإنما هم كان موجهًا لعلماء النصارى بالدرجة
الأولى ^(٢) !

ونقده - بهذا - يختلف عن نقد ابن حزم والجوينى وأمثالهما ، لليهودية
والنصرانية ، ثما يعطى للنص قيمة علمية رفيعة .

وحول بواعث الغزالي وراء تأليف هذا الكتاب ، أنقل بعض عباراته فى ذلك ،
يقول :

« إني رأيت مباحث النصارى المتعلقة بعقائدهم ، ضعيفة المباني ، واهية القوى ،
وعرة المسالك ، يقضى التأمل من عقول جنحت إليها - غاية عجبه ، ولا يقف من
تعقيدها على اليسير من أربه .

لا يُعولون فيها إلا على التقليد المحض ، عاضين على ظواهر أطلقها الأولون ،

(١) العنكبوت : ٤٦ .

(٢) د. قاسم السمرائى : النشاط الجدلى لعلماء المسلمين ضد اليهودية والنصرانية ، محاضرة ألقاها على طلاب
الدراسات العليا بجامعة الإمام بالرياض عام ١٤٠٢ هـ .

ولم ينهض بإيضاح مشكلها الآخرون ، ظانين بأن ذلك هو الشرع الذى شرعه لهم عيسى عليه السلام ، معتردين عن اعتقادها بما ورد من نصوص ، يعتقدون أنها قاهرة للكفر ، غير قابلة للتأويل ، وأن صرفها عن ظواهرها عسير^(١) ويقول :

« .. وهأنذا أذكر نصاً نصاً ، مبيناً فصولها المسطرة فيها ، حذراً من المناكرة ، لأن كتبهم غير محفوظة فى صدرهم »^(٢) .

جاء كتاب الرد الجميل ، نسيج وحده ، فى منهجه ومعالجته لموضوعه فهو لم ينسج على منوال من سبقه كالكندى والجاحظ والقاضى عبد الجبار والجوينى والباجى وابن حزم ، وإن كان له تأثير كبير فىمن كتب فى هذا الموضوع - بعده - من العلماء المسلمين كالقرافى والقرطبى وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ، ومن اللاهوتيين النصارى ، كما سنذكر فى مبحث : الإنجيل بين انقطاع السند وتناقض المتن ، من هذه المقدمات إن شاء الله تعالى .

(١) الرد الجميل : المخطوط ق ١ ، ق ٩ .

هل ألف الغزالي كتاب « الرد الجميل » ؟

لا ريب أن المحاولة التي بذلها (الأب روبر شدياق) في توثيق نسبة هذا النص إلى الغزالي ، لم تكن - رغم الجهد المبذول فيها - موفقة ، ذلك أنه قد ترك انطباعاً لدى القارئ ، يجعله يرتاب كثيراً في صحة نسبة هذا الأثر النفيس إلى قلم أي حامد .

ولعل السبب وراء هذا الانطباع الذي أفلح شدياق في زرعهِ في خاطر القارئ ، يرجع إلى أن العناصر العلمية التي وظّفها في توثيق نسبة الكتاب ، لم تكن أصيلة ولا قوية فضلاً عن التساؤلات التي أثارها هو نفسه ، حول صعوبة النص واستغلاقه^(١) ، وأن ذلك ليس من خصائص قلم أي حامد ، ورتب على ذلك أن أحد تلاميذ الغزالي هو الذي قيده من أمالي أستاذه ، ونسبه إليه !!

أقول : إن حاجة هذا الفرض إلى التحقيق العلمي أكثر من حاجة نسبة الكتاب إلى التوثيق !

ومن دراستنا للنص دراسة نقدية خارجية وباطنية ، نقول - مطمئنين - : إن الأدلة على صحة نسبة هذا الكتاب إلى أي حامد أقوى وأكد وأعظم من أن ترد .

فلقد ذكرت الكتاب ونسبته إلى أي حامد بعض المصادر الهامة من ذلك ما كتبه الباحث النصراني يعقوبى (أبو الخير بن الطيب المتطبيب) في مقالته في الرد على المسلمين^(٢) ، جاء فيها :

(١) انظر مقدمات روبر شدياق ، ونقول : إن صعوبة النص واستغلاقه عليه ، يرجع إلى عدم تمكنه من اللغة التي كتب بها ، وعدم فهمه بالجدل وأساليبه .

(٢) نشرها بول سباط Paul Sbat ١٩٣٩ م ، ضمن عشرين رسالة لعلماء النصارى تحت عنوان : مباحث =

« وقد حكى هذا الرأى عنهم الإمام العالم أبو حامد محمد الغزالي في كتابه المعروف بالرد الجميل »^(١) ولإشارة إلى الخير هذه قيمة توثيقية عالية ؛ لأنها من خصم عنيد لأبي حامد .

ومن بين تلك الكتب التي أشارت إلى كتاب الرد الجميل ونُسبتة إلى الغزالي ، « إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » الذي وضعه السيد محمد بن الحسين الزبيدي الشهير بمرتضى ١١٩٣ هـ ، يقول^(٢) :

« الفصل التاسع عشر في ذكر مصنفات الغزالي التي سارت بها الركبان ، جاء فيه أن من ضمن مؤلفات الغزالي كتابه : « القول الجميل في الرد على من غير الإنجيل » .

ونقل ذلك معه عبد القادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ العيديرس باعلوى المتوفى عام ١٠٣٨ في كتابه : « تعريف الأحياء بكتاب الإحياء »^(٣) المطبوع بهامش كتاب : « إتحاف السادة المتقين » للمرتضى . يقول العيديرس :

ومن مشهورات مصنفاته ... ويذكر من بينها كتاب : القول الجميل في الرد على من غير الإنجيل .

كما أن حاجي خليفة قد أورده مرتين : الأولى : تحت رقم (٥٨٩٩) الجزء الثالث ص ٣٥٢ ، بعنوان الرد الجميل ، والثانية : تحت رقم (٩٦٥٠) في (الجزء الرابع ص ٥٨٤) .

كما ذكره بروكلمن : GAL فأورده تحت رقم ٢٢ في المجموع رقم ٢٢٤٧/٢٢٤٦ بآيا صوفيا باستنبول .

=تسميه دينية لعلماء النصارى القدماء ، وقد كتب أبو الطيب مقالته هذه سنة ٧١٥ هـ ١٣١٥ م ، وهو من علماء النصارى البعاية ، عاش بعد الغزالي بفترة غير بعيدة .

(١) المصدر السابق ص : ١٧٦-١٧٧ .

(٢) إتحاف السادة المتقين ج ١ ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ٣١ .

ويرى الدكتور جورج حوراني في : الترتيب التاريخي لمؤلفات الغزالي^(١) ، أن كتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصرى الإنجيل ، قد ألفه الغزالي سنة ٤٩٢ هـ ، وهو مسبوق بالرسالة القدسية ، وميزان العمل ، والاقتصاد في الاعتقاد ، ونحك النظر ، ومعيار العلم .

كما أن لويس ماسينيون قد وصف مخطوط : الرد الجميل ، ونسبه للغزالي دون تردد في دراسته التي نشرها في مجلة الدراسات الإسلامية (العدد ٦ - ١٩٣٢) وهو الذى أشار على الأب شدياق اليسوعى بترجمة هذا النص إلى الفرنسية ونشره^(٢) .

لكن يبقى سؤال هو : لماذا لم يشر أبو حامد إلى كتاب الرد الجميل في أى من كتبه الأخرى على عادته ؟

أقول : لقد كانت من عادة الغزالي أن يشير إلى كتبه أو إلى فصول منها ، لكنه - في واقع الحال - لم يشر إلى جميع كتبه ومصنفاته ، فهناك من بين مؤلفاته - غير الرد الجميل - كثير لم يشر إليها^(٣) .

أما عن سكوت المؤلفين المسلمين وعدم إشارتهم إلى هذا الكتاب فقد : جرت عادة العلماء المسلمين في مقارنة الأديان والدراسات النقدية لليهودية والنصرانية ، على عدم ذكر المصادر التى يستقون منها مادتهم ، ومثالنا على ذلك ليس كتاباً بعينه ، وإنما كل ما بأيدينا من مؤلفات في هذا الحقل ، ولعل صمت كتاب التراجم المسلمين وتقاديمهم ذكر الرد الجميل للغزالي نابع من موقف الغزالي من نصوص الإنجيل في كتابه هذا .. وذلك أن القارئ المسلم كان يتوقع من الغزالي إثبات تحريف الإنجيل وردّ نسبته للوحى ، بيد أن الغزالي لم يفعل هذا ، بل إنه أخذ افتراض النصرى بوحيه فدحض معتقداتهم في عيسى عليه السلام من واقع هذا الافتراض ، وأثبت دعواه في تهافت معتقداتهم من هذا النص الذى يؤمنون بوحيه . وكأننا بالغزالي يقول للنصارى : حسنا أنكم تؤمنون بأن هذا الكتاب موحى به ، وأنه لم يدخل عليه تحريف أو تبديل - إذاً

(١) نشر في مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية JAOS في أكتوبر ، ديسمبر سنة ١٩٥٩م - المجلد ٧٩ ، العدد ٤ ص ٢٢٥ - ٢٣٣ ، انظر : مؤلفات الغزالي : المقدمة .

(٢) انظر : مقدمات الأب شدياق لهذه النشرة نقلاً عن :

Revue des Etudes Islamiques Tome VI (1932) pp. 523-530,

(٣) انظر : دراسة حوراني السابقة

منتهى ذلك العلم ، حتى يساوى أعلمهم فى أصل ذلك العلم ، ثم يزيد عليه . ويجاوز درجته ؛ فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غوره وغائيه ، وإذ ذاك ، يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ... ، فعلمتُ أن ردّ المذهب - قبل فهمه والاطلاع على كنهه - رميٌّ فى عماية ^(١) .

ويذكر فى كتابه (الاقتصاد فى الاعتقاد) ^(٢) جانباً من طريقته الجدلية ، فيقول : « أن يكون الأصل مأخوذاً من معتقدات الخصم ومسلماته ، فإنه وإن لم يقم لنا عليه دليل ، أو لم يكن حسياً ولا عقلياً ، انتفعنا باتخاذنا إياه أصلاً فى قياسنا ، وامتنع عليه الإنكار الهادم لمذهبه .. » .

وذلك ما نجده فى كتاب « الرد الجميل » ، فإنه درس الكتاب المقدس أولاً دراسة جيدة ، واطلع على عقائد النصارى ومذاهبهم وفرقهم ، وجاراهم فيما يسلمون به من أصول ، ثم بدأ فى جدالهم ، مبيّناً لهم سوء فهمهم لهذه الأصول ، وجهودهم فى تقليد كبرائهم ، وتقليد الفلاسفة القدماء ، ودار الكتاب حول فساد تأويلهم للأصول التى يؤمنون بها فى مسألة واحدة رئيسية هى : إلهية عيسى عليه السلام ، وردها بما عندهم من نصوص مسلمة لهم ، فإذا كانت نصوصهم وأصولهم لا تعطيهم الحجة فيما يذهبون إليه من إلهية عيسى ، عليه السلام ، فلم يبق لهم شئ يستندون إليه فى هذا السبيل ، وبذلك يتهدم مذهبهم وينهار .

انظر مثلاً:- المخطوط : ق ١٠ .

- وكذلك فإننا نجد - فى ثنايا الكتاب - رأى أبى حامد المعروف فى الفلاسفة ، والذى صنف فى تبيانهِ ، ونقض أصحابه كتابيه : « المقاصد » و« التهافت » ، ولم يزل يكرره فى كتبه ورسائله ، يقول :

« ... فيجب على هذا القائل أن يقلد الفيلسوف فى أن النبوات مكتسبة ، وأن العالم قديم لا يقبل الكون والفساد ، وأن البارى لا يعلم الجزئيات ، وأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وبأن إله الخلق وجود مجرد ، ولم يقم بذاته علم ولا حياة ولا قدرة ... »

(١) « المنقذ من الضلال » ص ١٠٣ ، بتحقيق الدكتور عبدالحليم محمود ، ط ٦ ، دار الكتب الحديثة

بالقاهرة .

(٢) ص ٢٧ من نشرة الشيخ مصطفى أبوالعلا ، مطبعة الجندى بالقاهرة ، بدون تاريخ .

دعونا نناقشكم به وثبت لكم منه خط ما تؤمنون به من ألوهية عيسى بصرح كلام الإنجيل الذى بين أيديكم .

ولعل موقف الغزالي هذا قد شكك أصحاب التراجم في أصالة نسبة الكتاب للغزالي ، فأحجموا عن ذكره ، مع أنهم ذكروا كتباً له أقل شأناً ، منه ، وإلا فكيف نفسّر هذا السكوت الغريب ؟!

وهناك نقطة أخرى وهى أن هذا الكتاب لم يشتهر كاشتهار كتب الغزالي الأخرى ولم يعن به الناس عنايتهم بغيره ، ولهذا قلت نسخة المتوافرة بأيدي الناس فلم يصل إلينا غير نسختين أو ثلاث منه^(١) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أقول : لعل كثرة مؤلفات أبى حامد جعلت كتب الأعلام والفهارس فى جِلٍ من التبع والاستقصاء ، ومن ثم اكتفت بذكر أشهر كتبه فحسب ، ولعل ذلك يفهم من تصريح صاحب : (مفتاح السعادة) إذ يقول عن الغزالي :

« وكتبه ورسائله خارجة عن حد العدة والإحصاء ، ولم يتيسّر لأحد معرفة بأسماء مصنفاته كلها »^(٢) ، وبهذا نقول : إن النقد الخارجى للنص لا يقدح البتة فى صحة نسبة هذا الكتاب إلى الغزالي .

أما النقد الداخلى لنص الكتاب فهو فى رأينا خير موثق لصحة هذه النسبة ، فالذى يقرأ النص ، وتكون لديه معرفة شاملة بالغزالي وآرائه ، يقف على نقاط جوهرية لا تبقى فى نفسه أدنى ريبة حول أصالة الغزالي فى تأليفه للرد الجميل ، ونسوق فيما يلى نماذج لذلك :

[- إن المنهج الذى نهجه أبو حامد فى الرد على الفلاسفة فى : « تهافت الفلاسفة » هو نفس منهجه الذى سار عليه فى « الرد الجميل » ، ولقد أشار هو إلى ذلك فى بعض كتبه فقال :

« .. وعلمت يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم ، من لا يقف على

(١) الدكتور قاسم السامرائى - مرجع سابق .

(٢) انظر ص ١٨٢ ؛ من المطبوع .

إلى غير ذلك مما نقضوا به قواعد المشرعين ، وصرحوا فيه بإكذاب المرسلين » .
- والكتاب يعكس تمكن مؤلفه من المنطق القياسي ، وشغفه ببناء الأقيسة المنطقية ، يقول :

... لننظم من هذا الرأى المقول قياساً منطقياً فنقول :

* المسيح صُلب .

* ولا شيء مما صلب بإله .

.. فلا شيء من المسيح بإله .

وهؤلاء لا يقدرّون على منع الكبرى ... إلخ » (المخطوط : ق ٩) .

- وإن الغزالي الصوفي ، مؤلف « الأحياء » و « المنقذ » ليستوقفك مراراً في كتاب الرد الجميل ، انظر مثلاً رأيه في علو منزلة النبوة على الولاية ، ورأيه في معجزات وكرامات الأنبياء والأولياء ، يقول : « فإذا أراهم مثل هذا الفعل الذى هو من نتائج الأعمال الصالحة رغّبهم في الاستكثار من أسبابه ، وحقّر في نفوسهم مصائب الدنيا وآلامها ... » .

ويقول : « كل ذلك دليل على أن ييسها (أى شجرة التين التى دعا عليها) إنما كان من باب كرامات الأنبياء ، لأنه قد أثبت لهم - بالولاية - نقل الجبل وسقوطه في البحر ، وذلك أبلغ من ييسها » .

(المخطوط : ٢٢ - ٢٣)

- وملتقى في « الرد الجميل » برأى الغزالي في شطحات الصوفية فيقول :
« ... ولقد وقع في مثل ذلك جماعة من الأكابر ، فبعضهم قال : سبحانى ! ،
ما أعظم شانى ؟ ! »

وقال الحلّاج : أنا الله ؟ ! وما في الجبة إلا الله !!

وحمل ذلك منهم على أحوال الأولياء الشاغلة عن التحفظ في المقال ، حتى قال بعضهم : هؤلاء سُكّارى ، ومجالس السكر تطوى ولا تحكى » .

(المخطوط : ٣٥)

- ونلتقى برأيه المعروف في تفضيل الأنبياء على الأولياء ، إذ يقول : « ... فهذا ثابت للأنبياء بل وللأولياء أيضا الذين ليسوا في درجة الأنبياء »
(المخطوط : ق ٤٦)

- كما أننا لا نعدم حب الغزالي للتأويل في حدود المذهب الأشعري ، والغزالي شيخ من أعيان الأشعرية بلا خلاف ، جاء في الرد الجميل :
« ... وقد ورد مثل ذلك في حق آدم ، عليه السلام ، لما اشتركا في عدم التكوين عن الأسباب العادية ، حيث قال جل من قائل :

﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ [سورة ص : ٧٥]

والله عز وجل لا يذله ، وإنما المراد : خلقت به بقدرتي ، إشارة إلى أنه لم يكن من منى . وإنما كَوْن بقدرته .
(المخطوط : ق ٢٦)

وبعيدا عن الكلام في الصفات الإلهية ، وبعيدا عن مناقشة رأى الغزالي والأشعرية وغيرهم منها ، أقول :

إن هذه الإشارة - إلى جانب غيرها مما ذكرنا ، ومما يضيق المجال عن تتبعه وذكره هنا - تعمق يقيننا بأن كتاب « الرد الجميل » ، قد كتبه أبو حامد الغزالي ، وهو يوضع باطمئنان وثقة في قائمة مصنفاته ، ليكشف لنا عن جانب هام من عبقرية النادرة ونشاطه الموسوعي .

نبذة عن محتوى الكتاب

لم يخصص واحد من العلماء المسلمين الذين سبقوا الغزالي - في مجادلة أهل الكتاب - كتاباً برأسه في الرد على عقيدة النصارى - على اختلاف مللهم - في إلهية عيسى ، عليه السلام ، ولو نظرنا فيما كتبه الكندي الفيلسوف ، والجاحظ ، وعلى ابن ربن الطبري ، والعامري والحسن بن أيوب والقاضي عبد الجبار الأسد أبادي ، وأبو عيسى الوراق ، والإسكافي ، وأبو القاسم الكعبي البلخي ، والباقلاني وابن حزم الأندلسي ، وأبو الوليد الباجي ، وأبو المعالي الجويني والبيروني وغيرهم - وجدنا أنهم قد عالجوا جملة مسائل مهمة في مجادلة أهل الكتاب مثل : انقطاع سند كتبهم وتناقض متنها وتناكره وتعانده ، وطمس البشارات بمحمد ﷺ ، وإبراز ما بقي منها بعد تحريفه وتبديله ، ومناقشتهم في عقائدهم المختلفة .. إلى آخر هذه القضايا المهمة في بابها .

أما أبو حامد الغزالي فإنه قصر كتابه - « الرد الجميل » على دحض زعم الإلهية لعيسى ، عليه السلام ، ومن ثم وجدناه يبدأ كتابه :

- بذكر رأيه في النصارى وطبيعة عقائدهم ، ودفعهم بالتقليد والغباوة والجمود والعجز العقلي عن النظر في عقائدهم ونقدها .

- ثم يدحض تقليدهم الفلاسفة في تعلّق ذات الله تعالى بالمسيح ، وأنها على حدّ قول الفلاسفة في تعلّق النفس بالبدن !!

- ثم يبيّن أنّ في الأنجيل والرسائل نصوصاً مصرّحة بإنسانية عيسى المحضّة ، ونصوصاً شاهدة بأنّ إطلاق الإلهية عليه (على ما يدعون) محال .

- وقبل أن يشرع في بيان النصوص الإنجيلية التي تجوّزت في إطلاق الإلهية عليه وتلك النصوص التي تجوّزت في مسألة (الاتحاد) يذكر أصلين علميين خلاصتهما : أنّ صريح المعقول لا يناقض ولا يعاند صحيح المنقول ، وأنّ الجمع بين الدلائل التي تبدو في ظاهرها متعارضة ممكن .

ثم يسوق - في دقة وأمانة - النصوص التي وردت في إنجيل يوحنا موهمة .. ومثيرة لهم شبهاً في إطلاق الإلهية على عيسى ، وتلك النصوص الأخرى التي تؤكد إنسانيته المحضة ، وتحللها تحليلاً علمياً رصيناً ، ويظهر المجاز الذي فيها ، ويبرز الإشارات والقرائن الصارفة عن إرادة حقائقها الظاهرة الموجبة صرفها إلى معان أخرى .

- ثم يسوق ثلاثة نصوص من إنجيل يوحنا ، ونصاً من إنجيل مرقس ، وخامساً ليوحنا ، ثم يحلل الألفاظ الموهمة للحلول التي أطلقها عيسى على نفسه - بحسب أنجيلهم - ويصرفها عن معانيها الظاهرة طبقاً للنصوص الكثيرة التي تفيد صراحة أنه : مُرسَل ، ومُعْطَى ، ومتضرع إلى ربه ، وخائف ، وداع يريهم أعمالاً حسنة من عند الله .. إلى آخره .

- وينتبه إلى النتيجة الحاسمة وهي أن إنسانيته ثابتة لوازمتها وملزوماتها من صفات الإنسان التي وصفه بها الإنجيل من التعب ، والجوع ، والألم ، والعطش ، ونقص المعرفة ، والتوهم .. والخضوع والمغايرة لله إلخ .

- ثم يناقش تأويلهم الفارغ لقوله في إنجيل مرقس ١٣ : ٣٢ : « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ، ولا الملائكة ولا الإبن ، ولا أحد إلا الأب وحده » .

- ويظهر تحبطهم في تفسيرهم « حياة الأبد » ويفسر لها لهم بناءً على نصوصهم بأنها : « الإيمان بالله الواحد الحق وبرسوله يسوع المسيح » .

- ويوضح لهم في النص السادس أن عيسى يصرح بانسانيته فيقول : « وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله » .

- ثم ينبه على أن إطلاق لفظ « الحلول » ولفظ : « أنا والأب واحد » لم يؤذن لمحمد ﷺ ، ولا لأحد من أمته باستعماله البتة .

- ويركز على شبهتهم في اللاهوت والتأسوت ودعواهم بالحقيقة الثالثة المغايرة الناشئة من تعلق ذات الله تعالى بالمسيح ، ويدحضه بجدالٍ محكم بارع طويل النفس ، يصفه بقوله : « وهذه مباحثة من دقيق النظر » .

- ثم يوضح حكمة ظهور الخوارق على يد عيسى عليه السلام بناءً على السؤال والطلب ، وأن ذلك ليس آية على إلهيته .

- ويوضح من نصوصهم أن إطلاق لفظ (الإله) ولفظ (الرب) على عيسى في الإنجيل إطلاق مجازى مصروف عن حقيقة ظاهره .
- كما أن إطلاق الأبوة على الله تعالى والنبوة على عيسى عليه السلام ، لا يحقق لهم غرضاً ، ولا يثبت لهم خصوصية أو امتيازاً .
- أما قولهم في (الفداء) فإنه - في رأيه - من الجهل الذى أجرهم رسن الجرأة على الله ، وعلى أنبيائه الهادين ، وأوليائه المؤمنين ..
- وينتهى إلى معضلة (الكلمة) و (الأنانيم) وهى من أعظم معضلاتهم التى يعولون عليها مثبتين بها إلهية عيسى عليه السلام ، ويفندها بنصوصهم الثابتة عندهم .
- ثم يعرض معضلة (التور) وأن عيسى نور العالم ، وينتهى إلى أن التور في الإنجيل قد أطلق وأريد به (الهداية) . كما يفند شبهتهم في فهم النص المصرح (برؤية إبراهيم ليوم عيسى) ويؤوله معتمداً على تصريحات الإنجيل نفسه .
- ثم يرد شبهتهم اللفظية التى يعتمدون فيها على زعم لإلهية المسيح ، بوصف القرآن الكريم لعيسى بأنه كلمته ألقاها إلى مريم ، ويفيض في تحليل هذه الشبهة بما يبرز تمكنه من ناحية علوم الجدل واللغة والقراءات ، مع الحرص على دعوة الآخرين إلى الحق ، وإلى سواء السبيل .

خطة تحقيق النص والتعريف بأصوله

- أما خطة تحقيق النص فقد قامت على الموازنة بين ثلاث نسخ ، وهى :
- نسخة آيا صوفيا - بإستانبول رقم ٢٢٤٧ ، ومسطرتها أحد عشر سطراً ، وقد كتبت بخط جيد ، يرى خبراء الخطوط أنها كتبت فى القرن السابع الهجرى . واتخذنا هذه النسخة أصلاً ، ورمزنا لها بـ (الأصل) .
 - نسخة جامعة (لايدن - هولندا) رقم OR 828 ورمزنا لها بالحروف (ل) (١) . وتقع فى ٢٢ ورقة وتاريخ نسخها ١٠٦١ هـ .
 - ثم نسخة الأب شدياق التى نشرها عام ١٩٣٩ م فى باريس ، ورمزت لها بالحرف (ش) واعتمد الأب شدياق على نسخة آيا صوفيا رقم ٢٢٤٦ .
 - ولم أثنأ أن أثقل كاهل النص بمزيد من الحواشى ، فلم أثبت من الفروقات بين نسخ إلا ما كان جوهرياً ذا بال فى توجيه المعنى ، وقد وضعته فى الهامش إلى جانب التعليقات أو الشروح والتعريفات ، وقد حرصت كل الحرص على الاختصار والتركيز .
 - كما أنى قد عرّفت بالاعلام اللاهوتية - أصحاب الأناجيل والرسائل المقدسة - التى أوردها الغزالي فى الأصل ، فى دراسة مستقلة تحت عنوان : « الأناجيل بين انقطاع السند وتناقض المتن » ، عنيت فيها بتقديم صورة واضحة لكل منهم ، ولما ينسب إليه من تراث .
 - كما عنيت غاية الاعتناء بعزّو النصوص التى أوردها الغزالي ونسبها إلى الأناجيل

(١) أهدانيها مشكوراً الأستاذ الدكتور قاسم السامرائى .

أو الرسائل ، وأثبتها في الهامش ، وهو منهج ألزمت نفسي به . لأظهر موضوعية الغزالي ، وبعده عن التلفيق أو التحامل ، ولقد ظهر لنا صحة نقله ودقته وضبطه .

كلمة أخيرة :

بعد أن انتهيت من التحقيق ، وقعت بيدي النسخة التي ترجمها الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق حلمي عن نشرة الأب روبير شدياق اليسوعي وترجم ما بها من مقدمات بالفرنسية إلى اللغة العربية .

وبعد أن اطلعت عليها وعلى المقدمة التي كتبها الأستاذ المترجم . رأيت أن النص بحاجة إلى مزيد من العناية ، وأن الجهد الذي قام به كل من المترجمين إلى الفرنسية والعربية لا يوصد الباب أما الدراسة العلمية والتحقيق والتوثيق .

ورغم كل شيء ، فإن الجهد الذي قام به الأب روبير - وهو راهب يسوعي - في ترجمة النص إلى اللغة الفرنسية ، والعناية بنشره يستحق تقديرى وشكري ، لأنه قد توفّر على خدمة أثر من آثارتنا الإسلامية النفيسة ، ويسّر للغربيين الإطلاع عليه .

ومع ذلك فإن أمانة العلم تفرض على أن أذكر أن الأب روبير لم يفقه النصّ العربي بشكل جيّد في كثير من المواطن ، وكان يرجّح كلمة على كلمة ، أو عبارة على أخرى ، مما لانقره عليه ، ولا يقرّه عليه من له دراية بتراث الغزالي ، ولقد أثبتنا بعض ذلك في الهوامش ، ونشير هنا إلى نموذج لذلك ، يقول الأب روبير مثلاً :

« لقد ظهرت ، فلا تخفى إلا على إله لا يبصر القمر » .

وفي الأصل :

« لقد ظهرت ، فلا تخفى إلا على أئمة لا يبصر القمر » .

فهو قد وضع كلمة (إله) محل كلمة (أئمة : أعمى أو أعشى) ، ولا شك أن ما يترتب على مثل ذلك الصنيع غير مقبول ، فضلاً عن أن الغزالي - يقيناً - لم يقله ولم يُرده .

وكذلك ، فإن الأستاذ المترجم « عبدالعزيز عبدالحق » قد تصرّف بحرية في

من حيث هو من غير ان يكون له حقيقة في نفسه
 انما هو من حيث هو لا شك اننا قد مررنا به وقد امكن مر
 وقته الى قولنا ان هذا لا يصدق الا في حق الله تعالى
 من يظن ان قوله من غير ان يكون له حقيقة في نفسه
 اصول العربية وقواعدها كقولنا من غير ان يكون له حقيقة
 فاما ان يكون له حقيقة فيكون ذلك فيما لا يصدق من غير ان يكون
 في القرآن المحذون من حقيقته بقوله تعالى اللهم ليس في ربي شيء فكون
 لهم فكون ولا وجه لغيره من غير ان يكون له حقيقة في نفسه
 على وجوده حقيقة الاستعظام فقط من غير ان يكون له حقيقة في نفسه
 وهذا التقدير والا لزم الوجه على بن عامر انك لا الية فليس في ربي شيء
 حسن هذا الاعراب والاعراب معطيا هذا لا يصدق من غير ان يكون له حقيقة في نفسه
 باقصر الانباء المحذورة والاعراب معطيا هذا لا يصدق من غير ان يكون له حقيقة في نفسه
 وان سكنت حاء من كل عربي وليجب من طائفة تمسك بهذا
 النص الواضح في هذا وتاويله وهذا الحماة كونا ووعداة هذا
 دلالة النصوص على الحقيقة وعدم حملها على عاين من غير الفصل والجمع بين
 ما ينفذ في منابته فاعين من ذلك وجه الله جعلنا الله من الله
 نور حيايت وعصمنا من الخطا في القول والعمل بتوفيق وهداية
 آمين برحمتك يا رحيم الرحمن بحمدك خزانة هذا الكتاب بحال
 بغير الله وعونه وبارئ له وورثته من عونه وكرمه على كل من يرجع اليه
 الذي هو من شجرة من شجرة وسنن والف كذا على ما هو في
 غير ما روي في الرواية من غير ان يكون له حقيقة في نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
 فإني رأيت سمات النصارى المتعلقة بعبادتهم صعبة المبادئ
 وأحياناً الغريبة وحرمة المسك يقضي التأمل من عقول حنف إليها
 غاية محبة ولا يقف من تعقيد ما على اليسير من إيراد يقولون فيها
 الإلهي التقليد المحض عاصين بالتواضع على طواجرها الأولى
 ولم يهضم بأصل مشكلها القصور من الآخرون طائفتي
 أن ذلك هو الشئ الذي شرع لهم موسى عليه السلام يعتقد
 من اعتقادهم بما ورد من تصورات يعتقدون أنها قاهرة للفكر في
 قابلية التأمل ولا إرادتها من طواجرها مسير وحرية ذلك طائفتي
 طائفة وحرية أكثر من مبادئها العلوم التي يقف بها
 الناظر على استحالة وجوده وإيجابه الواجب فيبقى عدم وجوده
 وإمكان الممكن فلا يعتقد محالاً إلا بالطرفي وجوده وعدمه
 لما رسمت في آذانهم صورة منذ صفحهم واستخرجت
 بعض العبادة إلى أن صار الجسم ذلك ممكنة لهذه الطائفة
 من وها من وإرها مسير وطائفة لهم رأي معقول وقد
 الموايسير من العلوم فتجد من أكصين عن هذا المعتقد
 لا يسمون أفكارهم بفكره يقولون كارة على تقليد الفيلسوف
 في سبيل الاتحاد لا عظم من ما يؤمن به من عدم قواعد
 تطارت على شواجر العقول فأرسل من هذه المعجزة

بسم الله الرحمن الرحيم

في يومه الغداز عورده اسود عماره الى ربي

الزاد الجميل الى الهية علي

بصرىخ الابجيب

تأليف الشيخ الامام حجة الاسلام

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

الحمد لله العبد الي

٢٢٤٧

النص ، ولم تكن المخطوطات بين يديه ، مما جعل تصرفه في النص غير مبنى على أساس من الأصول المخطوطة ، كما أنه لم يصحح أخطاء الراهب روبر شدياق .

ولا أحب أن أقف طويلاً عند هذه النقطة ، وحسبى أن أسوق بعض النماذج ، التى توضح تدخل الأستاذ المترجم - الممنوع - فى النص بلا داع .

* ص ٢٣٧ من الترجمة العربية :

يقول المترجم : أحدها أنهم جعلوا ذلك من قبيل القياس فغلطوا .

وفى الأصول : أحدها أنهم إن جعلوا ذلك من قبيل القياس فغلط .

* وفى ص ٢٤٦ ، يقول المترجم :

فبكم أخرى

- وفى الأصول : فيكم - بالحرى - الذى

* وفى ص ٢٥٨ يقول المترجم :

فاعجب من هذا القول كيف فاتهم أن صفات ...

وفى الأصول : فاعجب من هذه العقول كيف فاتها أن صفات ...

إلى غير هذه النماذج المشابهة ، وليس فى إثباتنا لهذه المخالفات تقليل من الجهد المبذول من الباحثين كليهما .

وكذلك فإنى لم أسترح إلى تلك المقدمات المطولة التى قدم بها الأب روبر للنص الأصيل ، وما زاده عليه المترجم من مقدمات إضافية ، جعلت النص الأصيل باهتاً جداً فى ضوء هذه المقدمات المسهية ؛ فكان نصيبه حوالى تسعين صحيفة من بين ثلاثمائة وخمسين صحيفة ، وفى رأينا أن عدم التوازن بين النص والمقدمات غير منهجى ، وليس فى مصلحة النص الأصيل ، إذ أن القارئ حين يبلغ النص يكون قد استفرغ جهده فى تحصيل تلك التمهيدات التى لا يتعلق أكثرها بالنص مباشرة ، وثمة مسألة أحب أن أشير إليها فى هذا المقام ، وهى : أن تلك المقدمات التى نخشدها حشداً بين يدى النص ، تتدخل فى توجيه القارئ وفى التأثير عليه ، بحيث يصحح إنه يفهم النص من خلال هذه المقدمات ، التى تقيّد اجتهاده وتؤثر على أحكامه . وهذا يدفعنا إلى إعادة النظر فى تلك الشروح والتمهيدات والمقدمات التى تنقل بها كواهل النصوص المحققة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ تَوَكَّلْتُ
 أَمَّا بَعْدُ فَمِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 وَالسَّلَامِ فَإِنِّي رَأَيْتُ مَسَاحِدَ النَّصَارَى الْمُسْلِمَةِ
 بِعَفَائِدِهِمْ صَعِيقَةً الْمَسَانِي وَأَهْبَاءَ الْفُؤَادِ
 الْمَسَانِي أَمِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
 سَائِدَةً كَمَا أَنَّهَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 مِنْ أَرْبَعَةِ أَعْيُنٍ لَوْلَا أَنَّهَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 عَاصِدَةً عَلَى طَوَائِفِ طَائِفَتِهَا الْأَوَّلَى
 بِإِضْطِحَاقِ مَسَاحِدِهَا الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى
 طَائِفَتِهَا أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الشَّرْحُ الَّذِي شَرَحْتُمْ
 عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُعْتَرِضِينَ عَلَى عَتَقَادِهَا

(١) توطئة :

هذه دراسة موجزة عن الأناجيل الأربعة التي تكوّن ما يسمى عند النصارى « العهد الجديد » الذى يكوّن إلى جانب « العهد القديم » أو التوراة وأسفار الرسل - الكتاب المقدس ، الذى يقده النصارى ويعتبرونه كتاب دينهم ، يأخذون منه عقيدتهم فى التثليث ، والإلهام الخاص بالرسول ، ... إلى غير ذلك ، ويؤسسون عليه أحكامهم وأخلاقهم ، ويشيرون به وينشرونه بين الناس . وهذا الكتاب - العهد الجديد - عندهم هو النص المقدس ، أو الوثيقة الدينية التى كتبها أصحابها بإلهام وروحى إلهى فى نظر الكنيسة ، ورجالها وكثير من رعاياها .

ولأن هذا الكتاب « العهد الجديد » بهذه المثابة عندهم . فهو يستأهل الدراسة والتحصيص والامتحان والنقد المنهجى الموضوعى ، وتلكم الدراسة ينبغى أن تركز على نقطتين مهمتين ، هما :

أ - نقد السند .

ب - نقد المتن .

ويجدر بى أن أذكر - فى هذا الصدد - أن « علم مقارنة الأديان » أو الجدل الدينى ضد اليهود والنصارى بخاصة ، قد حظى بعناية فائقة من كبار العلماء المسلمين ، ولا شك فى أن عنايتهم « بعلم مقارنة الأديان » كانت ثمرة لتوجيهات القرآن الكريم ، وعنايته بهذه الناحية .

والمتدبر فى كتاب الله - عزّا اسمه - يجد أنه قد اهتم بإيراد مقولات الأديان التى كانت سائدة ومسيطرة إبان التنزيل ، وناقشها ، وبرهن على بطلانها وفسادها . تكلم عن اليهود والنصارى والدهريين ومنكرى البعث ... وغيرهم ، وحلّل وفصّل ، وما ذلك إلا لأن عرض العقيدة الصحيحة وتثبيتها ، ودعوة الناس إليها ، لا يكون بمعزل أبداً عن مناقشة العقائد والمذاهب الباطلة ، وإمالة اللثام بالحجج والبراهين عن خللها وخطئها وزللها ، ووهاء مبناها ، وتهافت دعواها ، وبضدها تمييز الأشياء ، كما يقال !!

ونقول : إن منهج القرآن الكريم فى عرض العقائد والأديان والمذاهب الأخرى كان موضوعياً منهجياً ، تمثل ذلك فى عرضه الأمين الدقيق المستوعب لمقالاتها ، كما هى

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

كان بكل غريب

والعجب من طائفة متمسكة بغير هذا الحق
الواضح فقهه وناربه هذا الخرماء
أما ما وعدناه في بيان عدم دلالة النصوص

على التشريع وعدم حملها على ما يرد من صحيح
الكتاب والجمع بين ما اعتقد من مشابهة
تفاصيل ذلك وجه الله جعلنا الله

من امتدني نور هدايته وعصم عن الخطأ
في القول والعمل شوقه وعنايته
وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه

خير الكتاب محمد وآله

مسطورة في كتبها ، أو مروية على السنة معتقياً . ثم ناقشها وفندھا ، وبين الحق وأظهره ، وبرهن عليه ، ودعا الناس إليه من خلال إبطال الباطل .

ويحسن أن نذكر بعض من ألف وكتب من علمائنا وسلفنا الصالح في علم مقارنة الأديان ، منهم :

الكندی ، والجاحظ وابن حزم والشهرستاني ، وأبو المعالي الجويني ، وأبو حامد الغزالي ، والقاضي عبد الجبار ، وأحمد بن تيمية ، والسموأل بن يحيى المغربي ، وابن القيم والقرطبي ، وأبو عبيدة الخزرجي ، والفخر الرازي ، وعلى بن محمد الباجي ، وأبو العباس أحمد بن إدريس القرافي ، ورحمة الله الهندي ، وباجه جي زادة ، والساباطي ، والجزيري ، ومحمد أبو زهرة ، وغيرهم رحمهم الله أجمعين^(١) .

(٢) منهج الدراسة :

سرنا في هذا البحث على ذكر أصحاب الأناجيل والرسائل ، شخصاً شخصاً ، مبينين الغموض والنقص الشديد في المعلومات عن حياتهم وسيرتهم ، أي الجهل بحالهم ، وبعدهم عن صاحب الرسالة ، عيسى عليه السلام ، وبالجملة بينا انقطاع سند هذه الأناجيل والرسائل .

ثم أشرنا إلى جانب مما تحتوي عليه هذه الأناجيل من تناقض وتهاوت وتكاذب وتعاقد ووهاء ، ناقلين عن كتابهم ومؤلفهم ، ومفسري أنجيلهم وشرحها ودوائر معارفهم .

(٣) يوحنا :

سنورد - في حديثنا عن يوحنا وإنجيله - نصوصاً لعلماء لاهوتيين نصاري ، ثم نعقب على ذلك ببعض ما ذكره الباحثون المسلمون في هذا الشأن إن كان ثمة مجال لذلك .

(١) يعدّ كاتب هذه السطور دراسة عن مصادر علم مقارنة الأديان ، أو الجدل الديني ضد اليهود والنصارى عند المسلمين .

يقول « جون مارش » في مقدمته لتفسير إنجيل يوحنا ، تحت عنوان (استحالة التوكيد) :

« حين نأتى لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة التى تتعلق بالإنجيل الرابع « يوحنا » وإنجيله ، نجد أنه من المناسب والمفيد أن نعتزف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة حول التعريف « بالإنجيل وكتابه » يمكن إيجاد حل مؤكد لها ...

- من كان هذا الـ « يوحنا » الذى قيل : إنه المؤلف ؟

- أين عاش ؟

- لمن من الجمهور كتب إنجيله ؟

- أى المصادر كان يعتمد عليها ؟

- متى كتب مصنفه ؟

حول كل هذه الأسئلة ، وحول كثير غيرها ، توجد أحكام متباينة ... » .

ويختم « جون مارش » مقدمته بقوله :

« ... وبعد أن تُفرغ كل ما فى جعبتنا ، نجد أنه من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، تحقيق أى شىء أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا !! » .

ويرى هذا الباحث اللاهوتى نفسه : « أنه من المستحيل الاعتقاد بأنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادى ، قام شخص يدعى « يوحنا » من الممكن أن يكون يوحنا مرقص « خلافاً لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي الصياد ، أحد التلاميذ الإثنى عشر الحواريين » .. قد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأنجيل المتشابهة (متى ومرقص ولوقا) ، فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع ، اختص بها طائفته الخاصة ، التى كانت تعتبر نفسها عالمية ، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان » (١) .

(١) John Marsh, SAINT JOHN, pp 20,80 Penguin Books 1976

وانظر للأستاذ أحمد عبدالوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية نشر مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٧٨م ص ٧٠ - ٧١ ، ٣٢١ .

وترى دائرة المعارف الأمريكية أن العقيدة المسيحية لم تستطع أن تتخلل العالم الروماني الإغريقي ، دون الارتكاز على قوة ما ورثته عن اليهودية والتأثر بالثقافة الجديدة المحيطة بها ، وأن التأثير الإغريقي في المسيحية له شواهد ، ذلك أن الفقرات الأولى من صدر إنجيل يوحنا ، إنما تشير بوضوح إلى أسلوب شعري رواقى فلسفى فى : الكلمة (١) .

ويرى « جرانت » : « أن يوحنا كان مسيحياً ، وبجانب ذلك كان هليينياً ، ومن المحتمل أن يكون يهودياً ، ولكنه شرقى أو إغريقى ... ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب فى أنطاكية أو أفسس أو الإسكندرية أو حتى روما ، فإن كلا من هذه المدن كان مركزاً عالمياً للدعاية العقائدية فى القرنين الأول والثانى من الميلاد ، كما كانت على اتصال ببعضها » (٢) .

ويرى الدكتور جرانت أن إنجيل يوحنا يعتبر تقدماً درامياً لحياة يسوع ورسالته وموته وتمجيده ، وأنه كتب بغرض التعليم والعبادة فى الكنائس ، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة ، وهو يختص بموضوعات كانت محل جدل فى العالم المسيحى الأسمى (غير اليهودى) فى نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثانى ، عندما انتشرت نظرية (غنوصية) حاولت أن تزيد من تيجيل المسيح ، فجعلته شبحاً بلا وجود ، أو مخلوقاً إلهياً تجسد مؤقتاً ، ولم يعان عذاباً ولم يذوق الموت !!

ويرى : أن من المعتقد أن يوحنا كان على علم بوجود الأنجيل الثلاثة المتشابهة ، وأنه قد كتب إنجيله ليكملها أو ليصححها !! (٣)

ويسأل الدكتور موريس بوكاى (٤) : من هو المؤلف ؟

يجيب قائلاً : المسألة موضوع نقاش طويل ، وقد طرحت آراء شديدة الاختلاف فى هذا الشأن .

(١) ENCYCLOPAEDIA AMERICANA, 1959

(٢) انظر : (الأنجيل ، أصلها وتطورها) للدكتور فريدريك كالفتر جرانت أستاذ الدراسات اللاهوتية فى الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك ط لندن ١٩٥٧ ص ١٧٤ ، ١٧٨ .

(٣) انظر : المصدر السابق : ص ٢ ، ٣ ، ١٥٦ ، ١٦٦ .

(٤) صاحب الدراسة الجيدة عن الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، الذى ترجمته ونشرته دار المعارف بمصر ١٩٧٨ م .

وينقل عن (أ . كولمان) قوله: مُزَوَّر.

إن كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حالياً (لإنجيل يوحنا) ينتمى إلى أكثر من مؤلف واحد ، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذى نملكه اليوم ، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف ، وأنهم قد أضافوا إليه (١).

ويعلق الدكتور موريس بوكاي قائلاً :

« ودون ذكر الافتراضات الأخرى التى قدمها المفسرون ، فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين ، والتى أوردناها هنا عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع ، تشير هى وحدها إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب !!

ويذكر : أن القيمة التاريخية لروايات يوحنا ، موضع نزاع كثير ، فالأمور التى تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة !!

ويعلل أ. كولمان هذه الاختلافات الصارخة : أن ليوحنا مرامى لاهوتية تختلف عن مرامى المبشرين الآخرين !!

وأمام هذه الاختلافات - بين الأناجيل - والتى يصفها بوكاي بأنها على جانب كبير من الأهمية ، يسأل :

« إذن فمن يجب أن نصدق ؟ أنصدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا (٢) .

أما دائرة المعارف البريطانية فقد كتبت أكثر صراحة ووضوحاً ممن سبق ، إذ جاء فيها :

« أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك ، كتاب مُزَوَّر ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحوارين بعضهما لبعض ، وهما القديسان : يوحنا بن زبدي الصياد ومتى .

وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الحملة على علائها ، وجزمت بأن الكاتب هو : يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً ، مع أن صاحبه غير يوحنا « الحوارى » يقيناً ،

(٧) المصدر السابق ص ٩٠ - ٩١ .

(٨) انظر : المصدر السابق ص ٩٢ - ٩٣ .

ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة ، التى لا رابطه بينها وبين من نسبت إليه .

وإننا لنشفق على الذين يذلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفلسفى - الذى ألّف هذا الكتاب - فى الجيل الثانى - بالحوارى يوحنا الصياد الجليل ، وإن أعمالهم تضيع عليهم سُدىّ لحبطهم على غير هدى^(١) .
وينقل الإمام محمد أبوزهرة - رحمه الله - فى كتابه القيم^(٢) ينقل عن (استاذلن) قوله :

« إِنَّ كَافَّةَ إِنْجِيلِ يوحنا تَضَيَّفُ طَالِبٍ مِنْ طَلَبَةِ مَدْرَسَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ »^(٣) .

وإنكار علماء النصرانية لنسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الصياد الحواري ، ليست وليدة هذه العصور المتأخرة فحسب ، بل « ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى ، إذ أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري ، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب ، تلميذ يوحنا الحواري ، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتماً تلميذه بوليكارب ، ولأعلم تلميذه أرينيوس ، ولأعلن هذا الأخير تلك النسبة عندما شاع إنكارها^(٤) .

وفى الواقع أن لهذا الإنجيل شأنًا وخطراً أكثر من غيره لأنه الإنجيل الذى تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح ، فهذا الألوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها ، ولذلك كان لابد من العناية به ، فالتثليث هو شعار النصرانية وأساس التباين بينها وبين ديانة التوحيد .

ولقد اختلف الباحثون من النصارى حول تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بيناً ، :

(١) (JOHN) 1960 , ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA .

(٢) (محاضرات فى النصرانية) نشر دار الفكر العربى ط ٣ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ٥٨ ، ومدرسة الاسكندرية مدرسة فلسفية هلينية (مزجت بين الفلسفة اليونانية القديمة والفلسفات الشرقية الأخرى) وكان من أبرز أساتذتها (أمينيوس) المتوفى سنة ٢٤٢ م ، و (أفلوطين) المتوفى سنة ٢٧٠ م ، وقد كان الأول نصرانياً فارتد إلى الوثنية ، أما الآخر فقد درس فلسفة اليونان ، ثم رحل إلى فارس والهند واستقى من هناك البوذية والبراهمية .

(٤) المصدر السابق : ص ٥٨ .

فالدكتور (بوست) (وهو من المؤمنين المتعصبين بأن هذا الإنجيل قد كتبه يوحنا الحواري) يرجح أنه كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ ، أو سنة ٩٦ ميلادية ، ويقول : « هورن » في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل : ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ ، أو ٦٩ ، أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد^(١) .

ويقول الإمام محمد أبو زهرة - معتمداً على المصادر المسيحية - : « إن هذا الإنجيل قد كتب لغرض خاص ، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة ، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلاً يتضمن بيان هذه الألوهية ، فكتب هذا الإنجيل »^(٢) .

ويصرح بهذا كل من جرجس زوين ، ويوسف الخوري ، وصاحب كتاب مرشد الطالبين ، يقول الأول :

« إن شيرينطوس وأيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلّا إنساناً ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم ، فلذلك اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا ، واتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح »^(٣) .

ويرى الثالث أن : « المقصد بكتابته هو إفناء لبعض هرطقات مفسدة ، أشهرها معلمون كذبة ، في شأن ناسوت المسيح وموته وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقيانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديتهم ومخلصهم ... »^(٤) .

أمّا اللاهوتي المعاصر الدكتور Grant فإنه يذكر في كتابه المشار إليه^(٥) : بأن « أخطر الأنواع الفلسفية الغنوصية - لا شك - هي التي أثرت بعمق في التعاليم المسيحية ، في المنطقة التي جاء منها الإنجيل الرابع ..

فنجد أن الرسول الإلهي ، أو الشاهد الذي يأتي بالمعرفة المخلصة هو المسيح ... وبالرغم من أنه دخل العالم فإنه لم يتدنس بمواد الطبيعة ، ولقد كان النور الطبيعي

(١ ، ٢) محاضرات في النصرانية ص : ٦١ ، ٦٢ .

(٣ ، ٤) ص : ٦٢ من المحاضرات .

(٥) The Gospels, Their origin and their Growth, London 1957, p.22, 160,162

والظلام لم يضمسه . إن هذا يعنى أنه لم يكن ذا جسد مادى ، فقد كان شيئاً يشبه الإنسان المادى ... إن جسده غير حقيقى » .

فالغنوصية^(٥) بأنواعها المختلفة ، وأصولها التى جلبتها من الأساطير البدائية ، ثم غلفتها بالأفكار الميتافيزيقية - قد أثرت أبلغ الأثر فى المسيحية الأولى ، فقد اعتنقها الكثيرون من المسيحيين الأوائل ، وخاصة رجال الكنيسة ، ثم ما لبث صراع الأفكار أن اشتد بين هؤلاء وهؤلاء ، وتمخض عن ذلك إنجيل يوحنا ، وهو الإنجيل الرابع وأحدث الأناجيل ، الذى استحدث فى الكتب المسيحية الأولى تعبيرات فلسفية جديدة مثل : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ... كل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء مما كان .. »

كان فى العالم ، وكون العالم به ، ولم يعرفه العالم ..

والكلمة صار جسداً وحل بيننا .. الأب الحال فى هو يعمل ..^(١) .

فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى ، وأنتم فى ، وأنا فيكم .. إلخ » .

ولكن كان من أغراض الإنجيل الفلسفى الذى أثار بشكل حاد مشكل لاهوت المسيح ، والذى أدخل فكرة الحلول - حلول الخالق فى المخلوق - واستقى ذلك من الفلسفات والأساطير القديمة ، وجعل الله فى المسيح ، وجعل المسيح فى الله ، والمسيح فى التلاميذ ، والتلاميذ فى المسيح وجعل الجميع واحداً ، والواحد شاملاً للجميع !!

أقول : لئن كان من أغراض هذا الإنجيل محاربة الفلسفة الغنوصية التى تأثر بها (بولس) وتقرير لاهوت المسيح ، فإنه ما لبث أن سقط فى الغنوصية ، ولم يستطع الفكاك منها .

(٥) الغنوصية نزعة خطيرة تسربل بالروحانية ظاهراً ، وهى فى حقيقتها مادية خالصة ، وقد عملت على مزج الفلسفة اليونانية بالفلسفات الشرقية القديمة ، وسعت جاهدة إلى توجيه النصرانية وجهة التثليث والوثنية ، وحاولت - كذلك - إفساد العقيدة الإسلامية ، فبثت لدى غلاة الصوفية فكرة الحلول والاتحاد ... إلخ (انظر : نلدكتور حسن الشافعى محاضراته القيمة عن الغزو الفكرى ، التى ألقاها بكلية الشريعة بالرياض فى ١٩/٥/١٤٠٤ هـ) .

(١) انظر افتتاحية لإصحاح الأول من إنجيل يوحنا ... ص ١٤٥ . من طبعة النيروتنانت بمصر ١٩٧٠ م .

يقول أثناسيوس بوتر :

« إن الجزء الأول - وبعض أجزاء أخرى - من إنجيل يوحنا مثل : في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ... - إن هذا القول غنوصية محض ... إن تعاليم يسوع وعقيدته وإيمانه الشخصي ، بقدر ما نستطيع استخراجها من الكلمات التي وضعها كتبة الأناجيل - لم تكن أبداً عقيدة التثليث التي استحدثت في الغنوصية التي أنشأها بولس ومن جاء بعده .

ومن المشكوك فيه أن يكون بولس قد اطلع على المجموعة الأولى لمكونات الإنجيل الأصلي الذي تكلم عن تعاليم يسوع وأمثاله ومعجزاته في شفاء المرضى ، وهي الوثائق التي تفترض أن جزءاً منها - على الأقل - كان مصدراً للأناجيل الأربعة القانونية » (١) .

وأكتفى بهذا القدر من الكلام عن يوحنا صاحب الإنجيل الرابع ، وهل هو يوحنا ابن زبدي الصياد الحواري ، كما يذكر النصاري ، وكما يذكر أبو حامد الغزالي مجازةً للخصم لحجابه وقطعه في كتاب « الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل » أو أنه شخص آخر ؟ ولقد حرصت على أن أجمع مادة هذه الفكرة من مصادر نصرانية ، ولقد ظهر لنا أن الأمر مشكل ، وأتينا على حد تعبير اللاهوتي الدكتور جرانت لا نظفر إلا بالاحتمالات فقط .

وأكتفى بهذا ولا أتعرض لما ذكره كل من : ابن حزم (٢) ، والشهرستاني (٣) ، ورحمة الله الهندي (٤) ، وأبي عبيدة الخرجي (٥) ، وأبي المعالي الجويني في رسالته : « شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل » (٦)

(١) انظر :

Potter: The lost years of Jesusreveale New York, 1963, pp. 24,132

وانظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩ .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ٣٨ وما بعدها ، ط ٢ .

(٣) انظر : الملل والنحل ، المجلد الأول ص ٢٢٠ وما بعدها ، نشرة محمد سيد كيلاني ١٣٩٦ هـ .

(٤) إظهار الحق .

(٥) مقامع هامات الصليبان ، حققه د. محمد شامة ونشره بعنوان : « بين الإسلام والمسيحية » نشر مكتبة

وهبه بمصر ١٩٧٢ م .

(٦) نشرها بمصر د. أحمد السقا ، سنة : ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

وأختم كلامى بإيراد فقرة من دائرة المعارف الأمريكية ، تقول فيها :

« إن هناك مشكلة هامة وصعبة تنجم عن التناقض الذى يظهر فى نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع . والثلاثة المتشابهة !! إن الاختلاف بينها عظيم ، بحيث إنه لو قبلت الأنجيل الثلاثة المتشابهة باعتبارها صحيحة ، وموثوقا بها ، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا !! » (١) .

ولقد كانت عقيدة التثليث التى تضمنها إنجيل يوحنا ، هى ما قبلته الكنيسة فيما بعد ، رغم مخالفتها للكثير مما فى الأنجيل المتشابهة ، بل رغم مخالفتها لعقيدة التوحيد التى تضمنها هذا الإنجيل نفسه (٢) .

وأخيراً ، نعيد تساؤل الدكتور موريس بوكاى وحيرته : « إذن فمن نصدق ؟ أنصدق متى ؟ أم مرقس ؟ أم لوقا ؟ أم يوحنا ؟ !! » (٣) .

(٤) بولس :

إنّ « لبولس » هذا لشأننا فى النصرانية الراهنة ، فهى تنسب إليه أكثر مما تنسب إلى أحد سواه ، فرسائله هى التى شرحتها ، وقعدت أهم قواعدها . ورسائله هى :

١ - رسالة بولس إلى أهل رومية .

٢ - رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس .

٣ - رسالته الثانية إلى أهل كورنتوس .

٤ - رسالته إلى أهل غلاطية .

٥ - رسالته إلى أهل أفسس .

٦ - رسالته إلى أهل فليبي .

٧ - رسالته إلى أهل كولوسى .

(١) انظر ج ١٣ ص ٧٣ .

(٢) انظر : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩ .

(٣) ص ٩٣ من : الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة

٨ - رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي .

٩ - رسالته الثانية إليهم .

١٠ - رسالته الأولى إلى تيموثاوس .

١١ - رسالته الثانية إلى تيموثاوس .

١٢ - رسالته إلى تيطس .

١٣ - رسالته إلى فلاديمون .

١٤ - رسالته إلى العبرانيين .

وقد كان - بنشاطه الجهم وتطوافه في الأقاليم مشرقاً ومغرباً ، لا يستقر في مكان على نية الإقامة فيه ، بل على قصد الرحيل إلى غيره - أشد دعائها .

وقد تأثر المسيحيون خطاه ، وتعرفوا أخباره وأقواله - ما دونه منها في رسائله ، وما ألقاه في الجموع - وتناقلوه ، إن لم يدونه هو ، وتأثروا أعماله فاحتنوا حذوه ، وسلكوا مسلكه (١) .

ولكن ما اسم هذا الرجل الخطير ؟ وأني مولده ؟ وما جنسيته ؟ وماذا كان موقفه من اتباع المسيح قبل أن ينتصر ويصبح رسولاً ملهماً - بزعمهم - يكتب الرسائل المقدسة ويشير بالتعاليم ؟

وما الذي أضافه إلى النصرانية ؟ وما أثر ذلك في مسيرتها ؟

يشغل تفصيل حياة بولس وأعماله مساحة كبيرة من (سفر أعمال الرسل) جاء في الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني والعشرين منه :

« أنا رجل يهودي ، ولدت في طوسوس كيليكية ، ولكن ربيت في هذه المدينة ، (يقصد أورشليم) » .

فهو هنا يهودي ، وهناك تصريح آخر في السفر ذاته بأنه يهودي فريسي ... جاء في الإصحاح الثالث والعشرين ٧ : ٩ .

(١) انظر : محاضرات في النصرانية ، ص ٨٢ .

ولما علم بولس أنَّ قسماً منهم صدوقيون^(٥) ، والآخرون فريسيون ، صرح في المجتمع : أيها الرجال الإخوة ، أنا فريسي ، على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم ، ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين^(٥٥) وبين الصدوقيين ، وانشقت الجماعة ؛ لأن الصدوقيين يقولون : إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك » .

والسفر نفسه - سفر أعمال الرسل - يقص علينا أن أصله - أصل بولس - روماني .

جاء في الإصحاح الثاني والعشرين ٢٦ : ٢٩ ما يلي :

« فلما مَدَّوهُ للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضي عليه ، فإذا سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً : انظر ماذا أنت مُزْمِعٌ أن تفعل : لأن هذا الرجل روماني ، فجاء الأمير فقال : قل لي : هل أنت روماني ؟ فقال : نعم »

وتأمل كيف يكون الخلط والخبط في سفر واحد مقدس حول شخص واحد هو بولس !!

اسمه :

وكان اسمه قبل أن يتنصر شاول ، ذكر هذا في غير ما موضع من سفر أعمال الرسل^(٦) .

(٥) فرقة يهودية قديمة ، نسبتها إلى صادوق أحد كبار الكهنة في زمن داود عليه السلام ، فهم من سلالة . قد ظهرت هذه الفرقة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي مائة وخمسين عاماً ، ونادت بقبول اليهودية كمعتقد فقط ورفض تحريفات الكهنة وتزييفاتهم (انظر للمسؤول بن يحيى المغربي ٥٧٠ هـ . إfachام اليهود بتحقيقنا وتعليقنا) .
(٥٥) هم الفرقة المضادة للصادوقيين ، فهم أنصار التحريف القائمون به ، الطاعون إلى عزل اليهود كجنس متميز مختار عن باقي أجناس العالم (الجويم) (انظر : إfachام اليهود) وانظر : ترجمة الدكتور علي سامي النشار لكتاب جورج قيدا : مقدمة للفكر اليهودي في العصر الوسيط ص ١٨ وما بعدها ، الإسكندرية ١٩٧٢ م .

(١) انظر مثلاً : الإصحاح الثاني والعشرين : ٨ ، وأول الإصحاح التاسع ، ٢٧ منه ، وكذلك الإصحاح الثامن ٤ ... إلخ .

عداؤه للنصرانية :

تكفل سفر أعمال الرسل بتجلية هذه النقطة ، فقد جاءت فيه عبارات مفصلة تبين أنه كان شديد العداء والخصومة للنصرانية ، شديد التعذيب والتكيل بأتباعها ومعتنقها ، ولقد جاء فيه :

« وأما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق .. إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق ، رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى «أورشليم»^(١) .

سوفى الإصحاح الثامن :

« حدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم . فتشتت الجميع في كُور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ، ويخرب رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن »^(٢) .

تنصُّره :

ليس من الغريب أو المستبعد أن يتحول قلب من الكفر إلى الإيمان ولكن من غير المتوقع أن يتحول رجل من الكفر والعداء العميق وتعذيبهم والتحريض عليهم والتكيل بهم ، إلى أن يؤمن ، وأن يصبح رسولاً ملهماً ، يوحى إليه ، يكتب الرسائل وينشر الدعوة ويشر بها !!

أى إن الغريب هو أن يتحول إلى رسول يوحى إليه^(٣) بالروح القدس ؛ كما أن

(١) انظر : أول الإصحاح التاسع .

(٢) ويصرح بولس في رسالته إلى أهل غلاطية قائلاً لهم : « فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية ، أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثير من أترائي في جنسى ، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آباءى » (١ : ١٤/١٣) .

(٣) يعترف بولس بأنه لم يأخذ إنجيله من بشر ، ولا من رسل سابقين ، أو معاصرين له (غلاطية ١ : ١١) ولكن كتبه وبشر به في العالمين بناء على وحي إلهي وإعلان من يسوع المسيح ، ويقول في الرسالة نفسها (١ : ١٧/١٦) : « ولكن ما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم ، لوقت لم استشر خماً ودماً ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلوا بل انطلق ليشر برسالته وكتبه .

القصة التي وردت في سفر أعمال الرسل - وهي تخبرنا بهذا التحول المفاجيء لمغريب - تدفع القارىء إلى الوقوف عندها فاحصاً متأملاً . جاء في الإصحاح الثاني العشرين على لسان بولس مخاطباً اليهود :

« وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدتُ هذا الطريق (النصرانية) حتى الموت مقيّداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساءً ، كما يشهد لى أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذتُ أيضاً منهم رسائل للأخوة إلى دمشق ، ذهبت لآتى بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا » .

هذا هو بولس ، وهذا هو موقفه من النصرانية ومن معتنقيها ... تعقبهم للقبض عليهم وسجنهم والتنكيل بهم ، وبقية النص تعرض علينا الحدث المفاجيء التالي :

« فحدث لى وأنا ذاهبٌ ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار ، بغتةً ، أبرق حولى من السماء نورٌ عظيم ، فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لى : شاول .. شاول ، لماذا تضطهدنى ؟

فأجبت من أنت يا سيد ؟

قال لى :

أنا يسوع النَّاصِرَى الذى أنت تضطهده ، والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى ، فقلت : ماذا أفعلُ يارب ؟ فقال لى الرب : قم واذهب إلى دمشق ، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل . (٤ : ١١) .

بولس والتلاميذ :

« ولما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم^(١) حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان

(١) يصرح بولس أنه صعد إلى أورشليم بعد ثلاث سنوات من تنصره ، وهناك التقى ببطرس وقضى معه خمس عشرة يوماً (غلاطية ١٨/١ - ١٩) ثم التقى يعقوب كذلك . ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم - مع برنابا - أخذاً معى تيطس أيضاً ، وإنما صعدت بموجب إعلان ، وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم ، ولكن بالإنفراد ، على المعتبرين : لئلا أكون أسمى أو قد سعت باطلاً . (غلاطية ٢ : ١ - ٢) . ونحن نسأل : ما هو هذا الإعلان الذى صعد بولس بموجبه إلى أورشليم ؟ ولماذا عرضه عليهم على انفراد؟! مع أن عيسى عليه السلام كلم الناس علانية [يوحنا ١٨ : ٢٠/١٩]

الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل» (١)

وأما برنابا - «الذى كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان» (٢) - فهو الذى كان - فى مواقف كثيرة يرسله التلاميذ مندوباً عنهم ، وهو الذى صاحب بولس فى كثير من رحلاته التبشيرية - فعل لبث أن تشاجر معه بولس ثم افرقا بعد أن تبين أن لكل منهما آراءه الخاصة فى التعاليم المسيحية والدعوة إليها .

« فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر فى البحر إلى قبرص ، وأما بولس فاختر سبيلاً وخرج ، وخرج مستودعاً من الأخوة إلى نعمة الله ، فاجتاز فى سورية وكيليكية يشدد الكنائس » (١٥ : ٤٠) .

تشير هذه النصوص بادية ذى بدء إلى شك التلاميذ وريبتهم فيه وتوجسهم منه ، وتوضح صدق بصيرتهم فيه ، إذ سرعان ما تشاجر مع من قدمه إلى التلاميذ وشهد له عندهم !! كما أن يعقوب (ويسمونه أخ الرب) قد عارضه واتهمه بأنه يعلم الناس الباطل (٣) .

« أهمية رسائل بولس » :

إن أقدم الأسفار المسيحية التى قبلتها الكنائس الأولى ، كانت رسائل بولس ، ذلك الداعية الذى لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، لكنه أعلن فجأة تحوله إلى المسيحية بطريقة ارتاب فيها رسل المسيح وتلاميذه بحسب كتبهم !!

لقد كتب رسائل بولس أو أغلبها ما بين سنتى (٥٠) و (٦١) ميلادية طبقاً لجدول د. فريدريك جرانث (٤) .

(١) أعمال الرسل ٩ - ٢٦/٢٧ .

(٢) أعمال الرسل : ٢٤/١١ .

(٣) جاء فى رسالة يعقوب (٢ : ٢١ - ٢٤) : « هل تريد أن تعلم أيها الانسان الباطل ؟ أن الإيمان بدون أعمال ميت ، ألم يبرر ابراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحاق ابنه على المذبح (هذا زعمهم الباطل !!) ؟ فترى أن الإيمان عمل من أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان .. » ومعروف أن رأى بولس يرمى إلى أن الإنسان إنما يتبرر (أى يصير مبروراً) بالإيمان وحده . (انظر : رسالته إلى أهل غلاطية ٣ : ١ - ١٠) .

(٤) الأنجيل : أصلها وتطورها ، (مصدر سابق) ص : ٢٠ - ٢١ .



وأقدم الأناجيل هو إنجيل مرقس ، قد كتب بعد صعود المسيح نحو إلى ٣٥ سنة ،
وأن أحدث الأناجيل ، وهو إنجيل يوحنا . قد كتب بعد المسيح نحو إلى ٧٠ أو ٩٠ سنة .

ولقد كتب بولس رسائله قبل كتابة أقدم إنجيل بفترة تصل إلى خمس عشرة سنة .

نظرية بولس في الصلب والفداء :

لقد تبنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر ، وروج لها في رسائله - تلك الرسائل التي لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من خمس عشرة سنة .

لقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على ألا يعرف من المسيحية شيئاً غيره .

يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (٢ : ٢) :

« لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » .

ويقول : (١٥ : ١ - ٣) كورنثوس الأولى :

« أعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه .. فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » .

ويني بولس نظريته هذه على أساس عقيم ، هو أن الناموس الإلهي ليس فيه بر ولا عدل ، يقول في رسالته إلى غلاطية ٢ : ٢١ :

« إن كان بالناموس بر فالناموس إذن مات بلا سبب » .

ذلك ، والأناجيل تصرّح بغير ما يذكره بولس :

جاء في إنجيل متى ، الإصحاح الخامس : ١٧ - ١٩ : على لسان المسيح :
« لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » .

فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .. » .

وعندئذ تركه يسوع ، وحمل بولس بعيداً ، وأراه الثمن ، وأرسله ليكرز بأننا اشترينا بهذا الثمن ، وإن كل من يؤمن بيسوع فقد بيع عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب .

هذه ثمرة من ثمار بولس !!! وهذا غرسه !! (٤٠) .

كنت أود أن أورد بعض ما كتبه الإمام ابن حزم والدكتور موريس بوكاي عن بولس ، لكنني عدلت عن ذلك إلى إيراد فقرة يعترف فيها بولس ببعجه أمام شهوات الجسد وبضعف إرادته ، فيقول :

« لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريده ، بل ما أبغضه فأياه أفعل ... »

إني أعلم أنه ليس ساكناً فني ، أي في جسدي شيء صالح لأن الإرادة حاضرة عندي ، وأما أن أفعل الحسنی فلست أجد ، لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده ، بل الشر الذي لست أريده فأياه أفعل ... لكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ، ويسببني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي .. » (٤١) .

وهو الذي يقول :

« أظن أنا أيضاً عندي روح الله » (٤٢) .

« كل الأشياء تحل لي ... » (٤٣) .

وهو الذي قال عن الله :

« الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله » (٤٤) .

« جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس » (٤٥) .

(٤٠) نقلت هذه الفقرة عن كتاب الباحث الأستاذ أحمد عبدالوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية

ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٠ .

(٤١) انظر : رسالته إلى أهل رومية : الإصحاح السابع ١٥-٢٤ . (٤٤) ٢ : ١٠ السابق .

(٤٢) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٧ : ٤٠ . (٤٥) ٢ : ١٠ السابق .

(٤٣) ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ ، السابق .

ويقول لوقا ١٦ - ١٧ :

« إن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » .
والناموس المعنى هنا هو التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام .

مركيون تلميذ بولس :

ظهر هذا التلميذ في القرن الثاني الميلادي ، وكان يعتقد بأن : إله اليهود الذي أعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم كان في الحقيقة إلهاً شريعياً !!!
وكان يعتقد أن إله المحبة قد ظهر في المسيح ، ولقد وضع مركيون إله المحبة في معارضة خالق العالم !! إله موسى .

واعتقد مركيون أن تلاميذ المسيح الاثني عشر لم يفهموه ، ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلاً يخالف إنجيل بولس ، وقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب يسوع المسيح .
من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحى خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله ، عن طريق التزوير (١) .

وينقل (أدولف هارنك) (٢) محاكمة بين إله المخلوقات والناموس ، وبين الرب يسوع ، فيقول :

« نزل يسوع إلى رب المخلوقات في هيئة لاهوته ، ودخل معه في قصاص بسبب موته . قال له يسوع : إن الديونة بيني وبينك .. شرايعك تقضى لي ، ألم تكتب في ناموسك إن من قتل يقتل ؟

فأجاب إله المخلوقات : لقد كتبت هذا ...

فقال له يسوع : سلم نفسك إذن ليدي ...

قال خالق العالم : لأنني قد ذبحتك فإني أعطيك عوضاً . كل أولئك الذين يؤمنون بك تستطيع أن تفعل بهم ما يرضيك !!

(١) أدولف هارنك « تاريخ العقيدة » ، لندن ١٩٦١ ص : ٢٧٢ ، ص : ٢٨٠ .

(٢) المصدر السابق : الموضع نفسه .

والمسيح في رأيه لعنة :

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنةً من أجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل من غُلِّقَ على خشبة » (٤٦)

والمسيح عنده - قد صلب وعلق على خشبة .

(٥) مرقس :

هناك إشارات ودراسات عن (مرقس) وإنجيله ، لكاتبين مسلمين ، على درجة كبيرة من الموضوعية والتثبت العلمى مثل :

- ماكتبه ابن حزم في كتابه المعروف « الفصل في الملل والأهواء والنحل » .
- وما كتبه الشهرستاني في كتابه : (الملل والنحل) .
- وكذلك إشارات أبى الحسن العامرى ت ٣٨١ هـ في :
(كتاب الإعلام بمناقب الإسلام) .
- وما كتبه حجة الإسلام ، إمام الحرمين ، أبو المعالى الجوينى في رسالته :
(شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل) .
- وما أورده أبو عبيدة الخزرجى في (مقاطع هامات الصليبان) .
- وكذلك ما سجله القرطبى في (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) .
- وما جاء في كتاب شيخ الإسلام الإمام أحمد بن تيمية (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح) .
- والذي ورد في (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) ، لابن القيم .

(٤٦) رسالته إلى أهل غلاطية ٣ :

- وما ذكره القرافى فى كتابه المسمى بالأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجره .
- وما كتبه رحمته الله بن خليل الهندى فى كتابه : (إظهار الحق) .
- وكذلك ما جاء فى كتاب الشيخ عبدالرحمن الجزيرى (أدلة اليقين) .
- وفيما كتبه الإمام محمد أبو زهرة فى محاضراته عن النصرانية .

أقول : لن أنقل هنا - وأنا أعرف (بمرقس وإنجيله) - عن هذه المصادر ، وأكثرها كما ذكرت على درجة ممتازة من التثبت العلمى والتحقيق الموضوعى ، وجل هذه المصادر - مخطوطة أو منشورة - بين يدى ، لكنى سأنقل عن مصادر نصرانية ، لكتاب من المتخصصين فى دراسة اللاهوت ، ومن لهم باع فى التعريف بالكتاب المقدس وتفسيره وحل مشكلاته ، أو ممن تخصصوا فى دراسة مقارنة الأديان من بينهم .

يعتبر إنجيل مرقس - من حيث الحجم - أقصر وأوجز الأناجيل الأربعة ، فهو يقع فى ثنتين وثلاثين صحيفة من الكتاب المقدس (٤٧) .

» والقول بأن منى ولوقا قد اتخذا من إنجيل مرقس مصدراً لهما يكاد يكون مسلماً به « (٤٨) .

ولكن من هو مرقس محرر هذا الإنجيل ؟

لا أحد يملك حجة أو وثيقة تعرفنا بشخص مرقس !!

وكل ما يذكر هو آراء شائعة لا حجة قاطعة عليها ، أو دليلاً مقنعاً يثبتها !!

ينقل الدكتور موريس بوكاى عن أ. كولمان - وهو باحث لاهوتى - قوله : « إن هناك كثيراً من تراكيب الجمل (فى هذا الإنجيل) تدعم الفرض القائل بأن مؤلف هذا الإنجيل يهودى الأصل » (٤٩) .

وقد كتب أ. كولمان فى كتابه (٥٠) فيما ينقل عنه بوكاى ص ٨٤ - أنه لا يعتبر

(٤٧) طبعة الروتستانت (من ص ٥٦ إلى ص ٨٩) .

(٤٨) دائرة المعارف البريطانية ص ٥٢٣ ط ١٩٦٠ م .

(٤٩) ص ٨٤ من الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة .

(٥٠) العهد الجديد المنشور عام ١٩٦٧ فى فرنسا .

مرقس تلميذاً للمسيح ، ويذكر إشارات كثيرة في العهد الجديد تتحدث عن رجل اسمه « يوحنا ويلقب بمركس » ويعلق الدكتور بوكاى على ذلك قائلاً : إن هذه الفقرات لا تذكر أنه مؤلف إنجيل ، وحتى نص مرقس نفسه لا يشير إلى ذلك .

ويرى د. بوكاى أن فقر المعلومات الخاصة بهذه النقطة قد قادت المعلقين إلى أن يأخذوا بتفاصيل تبدو وهمية ، على أنها عناصر ذات قيمة . وعن علاقة مرقس ببطرس يقول : إن التراث - النصراني - قد أراد أن يرى في مرقس رفيقاً لبطرس في روما ، وذلك اعتماداً على نهاية رسالة بطرس الأولى ، (إذا ما كان هذا الأخير هو فعلاً كاتب هذه الرسالة) !! ويقال : إن بطرس قد كتب لمن وجه رسالته إليهم قائلاً : « جماعة المختارين ببابل تحيكم وكذلك مرقس أخى » .

« بابل أى ربما روما » !! ...

ذلك ما نقرأه في التعليقات على الترجمة المسكونية ، ومن هنا يعتقد البعض أن من حقه استنتاج أن مرقس الذى كان مع بطرس بروما هو المبشر !!

ويتساءل د. بوكاى قائلاً ترى أسببُ من هذا النوع هو الذى دفع ببياس Papias ، أسقف هيرابولس ، في نحو عام ١٥٠ م ، إلى أن ينسب الإنجيل المقصود إلى مرقس الذى يقول عنه : إنه كان مترجماً لبطرس ، وإنه كان أيضاً مساعد بولس ؟! ويرى أن إنجيل مرقس - من هذه الزاوية - يكون قد تحرر بعد موت بطرس ، أى على أكثر تقدير بين ٦٥ م ، ٧٠ م حسب الترجمة المسكونية ، وفي حوالى عام ٧٠ م حسب أ. كولمان^(٥١) .

ويذكر ف . س . جرانت :^(٥٢)

« أنه لا يزال ما يرويه ببياس نقلاً عن (من يدعى) الشيخ (الذى يقال إنه يوحنا) ، هو نقطة البدء فيما يتعلق بالتحليل الكافى للنواحي التاريخية والأدبية في إنجيل مرقس - إذ يقول : هذا ما اعتاد أن يقوله الشيخ : فى الواقع أن مرقس الذى كان ترجمانا لبطرس ، قد كتب بالقدر الكافى من الدقة التى سمحت بها ذاكرته ، ما قيل عن أعمال (يسوع) وأقواله - ولكن دون مراعاة للنظام .

(٥١) انظر : الكتب القدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٥٨ .
(٥٢) صاحب كتاب : الأنجيل : أصلها وتطورها ص ٧٣ - ٧٤ .

ولقد حدث ذلك لأن مرقس لم يكن قد سمع (يسوع) ، ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه في مرحلة متأخرة ، كما قلت أنا (بيباس) من قبل ، قد تبع بطرس الذي اعتاد التوفيق بين تعاليم (المسيح) والمطالب ... !!

ويتفق مع قول بيباس هذا ، ما اقتبسه إيرنييوس في قوله : بعد موت بطرس وبولس في الاضطهاد الذي حدث في روما تحت حكم نيرون ، فإن مرقس - تلميذ بطرس وترجمانه - سلم إلينا كتابة ما صرح به بطرس .

ويعلق د. أ. نينهام - الأستاذ بمعهد اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة (بليكان) لتفسير الإنجيل (٥٣) :

« لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وخاصة (يسوع) ، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى ... ومن غير المؤكد صحة القول المأثور ، الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل ، بأنه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل ١٢ : ٢٥ ، ١٢ ، أو في رسالة بطرس الأولى ٥ : ١٣ ، أو في رسالة بولس إلى كولوس ٤ : ١٠ ، أو في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٤ : ١١ .

ويعلق الأستاذ نينهام قائلاً : لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد ، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم !!

ولكن إذا تذكرنا أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية ... عندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة » .

من ذلك يتضح أن أحداً من علماء النصرانية لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، وإن كان الرأي الشائع أنه كان من تلاميذ بطرس وتابعيه ... ويرى د. جرانت أن هذا الرأي الشائع من الموروثات الغريبه ، وهو يشبه - في غرابته - استنتاج القديس أو غسطين الخاطيء بأن مرقس كان واحداً من الذين تبعوا متى ، واختصروا إنجيله (٥٤) .

(٥٣) في كتابه : تفسير إنجيل مرقس المطبوع في إنجلترا عام ١٩٦٣ ص ٣٩ .

(٥٤) الأناجيل : أصلها وتطورها : ص ٧٤ .

وكما أن صاحب هذا الإنجيل ، مجهول الهوية فإن تاريخ كتابة هذا الإنجيل محل جدل وعدم اتفاق ، يقول نينهام :

« إنه غالباً قد كتب في الفترة ما بين ٦٥ - ٧٥ م ... ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ م ^(٥٥) ويقول هورن : « ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ م وما بعدها إلى سنة ٦٥ م » ^(٥٦) .

وعن اللغة التي حرر بها هذا الإنجيل ، فهي اللغة اليونانية ، يقول ابن البطريق : « وفي عصر تارون قيصر كتب بطرس رئيس الخواريين إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ، ونسبه إلى مرقس » ^(٥٧) .

ويرى د. بوست في قاموس الكتاب المقدس أنه كتب باليونانية ، ^(٥٨) ويكاد يجمع الدارسون على أنه قد كتب باللغة اليونانية ، فيقول أ. كولمان : ان وجود المناحي اللغوية اللاتينية يوحى بأنه قد كتب إنجيله في روما . ^(٥٩) .

ويُلفت (فردريك جرانت) الانتباه إلى خشونة وعامية اللغة الإغريقية التي حرر بها هذا الإنجيل ^(٦٠) .

ويرى د. موريس بوكاي : « أن نصَّ هذا الإنجيل يظهر عيباً رئيسياً أولاً لا جدال فيه ، فلقد حرر دون أى اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث ... كما أن هذا المبشِّر يبرز افتقاراً كاملاً للمعقولية » .

وينقل عن الأب روجي قوله : « إن مرقس كان كاتباً غير حاذق ، وأكثر المبشرين ابتذالاً ، فهو لا يعرف أبداً كيف يحزر حكاية ... » ^(٦١) .

ويذكر علماء النصارى أن في هذا الإنجيل - كغيره من الأناجيل - معضلات

(٥٦) عن الإمام محمد أبى زهرة : محاضرات ص ٥٥ .

(٥٥) نينهام ص ٤٢ مصدر سابق .

(٥٧) محاضرات ص ٥٤ .

(٥٨) محاضرات ص ٥٤ .

(٥٩) ص ٨٤ من كتاب د. بوكاي السابق .

(٦٠) جرانت مصدر سابق ص ٢٨ - ٣٠ .

(٦١) د. بوكاي ص ٨٥ مصدر سابق .

قادرة ، ليس من السهل التغلب عليها ، منها مثلاً : التناقض الداخلي في أحداثه ورواياته ، ومنها عدم اتفاق أى نسختين من النسخ المخطوطة منه على نص واحد ، إذ أن كل واحدة تخالف الأخرى .

يقول نينهام ، مفسر إنجيل مرقس :

« لقد وقعت تغيرات تعذر اجتنابها ، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ، ومن بين مئات المخطوطات ، لإنجيل مرقس ، والتي ما تزال باقية حتى اليوم ، لا نجد نسختين اثنتين تتفقان تماماً » (٦٢) .

ويرى د. موريس بوكاي : أن إنجيل مرقس يتناقض مع إنجيل متى ولوقا فيما يخص بعض الأحداث ، مثل حكاية آية يونس ، والآيات التي يعطيها المسيح للبشر أثناء بعثته ، فيسرد مرقس عنها حكاية لم تعد قابلة للتصديق (٦٣) .

وانظر هذه القصص في الإصحاح الثامن : ١١ ، ١٢ ، وقارن بينه وبين إنجيل لوقا مثلاً في الإصحاح السابق : ٢٢ ، والحادى عشر : ٢٠ .

وتمثل خاتمة هذا الإنجيل مشكلة ، فهي غير متفق عليها في النسخ المختلفة ، وتعتبر في نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد ، فقرات غير موثوق بها !!

ويجزم بوكاي بأن هذه الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين باسمي :

[Codex sinaiticus, Codex Faticanus]

اللتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع (٦٤) .

وينقل عن (أ . كولمان) مثل ذلك ، ويعلق (الأب كانيانجر) على هذه الخاتمة بقوله :

(٦٢) انظر :

SAINT MARK, Penguin Books, England, 1963 P.11

(٦٣) انظر : بوكاي ص ٨٥ - ٨٦ .

(٦٤) ص ٨٦ الكتب المقدسة لبوكاي .

« لا بد أنه حدث حذف للكتب الأخيرة عند الاستقبال الرسمي ، (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمته ... وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لثنى ولوقا ويوحنا ، تم توليف خاتمة محترمة لمرقس ، وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك ، لدى المبشرين الآخرين ... وذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التي كانوا يعالجون بها ... (الأنجيل) حتى أعتاب القرن الثاني » نقل د. موريس بوكاي ، هذا التعليق عن الأب R.P. Kannengiesser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي في باريس (٦٥) .

وهنا يحسن أن نقل تعليق د. بوكاي على كلام الأب كافينجر ، أنه يقول : « يا له من اعتراف صريح بوجود التغييرات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة !! يا له من اعتراف ، ذلك الذي تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتي الكبير !! » (٦٦) .

ويلاحظ الدارس المتتبع أن هذه الملاحظات الانتقادية ، الحديثة والمعاصرة ، التي يوجهها علماء النصارى للكتب المقدسة عندهم ، تمتد - كما ظهر لنا - إلى جانبيين رئيسين ، هما :

- جانب السند ونقده نقداً علمياً ، والتحقق من انقطاعه وعدم اتصاله بصاحب الشرع .
 - وجانب النص أو المتن ، ونقده نقداً علمياً كذلك ، وإظهار تناقضه وتدابره .
- وكما رأينا ، في الإشارات والمقتطفات السابقة التي نقلناها عنهم ، أن السند والمتن كليهما لا يثبتان أمام النقد والتمحيص العلمي المنهجي .

وأقول : إن علماء الإسلام الذين كتبوا في مقارنة الأديان عموماً ، وفي النصرانية ومصادرها خصوصاً ، هم الذين ارتادوا هذا الطريق ، وهم الذين وضعوا أصوله وعناصره . بل إن هذه الدراسات النصرانية حول الكتب المقدسة ، لم تخرج عن دائرة

(٦٥) انظر : المصدر السابق ص ٨٧ ، وقد نقل د.موريس بوكاي هذا التعليق عن الأب R.P.KANNENGISSEr الأستاذ بالمعهد اللاهوتي الكاثوليكي في باريس ، من كتابه : « الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان » الذي نشر سنة ١٩٧٤م في باريس .

(٦٦) انظر : المصدر السابق ، الموضع نفسه .

ما أثبتته وبرهن عليه علماء الإسلام منذ القرن الثالث للهجرة^(٦٧) .

وحرى بنا أن نذكر في هذا الصدد أنه ليس هناك من شك في أن لتوجيهات القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، بشأن ما يمكن أن يطلق عليه (ضوابط المعرفة) ، أثرها في بحوثهم بشكل عام ، وفي علم مقارنة الأديان بشكل خاص .

ومما يلاحظ كذلك أن كثيراً من علماء اللاهوت النصارى المعاصرين قد أخذوا في دراسة ما بين أيديهم من نصوص العهدين القديم والجديد ، بنظرة نقدية متحررة ، ولقد شدني عنوان كتاب لأربعة أساتذة في كلية اللاهوت بجامعة كمبردج ، وهو عبارة عن أربع محاضرات ألقاها هؤلاء الأساتذة جمعت تحت عنوان :

« اعتراضات على العقيدة المسيحية » .

ومما جاء في مقدمة هذا السفر :

« لقد أصبحت أساسيات العقيدة المسيحية في هذا العصر موضع ارتياب ، وأن الاعتراضات التي تقوم ضد المسيحية ، لم يعد من الممكن مواجهتها بتكرار الحجج القديمة ، أو بتلك التبريرات الواهية »^(٦٨) .

(٦) مَتَّى :

نلاحظ أن التخمين والظن وعدم التحقق هي الصفات الطاغية على كتابات اللاهوتيين النصارى حول شخصية (متى) الذي ينسب إليه هذا الإنجيل ، كما أن عدم القطع ينسحب - أيضاً - على التاريخ الذي حرر فيه هذا الإنجيل ، والمكان الذي حرر فيه ، والقوم الذين كتبه لهم !!

وان التخمين والاحتمال واضح جداً في الأسلوب الذي يعالج به المؤلفون النصارى مشكلات هذا الإنجيل ، من الناحيتين الدينية والفنية .

(٦٧) انظر مثلاً ماكتبه أبو عثان عمرو بن بحر الجاحظ في رسالته : « الرد على النصارى » ؛ ص ٢٤ من الطبعة الثانية ، من نشرة J.Finkel .

وانظر كذلك الكتب التي أشرنا إليها من قبل لابن حزم الجويني والغزالي والقراي ورحمة الله افندي وغيرهم .

(٦٨) انظر لماكينيون وفيدلر وويليامز وبيزنت : « اعتراضات على العقيدة المسيحية » المقدمة ص ٤ ، ٥ ، طبعة كمبردج سنة ١٩٦٣م « وقد صدرت من الكتاب المذكور ثلاث ضبعات في شهر واحد » .

لقد ورد ذكر (متى) في إنجيل متى مرتين اثنتين ؛ في الإصحاح التاسع/ ٩ .
« وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى ،
فقال له : اتبعنى ، فقام وتبعه » .

والمرّة الثانية التي ذكر فيها اسم متى ، فكانت ضمن قائمة التلاميذ الاثني عشر ،
انظر : الإصحاح العاشر/ ٣ « متى العشّار » .

فهل متى صاحب الإنجيل هو متى العشّار ؟ أو بعبارة أخرى : هل يذكر متى
هنا نفسه ؟ أو يصف لنا دعوة شخص آخر يدعى متى ؟

يرى مفسّر هذا الإنجيل [J.C. Fenton] في كتابه^(٦٩) « إن ربط مؤلف هذا
الإنجيل شخصيته بهذا التلميذ هي بالتأكيد خيال محض » .

ويزداد الأمر غموضاً إذا ما عرفنا أن مرقس قد ذكر في إنجيله الإصحاح الثاني
: ١٣/

« وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفى جالساً عند مكان الجباية ، فقال له :
اتبعنى ، فقام وتبعه »^(٧٠) .

يقول (فنتون) مفسر إنجيل متى : « حدث هنا تغيير هام ، فبدلاً من قول
مرقس : رأى لاوى بن حلفى - نجد متى قد غيره إلى رأى إنساناً جالساً عند مكان
الجباية اسمه (متى) .

إن اسم لاوى لم يذكر في إنجيل مرقس مرة أخرى ، كما أنه لم يُضمن قائمة الاثني
عشر تلميذاً الذين ذكرهم مرقس في (٣ : ١٦ : ١٩) ، وقد ذكر اسم متى بينهم .

فلماذا أحدث مبشرنا (متى) هذا التغير هنا ؟

إننا لا نجد أى دليل على أن اسم متى كان هو اسم التنصير للاوى . إنه من
المحتمل - ولو أن هذا مجرد ظن - أنه كانت هناك بعض الصلاة بين متى التلميذ
والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل ، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل (؟) نسب

علمه إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذي كان اسمه متى ، ويحتمل أن يكون المبشر (كاتب الإنجيل) قد اغتتم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوته أحد التلاميذ ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الاثنى عشر (متى) الذي وقّره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها » (٧١) .

ويتساءل الدكتور موريس بوكاي قائلاً :

ما هي شخصية متى .. ؟

ويجب : لنقل صراحة : إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد حواربي المسيح ، وبرغم ذلك يقدمه ... تريكو على أنه كذلك ، في تعليقه على ترجمة العهد الجديد (المنشورة عام ١٩٦٠ م ، يقول :

اسمه متى ، واسمه قبل ذلك ليفي ، وكان عشاراً أو جايلاً بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم ، عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلاميذه » .

وذلك ما كان يعتقد آباء الكنيسة مثل أوريجين وجيروم وإبيجان ، ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا !!

وهناك نقطة لا جدال فيها ، وهي أن هذا الكاتب يهودي ، فمفردات كتابه فلسطينية ، أما التحرير فيوناني ، ويقول أ. كولمان : « إن الكاتب ، أي متى ، يخاطب » أناساً يتحدثون اليونانية ، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرامية » (٧٢) .

وكذلك فإن الباحث اللاهوتي الدكتور جرانت يتفق مع موريس بوكاي ويقطع بأن :

« مؤلف إنجيل متى يهودي ولا شك وهو يختلف عن مرقس الذي لا يفهم اليهود ولا يتعاطف معهم إلا قليلاً ، كما أنه يختلف عن لوقا الذي يفهم اليهود جيداً ، ويعرف حسن إيمانهم وقوته !! لكن خلفيته الثقافية تأتي من العالم الواسع للإمبراطورية الرومانية والهللينية الشرقية ، إن متى يفهم اليهود ويتعاطف مع تطلعاتهم كرجل يهودي المولد ، إن حملته العنيفة ضد الفريسيين وريائهم لا تحجب حقيقة موقفه تجاه الناموس (التوراة) ، وهو أنه لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل - ٥ : ١٨ »

وهو لا يجامل ذلك النوع المسيحي المتحرر (من قيود الناموس) الذى يبدو أن
بشارة بولس (وتعاليمه) قد شجعت سلوكه ووجهة نظره المشئومة ... ولا يزال من
الواضح أن كلا من بولس الهللىنى ومتى المبشر اليهودى له وجهة نظر تخالف الآخر تماماً
فيما يتعلق بأعمال يسوع وتعاليمه (٧٣) .

ويقول تريكو - فيما ينقله لنا عنه بوكاى ص ٨٠

« تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهودياً : لحماً ودماً وعظماً وروحاً ، وهو
يحمل آثار اليهودية ، ويتسم بسماتها المميزة » .

ويرى بوكاى أنه لما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد ، فالأنسب هو
الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة فى إنجيل متى نفسه ، ومنها :

أن الكاتب معروف بتبحره فى الكتب المقدسة والتراث اليهودى ، وأنه يعرف
ويحترم رؤساء شعبه اليهود ، وإن أغلظ فى خطابه لهم ، كما أنه أستاذ فى فن التدريس ،
وفى إفهام قول المسيح لمستمعيه ، مع تأكيده الدائم على النتائج العملية لتعاليمه ، إنه يتفق
جيداً مع ملاح يهودى متأدب اعتنق المسيحية ، وهو معلم حاذق يخرج من كنزهِ جديداً
وقديماً .

ومع هذه الصورة التى يرسمها موريس بوكاى لمتى معتمداً فى تكوينها على
معطيات إنجيله ، يذهب إلى تأكيد وترسيخ رأيه الرامى إلى أن متى ليس تلميذاً من
تلاميذ المسيح عليه السلام ، فيقول :

« تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطى بكفر ناحوم الذى
يطلق عليه مرقس ولوقا اسم (ليفى) ، والذى أصبح واحداً من حوارى المسيح الاثنى
عشر » (٧٤) .

لغة هذا الإنجيل :

الرأى الشائع لدى كثير من الباحثين هو أن هذا الإنجيل قد كتب - أساساً -

(٧٣) « الأنجيل : أصلها وتطورها ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٧٤) المصدر السابق : ص ٨١ .

باللغة العبرية ، ثم نقل منها إلى اللغة اليونانية التي عرف بها ، لكن هذه المصادر تسكت عن ذكر المترجم أو الإشارة إليه ، اللهم إلا ابن البطريق الذى يقول :

« كتب متاوس (متى) إنجيله بالعبرانية فى بيت المقدس ، وفسره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل » .

ولم يؤيد أحد من المؤرخين ابن البطريق فى هذا ، بل إن الكثيرين منهم يقولون : « إنه لم يعرف المترجم » .

أما عن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فهى كما يذكر هورن :

« سنة ٦١ أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد » (٧٥) .

« أما (فنتون) ، فيذكر أنه قد حرر فى الفترة من ٨٠ إلى ١٠٥ ميلادية » (٧٦) .

وإن خلاف الدارسين النصارى حول المكان الذى أُلّف فيه هذا الإنجيل ، ليس بأقل من خلافهم حول شخصية متى نفسه أو السنة التى حرر فيها إنجيله !!

مضمون إنجيل متى ومشكلاته :

لن نتحدث عن القضايا التى عاجلها هذا الإنجيل بشكل مفصل ، ولكن نكتفى بأن نذكر شيئاً عن الخط العام الذى انتهجه هذا الكتاب .

يقول د. مورييس بوكاى : « يحتل إنجيل متى - بين الأناجيل الأربعة - المكان الأول فى نظام ترتيب أسفار العهد الجديد ، وهى مكانة لها ما يبررها .

فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما ، فقد كتب ليثبت أن المسيح « يكمل تاريخ إسرائيل » : يقول هؤلاء المعلقون على الترجمة المسكونية ؛ ولكى يحقق متى هذا الغرض فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم ، تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذى ينتظره اليهود ، ويبدأ هذا الإنجيل بشجرة نسب المسيح » (٧٧) .

(٧٥) انظر محاضرات فى النصيرية للشيخ أنى زهرة ص ٥١ - ٥٢ .

(٧٦) المصدر السابق ص ١١ .

(٧٧) الكتب المقدسة فى ضوء ... ص ٧٩ .

ثم يقول :

كيف يصدر الكذب ممن يعتقد فيهما أنهما معصومان بروح القدس حين حلت عليهما ؟ .

وإن كان أحدهما صادقاً ، والآخر كاذباً ، عادت الحالة حين فرضا كاذبين !! « (٨٠) » .

ولقد تناول الإمام أبو محمد ابن حزم الظاهري - المتوفى ٤٥٦ هـ - هذه المسألة بالتفنيد والرد ، قال :

« فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ، ما أفحشها وأوحشها وأقذرها وأوضرها وأرذلها وأندھا !! متى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار ، ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أباً فأباً ، ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذى ذكر متى ، حتى يخرج به إلى ناثان بن داود أخى سليمان بن داود . ولا بد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذباً ، فيكذب متى أو لوقا ، أو لابد أن يكون كلا النسبين كذباً ، فيكذب الملعونان جميعاً ، ولا يمكن البتة أن يكون كلا النسبين حقاً !! ولوقا عندهم - لوق الله صورهم ، وألاق وجوههم ولقاهم البلاء ، وألقى عليهم الدمار واللعنة - فى الجلالة - فوق جميع الأنبياء عليهم السلام ! » (٨١) .

وانظر لأبى عبيدة الخزرجى ٥٨٢ هـ تنفيده لهذا المشكل العويص (٨٢) .

ذكرت هاتين الفقرتين للإمامين الجوينى وابن حزم فى مسألة نسب المسيح عليه السلام ، التى ذكرها كل من متى ولوقا ، بشكل يغاير صاحبه ، لأثبت أن بحث العلماء المسلمين فى مقارنة الأديان كان منهجياً موضوعياً ، يعتمد على دراسة معطيات النصوص ومقارنتها ، وعلى دراسة السند واتصاله أو انقطاعه .

ولقد حذا بعض الباحثين اللاهوتيين المحدثين حذو العلماء المسلمين فى دراسة

(٨٠) انظر : شفاء الغليل ص ٤٤-٤٥ (الطبعة نفسها) .

(٨١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ج ٢ ص ١٠ وما بعدها ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

(٨٢) أبو عبيدة الخزرجى : مقامع هامات الصليبان (بين الإسلام والمسيحية) ص ١٨٠ نشرة د. محمد شامه ، مكتبة وهبة .

الأنجيل ، واعترفوا بما فيها من تناقض وتدابير يستحيل قبوله أو الاعتذار عنه . (٨٣)
وهناك مشكلات عديدة وتناقضات أخرى ، مثل :

- خطأ استشهاد بنبوءات العهد القديم التي أسرف فيها غاية الإسراف .
- ومثل توقعه نهاية العالم « قبل أن يدرك الموت بعض معاصري المسيح والذين استمعوا إلى تعاليمه .. وقبل أن يكون ذلك الجيل الذي عاصر المسيح قد فنى » (٨٤) .

وبالطبع فإن شيئاً من ذلك - كما يقول جون فنتون وكما هو واقع - لم يحدث كما توقعه متى (٨٥)

على أن بعض الدارسين قد يأخذ على الجويني وابن حزم حديثهما وعلوّ نبرتهما في أوصافهما التي رمي بها متى وغيره من أصحاب الأنجيل ، أقول لهؤلاء :

إن الباحثين اللاهوتيين المعاصرين يتكلمون نفس هذه اللغة . يقول بوكاي عن مرقس مثلاً : إنه الكاتب الغث ... وعن متى المتناقص ... اللا معقول وعن يوحنا المزور .. إلخ وانظر مثلاً أوصاف الأب كانيجسير والدكتور جرانت وفنتون وكيرد التي وصفوا بها أصحاب الأنجيل !!

(٧) بطرس :

يعتبر العهد الجديد بطرس ، واحداً من تلاميذ السيد المسيح ، أو من حواريه ، يظهر ذلك في أكثر من موضع ، منها مثلاً ما جاء في إنجيل مرقس (٨٦) .

« ودخل يسوع أورشليم والهيكل ... وفي الغد لما خرج إلى بيت عينا جاع ،

(٨٣) انظر مثلاً في مساقه اختلاف إنجيل متى ولوقا في شجرة نسب المسيح عليه السلام :

- دكتور موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص : ١٠٤-١٠٧ .

Fenton: SAINTMAT THEW, 1963, pp. 39-40

Carid. SAINTLUKE, 1963, p 19-

(٨٤) إنجيل متى ١٦ : ٢٨ - ٣٤ : ٣٤ .

(٨٥) « مصدر سبق » SAINTMATTEW, p 21 .

(٨٦) انظر : لإصحاح حدى عشر ١١-١٤ ص ٧٧ من طبعة البروتستانت بالقاهرة ١٩٧٠ م .

ويجعل متى المسيح ينتسب إلى إبراهيم (عليه السلام) عن طريق داود (عليه السلام) ، يقول في مفتتح إنجيله ، (١ : ١٧) :

« كتاب ميلاد يسوع بن داود بن إبراهيم ... » .

وينبّه حجة الإسلام أبو المعالي الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ هـ على غلط متى في الحساب (حساب الآباء) وفي نسب المسيح معاً ، إذ يقول :

« فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً ، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً » (٧٨) .

يقول الجويني :

« وهذه المباحثة وما ألزمناه من الغلط (يقصد في حساب أجيال آباء يوسف النجار) يسير بالنسبة إلى ما سنذكره من أمره وأمر صاحبه « لوقا » وذلك أنهما تباينا مباينة ناطقة بخطأ أحدهما أو خطأهما ، والعجب أن كلا منهما يزعم :

أنه سمع ما وضعه في إنجيله وتفوه به ، بعد أن نزلت عليه روح القدس ، واقتضت له العصمة من الخطأ في قوله وفعله » (٧٩) .

ويثبت الجويني رحمه الله ، شجرة نسب المسيح التي ذكرها متى وتلك التي ذكرها لوقا ، ويعلق على الاختلاف بينهما بقوله :

« هذا نسب يوسف^{الذي} (والد المسيح بزعمهم) ، ساقه لوقا هذا المساق ، وذكر آباءه شخصاً شخصاً ، منه إلى آدم .

وقد سمعت حديث صاحبه متى وما سلف منه من المباينة ، فإن كانا صادقين : لزم أن يكون ليوسف أبوان مُخْبِلَانِ لأمه ، وكذلك الكلام في كل جَدٍّ من أجداده . وإن كانا كاذبين : جاز وقوع التبديل منهما ، إمّا عمداً أو غفلة ، وحيثُ تسقط الثقة بما نقلاه ، معتقدين أنه الحق !!

(٧٨) انظر لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني : « شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل » ص ٤٢ من نشرة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء بالرياض ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م ، وانظر : إنجيل متى : ١ : ١٧ .

(٧٩) (٨٠ ، ٧٩) انظر : شفاء الغليل ص ٤٤-٤٥ (الطبعة نفسها) .

فنظر شجرة تين من بعيد ، عليها ورق ، وجاء عنه يجد فيها شيئاً ، وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد ... » وجاء في بقية النص أن :

« بطرس قال له : يا معلم ، هذه التينة التي لعنتها قد يبست ... الخ » .

وجاء في سفر أعمال الرسل ، الإصحاح الرابع : ١٣ :

« فعرفوهما (بطرس وصاحبه) أنهما كانا مع يسوع » .

ولبطرس هذا رسالتان في العهد الجديد .

تقول افتتاحية رسالته الأولى :

(بطرس رسول يسوع المسيح إلى ...) .

أما الرسالة الثانية فإن افتتاحيتها تقول :

« رسالة سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح » .

وتذكر دائرة المعارف الأمريكية أنه كان لبطرس إنجيل ، لكنه إنجيل مرفوض ، وهو من مصدر قديم ، وقيل : إنه كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة ... في الربع الأخير من القرن الثاني^(٨٧) .

ويرى جنتر لا تركوفسكي أن رسالتي بطرس تقعان في إطار الرسائل العامة ، أى التي وجهها إلى كل الكنائس ، وليست مثل رسائل بولس الموجهة إلى كنائس خاصة أو أشخاص معينين^(٨٨) .

ويحدد بوتر في كتابه :^(٨٩) .

الفترة التي كتب فيها بطرس رسالته الأولى بسنة ٩٥ ميلادية ، وكتب رسالته الثانية في سنة ١٥٠ م . وعلى ذلك يبعد أن يكون بطرس تلميذاً للمسيح عليه السلام .

(٨٧) ١ ج ١٣ ص : ٧٠-٧١ .

(٨٨) انظر : 37-31 pp. Sacred writings, 1961.

(٨٩) 21-20 pp. The Lost years of JEUS REVEALED, 1963.

ويذكر (سفر أعمال الرسل) أن بطرس كان واحداً من الرسل الملتهمين من الروح القدس .

جاء في الإصحاح الأول ١٣ : ١٤

« ولما دخلوا (أورشليم) صعدوا إلى العلية التي كانوا يقيمون فيها : بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وفيلبس وتوما وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب » .

ويعطى هذا السفر لبطرس دوراً مميزاً ، فيظهره بمظهر خطيب التلاميذ أو المتحدث بلسانهم .

انظر مثلاً ما جاء في الإصحاح السادس عشر : ١٥ .

« وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ ، وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين وقال ... » .

وكذلك في الإصحاح الثالث : ١٤ .

« فوقف بطرس مع الأحد عشر ، ورفع صوته وقال ... » .

ليس هذا فحسب ، بل إن هذا السفر يظهر بطرس على أنه رسول صاحب معجزات خارقة للعادة ، فهو يمت ويشفى من العرج المزمن ويرى المفلوج .. إلخ (٩٠) .

كما أن هذا السفر يرينا بطرس داعية مجاهداً ومتحدياً ومظهراً لدعوة يسوع . الإصحاح الرابع : ٨ .

أما رفقة بطرس ليوحنا أو صحبة يوحنا لبطرس فإنها ماثلة في عدة مواضع من سفر أعمال الرسل (٩١) .

ولكن من هو مؤلف (سفر أعمال الرسل) الذي أمدنا بهذه المعلومات ، وذكر أمر الرسل وإلهامهم وأعمالهم وأخبارهم ... وذكر من بين هؤلاء بطرس ؟

(٩٠) انظر : الإصحاح الثالث ١ : ١٢-الإصحاح التاسع ٣٢ : ٣٤ .

(٩١) انظر : الثالث : ١-الرابع : ١٣ ، ١٩-الثامن : ١٤ .

يذكر د. موريس بوكاي : إنه يقال : إن « لوقا » هو كاتب هذا السفر^(٩٢) .

أما لا تركوفسكي فيعتبر سفر أعمال الرسل ملحقاً للإنجيل الثالث ، إنجيل لوقا ، أو بعبارة أخرى فإنه يكون الجزء الثاني من رواية لوقا .

ويشبه هذا السفر الأناجيل من حيث إنه لا يهتم بالتاريخ أو الترتيب الزمني للأحداث ، فالغرض منه تسجيل أعمال التلاميذ ، وبيان كيفية تكوين الكنيسة الأولى ، كما أنه يهاجم الوثنية ، ويميز توسع حركة التبشير بالمسيحية^(٩٣) .

ولكن من هو لوقا ... مؤلف سفر أعمال الرسل كما يذكر بعض الكتاب ؟

وهل كان لوقا من تلاميذ المسيح عليه السلام ؟

وهل كان ملهماً ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يرجع إلى ما سجلناه عن لوقا .

ومما يجدر أن ننبه عليه هنا ، هو أن لوقا كان المصدر الوحيد الذي ذكر أمر الرسل ، وأمر رسالتهم ، وأمر إلهامهم !!

وهذا يدفعنا إلى التحقيق والتدقيق حول شخصية لوقا !!

ومما يذكر هنا أيضاً ، أن لوقا يزعم أن بطرس كان رسولاً ، ويوهم كلامه بأنه كان صاحب رسالة مطلقة ، بينما بطرس نفسه يصرح بأنه ليس إلا رسول يسوع المسيح ، يصرح بهذا في مفتتح رسالتيه ، يقول :

«بطرس رسول يسوع المسيح ...»

« سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله ... » .

(٨) لوقا :

اختلف الباحثون في شخصية لوقا ، وفي صناعته ، وفي القوم الذين كتب لهم

(٩٢) الكب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص : ٦٧ .

(٩٣) ص : ٣١ ، ص ٣٧ من المصدر السابق .

إنجيله ، وفي تاريخ تأليفه ، واتفقوا على نقطتين ، هما : أن لوقا ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه ، وأنه قد حرر إنجيله باللغة اليونانية .

وإن لافتتاحية إنجيل لوقا أهمية كبيرة ، ذلك أنها تلقي ضوءاً ساطعاً على ما كان يحدث في صدر المسيحية ، فيما يتعلق بتأليف الأناجيل ، يقول لوقا :

« إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانيين وخداماً للكلمة^(٩٤) رأيت أنا - أيضاً - إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالي إليك ، أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمْتُ به .

كان في أيام هيرودس ملك اليهودية ، كاهن اسمه زكريا من فرقة إيثا وامراته ... » [الأول : ١ : ٥] .

تقدم لنا هذه الافتتاحية عدة ملاحظات منها :

- أن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى ثاوفيلس ، وأن هذه الرسالة تكتب على التوالي ، حسبما تتوفر لها ظروف وإمكانات الكتابة .

- وأن هذا العمل قام به لوقا بدافع شخصي بحث ، بغية أن تصل المعلومات التي أعلم بها إلى ثاوفيلس ، ولم يدَّعِ الرجل أنه قد كتبها بإلهام أو مسوقاً من الروح القدس !! أو أنه كتبها لأنها الحق المقدس ، بل يقرر صراحة أن معلوماته جاءت لاجتهاده الشخصي ، حيث إنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق .

- يقرر لوقا كذلك أن كثيرين قد أخذوا في تأليف أناجيل .

- كما يعترف بأنه لم ير المسيح ، ولم يتلمذ عليه ، لكنه كتب رسالته عن المسيح إلى ثاوفيلس بناء على المعلومات التي تسلمها من الذين عاينوا المسيح ، وكانوا في خدمته .

هذا ومن المعلوم أن سفر أعمال الرسل - وهو أطول أسفار العهد الجديد - هو الجزء الثاني من رسالة لوقا إلى ثاوفيلس ، بعد أن اعتبر الجزء الأول منها إنجيلاً ، صار

(٩٤) الكلمة هنا يعنون بها يسوع المسيح عليه السلام .

يعرف باسم إنجيل لوقا ، ذلك أن سفر أعمال الرسل يبدأ بقول لوقا :

« الكلام الأول الذى أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذى ارتفع فيه ... » (٩٥) .

ولقد حاول العلماء معرفة من يكون ثاوفيلس هذا الذى كتب إليه لوقا رسالتيه :

إنجيل لوقا ، وأعمال الرسل ، لكن جهودهم - فى هذا الصدد - لم تصل إلى نتائج محققة ، ولم يتعد الأمر تقديم فروض وتخمينات . يقول الدكتور فريدريك جرانت :

« لم نخطر بمن يكون ثاوفيلس هذا ، وقد يمكن افتراضه موظفاً رومانياً ... كذلك لم نخطر بمن أولئك الكثيرين الذين أخذوا فى تأليف قصص مماثلة (أناجيل) » (٩٦) . وليست شخصية ثاوفيلس فقط هى التى تثير مشاكل لدى الباحثين ، وإنما شخصية لوقا نفسه تثير أيضاً مثل هذه المشاكل فمن هو لوقا ؟

يقول جورج كيرد :

« إنه من النادر ذكر لوقا كشخصية بارزة فى سجلات التاريخ للقرن الأول من المسيحية ... وإن كانت الفكرة السائدة لدى الكتاب (النصارى) الأقدمين ، هى أن مؤلف الإنجيل كان لوقا الطبيب الذى يذكره بولس كصديق ورفيق فى رسائله : (كولوس ٤ : ١٤ ، فليمون ٢٤ ، تيموثاوس ٤ : ١١)

وإن كليمنت السكندري ، ترتليان ، وأوريجين ، وإيزبيوس وجيروم ، كل هؤلاء يعتقدون بأن لوقا هو المؤلف . ويضيف الأخير ، أنه من أنطاكية » (٩٧) .

ويذكر د. موريس بوكاي :

لقد أراد بعضهم التعرف على هويته فى شخصية الطبيب الذى يحمل اسم لوقا ، والذي يذكره بولس فى بعض رسائله . وتلاحظ الترجمة المسكونية أن « بعضهم قد رأى

(٩٥) أعمال الرسل : ١-٢ وقارن : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص : ٦٢ ، ص ٦٣ .

(٩٦) مصدر سابق : ص ١٢١ وما بعدها .

(٩٧) SAINTLUKE, pp. 16-17

تأكيداً لمهنة الطب التي كان المؤلف يمارسها ، وذلك بسبب دقة وصفه للمرض .
وهذا تقدير مبالغ فيه تماماً ، فلوقا لا يعطى « أوصافاً » من هذا النوع إذا شئنا
الدقة ، « والمفردات التي يستخدمها هي مفردات إى إنسان مثقف فى هذا
العصر » (٩٨) .

ويذكر جورج كيرد ، مفسر إنجيل لوقا ، فى مقدمة تفسيره :

« لقد كان لوقا ينتمى إلى الجيل الثانى من المسيحيين ... وقد يوحى اهتمامه
بالأميين « غير اليهود » وتجنبه الخوض فى المسائل اليهودية البحتة ، بأنه كان أعمياً (غير
يهودى ...) (٩٩) .

فهو ليس من تلاميذ المسيح ، وليس من اليهود ، ولكنه - فيما يرى بوكاى -
وثنى آمن بالمسيحية (١٠٠) ، واتجاهه بالنسبة إلى اليهود يتضح مباشرة فهو - فيما ينقل
بوكاى عن أ. كولمان - يحذف من روايته أكثر ~~من~~ اليهودية عند مرقس ، ويبرز
كلمات المسيح فى مواجهة كفر اليهود ، وعلاقاته الطيبة مع السامريين الذين يمتقنهم
اليهود .

١٦
١٠
١

على حين يقول متى فى إنجيله :

إن المسيح طلب إلى حواريه أن يتجنبوا السامريين .

وبعلق بوكاى على ذلك بقوله :

« وذلك مثال جلى - بين أمثلة كثيرة - على أن المبشرين ، يضعون على لسان
المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية !!
ويتساءل قائلاً .

(٩٨) انظر : الكذب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٨٨ .

(٩٩) ص ١٦ المصدر السابق .

(١٠٠) أى من المستجيبة على حد وصف الجاحظ فى : (الرد على النصارى) ص ٢٤ ، نشرة يوشع

فنكل ، المكتبة السلفية ١٩٤٨ م .

كيف يمكن إذن إنكار أن الأناجيل ليست إلا كتابات « خصامية »
أو « ظرفية »؟^(١٠١) .

ولوقا ، « كاتب حوليات » في رأى أ. كولمان .

و « روائى حقيقى » في نظر الأب كاننجر .

وإن إنجيل لوقا عمل أدبى ... كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية ، تخلو من
حوشى الكلام^(١٠٢) .

وعن تاريخ كتابة إنجيل لوقا ، يرى النقاد الحاليون أنه كتب ما بين عامى ٨٠
و ٩٠ م^(١٠٣) .

هذا بينما يرى (جرانت) أنه قد أصدر لوقا إنجيله حوالى عام ٨٠ ، أو ٨٥ م .
وبعد ذلك بحوالى خمس سنوات فإنه ذيل كتابه الأضلى برسالة ثانية نعرفها الآن باسم
أعمال الرسل ، لكى ترد على أسئلة المثقفين وربما كبار موظفى الرومان مثل ثاوفيلس ،
ثم نشر مصنفه فى حوالى ٩٥ م^(١٠٤) .

ولقد حدد كل من الدكتور بوست وهورن ولارون ، تواريخ مختلفة متفاوتة
لكتابه هذا الإنجيل^(١٠٥) .

مشكلات إنجيل لوقا :

ينطوى هذا الإنجيل - فى واقع الأمر - على عدة مشكلات ، على رأس هذه
المشكلات تلك التى نتجت عن تسلسل نسب المسيح كما أورده لوقا ، والاختلاف بينه
وبين التسلسل الذى أورده متى .^(١٠٦)

(١٠١) الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص : ٨٧-٨٨ .

(١٠٢) المصدر السابق ص : ٨٧ .

(١٠٣) المصدر السابق ص : ٨٨ .

(١٠٤) د. جرانت : الأناجيل : أصلها وتطورها ، ص : ١٢١ .

(١٠٥) انظر : محاضرات فى النصرانية ص : ٥٧ .

(١٠٦) انظر حديثنا عن إنجيل متى .

- وكذلك فإن ما يرويه لوقا عن طفولة المسيح ، يختلف عما يرويه متى حول الموضوع نفسه .

- وهناك مسألة سر القربان المقدس ، وهو حدث ذو أهمية رئيسية بالنسبة للمسيحيين ، على حد تعبير موريس بوكاي .

- يلاحظ الأب روجي في كتابه (مقدمة إلى الإنجيل) ، (ص ٧٥) : ^{الجيل} إن إنجيل لوقا وهو يسوق سر القربان المقدس ، الإصحاح ٢٢ - ^{الجيل} ٢٤ ، يختلف عن إنجيل متى في : الإصحاح ٢٦ - ^{الجيل} ٢٩ ، وعن إنجيل مرقس في : الإصحاح ١٤ - ^{الجيل} ٢٢ - ٢٤ ..

ويلاحظ أن الصيغة التي ينقلها لوقا تقارب كثيراً تلك التي يذكرها بولس في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثة ، الإصحاح ١١ - ٢٣ : ٢٥ (١٠٧) .

ولئن كان لوقا في صدر إنجيله يقر بأنه يكتب إنجيله بغير إلهام ، فإنه في رسالة أعمال الرسل ، يتحدث عن إلهام الرسل وعن صلتهم بالروح القدس .. إلخ ، وهذه مسألة يناقض فيها لوقا نفسه !

- كما أنه يحدد تاريخ صعود المسيح - في إنجيله - يوم الفصح ويحدده في أعمال الرسل ، بأربعين يوماً بعد الفصح !!

ومما يجدر ذكره - في هذا المقام - أن لوقا ، الذي يقر في صدر رسالته الأولى إلى ثاوفيلس ، بأنه لا يكتب له عن إلهام ، ولا يكتب له بتوجيه ووحى من الروح القدس .

ويصرح هو نفسه بأن رسالته الثانية إلى ثاوفيلس (سفر أعمال الرسل فيما بعد) ، إن هي إلا امتداد لرسالته الأولى ، ووفاء بوعده ، حيث ذكر له أنه سيكتب له على التوالي .

أقول :

إن لوقا هذا هو المصدر الوحيد الذي زعم الإلهام للرسل ، وزعم أن لهم صلة بالروح القدس !!

والسؤال الآن : ما قيمة هذا الزعم الذى يجيء من رجل لم يكن من تلاميذ المسيح عليه السلام (بحسب تصريحه هو) ، ولم يكن من تلاميذ تلاميذه (بحسب استنتاجات علماء اللاهوت) ، ولم يكن من خدام الكلمة (أى المسيح) ، ولم يكتب ما كتب عن وحى وإلهام ؟!

وبعد : فلعلنا نتمكن قريباً إن شاء الله تعالى ، من إنجاز دراستنا عن هذه القضية : قضية انقطاع السند وتناقض المتن ، فى الأناجيل والرسائل ، ومن المصادر الإسلامية الأصيلة ، بعد أن ذكرنا هنا أبرز ما قاله واستنتجه الدارسون اللاهوتيون النصارى .
وما توفيقى إلا بالله ..

* * * *

القسم الثاني

[مقدمة المؤلف]^(٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه تفتى (١) .

أما بعد حمد الله ، والصلاة على محمد خير خلقه ، وآله ، فأني وأيتُّ مباحثَ
النصارى المتعلقة بعقائدهم ، ضعيفة المبانى ، واهية القوى ، وعرة المسالك^(٢) ، يقضى
المتأمل - من عقول جنحت إليها - غاية عجبه ، ولا يقف - من تعقيدها - على اليسير
من أربّه !!

لا يعولون فيها إلا على التقليد المحض ، عاضين على ظواهر أطلقها الأولون ،
ولم ينهض بإيضاح مشكلها - لقصورهم - الآخرون ، ظانين بأن ذلك هو الشرع
الذى شرعه لهم ، عيسى ، عليه السلام ، معتذرين عن اعتقادها ، بما ورد من نصوص ؛
يعتقدون (٢) أنها قاهرة للكفر ، غير قابلة للتأويل ، وأنَّ صَرَفَهَا عن ظواهرها
[عسير]^(٣) .

وهم في ذلك طائفتان :

● طائفة - وهم الأكثر - لم يمارسوا شيئاً من العلوم التى يقف بها الناظر على
استحالة المستحيل ، فيجزم باستحالة وجوده .

(٥) ما بين المعقوفين من وضع المحقق .

(١) فى الأصل (عسيرة) .

(٢) وبه تفتى سقطت من النسخة : ل .

(٣) فى ل : المسلك .

وإيجاب الواجب ، فينفي عدم وقوعه .

وإمكان الممكن ، فلا يعتقد محالاً لازماً لطرفي وجوده وعدمه ، بل ارتسمت في أذهانهم صورٌ منذ صغرهم ، واستمرت بهم البغوة إلى أن صار ذلك فيهم^(١) ملكة . فهذه الطائفة ، برؤيها من دائها عسير .

● وطائفة (٢ ب) لهم أدنى معقول ، وقد ألبوا بيسير من العلوم ، فتجدهم ناكسين عن^(٢) هذا المعتقد ،

لا يسامحون أفكارهم بمقاربتهم^(٣) ، يعولون تارة على تقليد الفيلسوف في مسألة (الاتحاد)^(٤) ، لاعظامهم ما يؤدي إليه من هدم قواعد ، تظافر^(٥) على إثباتها صرائح العقول ،

فأرين من هذه المعضلة ، إلى التقليد المحض .

معتقدين أن الفيلسوف^(٦) قد حاول العلوم الخفية ، فأبانها جليةً مبرهنة . ظانين بأن من هذا شأنه ، جديرٌ بأن يعول على أقواله ، ويقلد في المعتقدات^(٧) ، فلذلك ينفصلون عن مسألة الاتحاد ، بردها إلى مسألة تعلّق النفس بالجسد . ولو راجع (٣ أ) هؤلاء المساكين عقولهم ، وتركوا الهوى والتعصب لعلّموا أنهم قد نكبوا عن محجة الصواب ، وأخطأوا سبيل الحق لوجوه :-

(١) سقطت من : ل .

(٢) أرى أن هنا كلمة ساقطة ، ومن استيعاب الفقرة كلها ، يمكن أن نثبتها على النحو التالي :

(فنجدهم ناكسين عن دراسة ، أو تأمل ، أو فحص هذا المعتقد) .

(٣) هكذا في الأصل ، ولعل الأوفق أن تكون العبارة هكذا (لايسمحون لأفكارهم بمقاربتهم) .

(٤) أي أن النصارى في قولهم باتحاد عيسى عليه السلام بالله ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، يقلدون

الفلاسفة في عقيدتهم عن تعلق النفس بالبدن واتحادها به .

(٥) عن العلامة ابن منظور عن ابن بَرزُج وعن ابن سيدة : تظافر القوم على الأمر أى : تظاهروا وتعاونوا

عليه ، ويقال : تظافر القوم وتضافروا . [لسان العرب . نشرة يوسف خياط . بيروت] .

(٦) من الممكن أن يكون الفيلسوف هو أرسطوطاليس ، أو هو يشير إلى الفلاسفة بشكل عام دون تحديد

لفيلسوف معين .

(٧) هذا رأى الغزالي المعروف في الفلاسفة ، الرامى إلى عدم تقليدهم أو التحويل عليهم في مسائل العقيدة .

وكيف يتم ادعاء ذلك ، ومناط الحكم ، لو عثر^(١) عليه ، لاقتضى أن لا يكون للإله تعلق بذات أحد من البشر ، على حد تعلق النفس^(٢) بالبدن ، لأنهم يقولون : إن كل نفس تعلقت ببدن فشرط تعلقها به أن يكون بينها وبينه مناسبة وملاءمة ، لأجلها كان التعلق .

والإله - جل اسمه - مُنَزَّهٌ عن مثل ذلك !؟

ثم لو سلم (٤ ب) لهم ذلك ، وأن التعلق الذى حاولوه مُتصوِّرٌ على وفق الآراء الفلسفية ، لم يحصل لهم به غناء ، ولم ينهض ذلك بمقصودهم فى إثبات^(٣) الإلهية ليعسى عليه السلام .

لأن الفيلسوف يقول : إن للنفس بالبدن تعلقاً تدبيرياً ، وأن اللذة والألم يحصلان لها^(٤) بواسطة تعلقها به ، إذا انفعلت القوة الحساسة بالملائم والمنافى ، ومحال أن يراد هذا التعلق بجملته مع ماذكر ، لأن حصول اللذات لذات الباري ، محال .

* * * *

-
- = ولمعرفة رأى الفلاسفة والمتكلمين انظر : المباحث الخاصة بالإلهيات فى :
 - الرسائل الفلسفية : للكندى ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالمهادى أبو ريدة ، طبع بمصر .
 - مناهج الأدلة فى عقائد الملة : لابن رشد الحفيد ، بتحقيق الدكتور محمود قاسم ط . الأنجلو بمصر .
 - أساس التقديس : للفخر الرازى ، نشر الحلبي بمصر .
 - كتاب اللمع : للأشعرى ، بتحقيق الدكتور حمودة غرابة ، نشر الخانجي سنة ١٩٥٥ م .
 - كتاب الإرشاد : للجوينى تحقيق محمد يوسف موسى ، وعن عبدالحليم ، ط الخانجي سنة ١٩٥٠ م ،
 - المواقف : للإيجي ، ط العلوم بمصر .
 - شرح الأصول الخمسة : للقاضى عبدالجبار ، بتحقيق د . عبدالكريم عثمان ، مكتبة وهبة سنة ١٩٦٥ م .
 - درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ط جامعة الإمام محمد بن سعود ،
 نشأة الفكر الفلسفى عند اليونان ، د . على النشار ، د . أحمد صبحى سنة ١٩٦٤ ، تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم .

(١) فى ل : غير .

(٢) انظر : « فى النفس والعقل » للدكتور محمود قاسم ، ط . الأنجلو بمصر .

(٣) فى سن : إثباتهم .

(٤) فى سن ، ل : لهما .

بقي أن تؤخذ هذه النسبة التدييرية مجردة عن حصول اللذات ، وهذا أيضا غير مُجيد ، لأن الخالق مديّر لكل (هـ) فرد من أفراد العالم ، وله إلى كل مخلوق نسبة تدييرية .

فإن قيل : المراد نسبة ظهر أثرها في خرق العوائد ؛ كإحياء الميت ، وغير ذلك ، فيدل إذ ذاك على المقصود .

فالجواب : أن مثل هذه النسبة التي يتمكن المتصف بها من الإتيان بخرق العوائد ^(١) ، ثابتة لغير عيسى عليه السلام ، فإنهم معترفون بأن موسى ، عليه السلام ، قلب العصا ثعباناً ،

وهل إحياء الميت إلا عبارة عن اتصاف الجماد بالحيوانية ؟! بل هذا أدل على المعجز ؛ لأن جعل ما لم يتصف بحياة - قط - حياً ، أدل على القدرة من إعادة الشيء إلى حالته الأولى ^(٢) .

ثم انشقاق البحر ، وجعل كل فَرْقٍ كالطود العظيم ، من غرائب المعجزات ، وقد شهدت التوراة التي يصدقونها بأن موسى ، عليه السلام ، أخرج يده (برصاء) كالثلج ، ثم أعادها إلى لون جسده .

وفي أسفار الملوك والقضاة ، وهو من جملة كتبهم العتيقة التي تقرأ في كنائسهم أن إيلياً واليشع تلميذه ، أقاما الميت ، وإحياء إيليا لابن الأرملة عندهم غير منكور ^(٣) ،

(١) أى : الآيات (العلامات) المعجزة التي لا تحصى على السنن الثابتة المعتادة .

(٢) لفظة ذكية من أنى حامد أفادها من القرآن الكريم وهو يناقش منكرى البعث ويفند شبهاتهم :

« وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم ، قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » . الآيات سورة يس : ٧٨-٨٠ .

(٣) جاء في سفر الملوك الأول ، الإصحاح السابع عشر ص : ٥٦٨ من الكتاب المقدس - عندهم - طبعة البروتستانت :

« وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جداً حتى لم تبق فيه نسمة ، فقالت لإيليا : مالى ولك يا رجل الله ، هل جئت إلى لتذكير إنى وإماتة ابنى ؟ فقال لها : اعطينى ابنك ، وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيماً بها ، وأضجعه على سريريه ، وأصرخ إلى الرب وقال : أيها الرب إلهى ، أيضاً إلى الأرملة التي أنازل عندها قد أسأت بامتلاك ابنها ، فتمدد على الولد ثلاث مرات وقال : يارب إلهى لترجع نفس هذا الولد جوفه فعاش ، فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه . وقال إيليا أنظرى ابنك حى ، فقالت المرأة لإيليا : هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب فى فمك حق » .

— أحدها : أنهم إن جعلوا ذلك من قبيل القياس ، فغلط ؛ لأن القياس :

رُدُّ فرع إلى أصل بعلة جامعة ، هي مناط الحكم ^(١) .

وأى علة عقلها هذا القائل ، مقتضية لحقيقة التعلُّق الذى يقول به الفيلسوف ، ثم بعد ذلك يُعَدِّها إلى ذات البارى ليصحَّ له القياس ؟

— وإن جعل ذلك من قبيل التشبيه والتمثيل فغلط أيضاً ، لأن المشبه به ، لا بدّ ، أن يكون معلوماً مُتَصَوِّراً ، حتى يكون العلم به متقضيّاً للعلم بالمشابهة .

والقائل فيهم بهذه المقالة ، لو بذل جهده على أن يأتي بأدنى شبهة تُقَفُّه على حقيقة النفس ، وحقيقة التعلُّق القائل بهما الفيلسوف ، لأقرَّ بالعجز عن إدراك ذلك ،

فكيف يصحَّ له القياس والحقائق غير معنومة له ؟ ثم إن مثل هذا القياس لا يسامح الفروعى ^(٢) نفسه في استعماله ؛ بل هو من الأقيسة (المهجورة) ^(٣) ، المسمى بقياس التعقيد .

وهو : أن يخاور إثبات حكم تحفى ، فيثبت بما هو أخفى منه ، أو بما يُحتاج في إثباته إلى إعمال الفكر واستخراجه بالأدلة (٤) الغامضة ؛ كالنفس القائل بها الفيلسوف ، التى لا يَتَحَيَّل وجودها ، إلّا بتعقيدات وغموض فى المأخذ !!

وإذا كان مهجوراً فى الفروع المبنية على أيسر ظن ، فكيف يُعوَّل عليه فى الأصول المتعلقة بذات واجب الوجود ^{(٤)؟}

(١) وقد أورد الإمام الفخر الرازى - فى كتابه : المحصل - عدة تعريفات للقياس نذكر منها : « أنه حمل معلوم على معلوم فى إثبات حكم لهما ، أو نفيه عنهما ، بأمر جامع بينهما من إثبات حكم أو صفة ، أو نفيها عنهما » .

ومنها : أنه تحصيل حكم الأصل فى الفرع لاشتباههما فى علة الحكم عند المجتهد . وانظر فى تعريفه : المستقصى للرزالى ، الجزء الثانى ، المصنوع للرازى أول الجزء الثانى من القسم الثانى ، تحقيق د. طه جابر فياض العلوانى - الرياض سنة ١٤٠١ هـ ١٩٨٠ م .

(٢) الفروعى : يطلق على المهم بالمسائل الفقهية الفرعية ، وهو فى مقابل الأصول ، وانظر فى معنى الأصل والفرع كتاب (المحصل) للفخر الرازى ج ٢ ص : ٢٤-٣٠ ، والإعلام بمناقب الإسلام ، لأبى الحسن العامرى ص : ٣٩ تحقيق د. أحمد عبدالحميد غراب ط ١٩٦٧ القاهرة .

(٣) فى الأصل (المهجورة) ؛ والكلمة بهذا الرسم لا معنى لها .

(٤) يطلق الفلاسفة والمتكلمون على الله تعالى مصطلح : « واجب الوجود » وأسماؤه الله تعالى وصفاته = مصدرها كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ .

ووقوف الشمس - أيضاً - ليوشع إلى أن أخذ المدينة ، أريحا ، من بدائع المعجزات .

ثم لما (كان)^(١) من الأنبياء ، أنبياء ، لم ترسل ، فما المانع أن تكون هذه النسبة ثابتة لكل (٦ أ) واحد منهم ، لكنها لم تظهر ؛ لعدم الرسالة الموحجة إلى البراهين الصادرة عنها ؟!

دقيقة يجب التنبه عليها :

لفظ الكتاب العزيز : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ يَدَاكَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾^(٢) .

ولفظ التوراة : « وَهِنَّا يَا ذُو مَصْرُورَا عَثْ كَالشُّلُوعِ » وتفسير هذا اللفظ العبراني^(٣) بالعربية :

« وهذه يدك برصاء^(٤) كالثلج^(٥) .

صرّحت التوراة بالبرص ، وصرّح الكتاب العزيز بأن يياضها من غير سوء ، وفي القلب حسيكة من ذلك ، في بادئ الرأي ، لكن الجمع على الممارسي الفهم غير عسير ، وبيان : أن البرص عبارة عن عرض ينشأ عن سوء مزاج يحصل بسببه تلزج بلغم تضعف القوة المغيرة عن إحالته إلى لون الجسد .

(١) العبارة في الأصل هكذا (ثم لما من الأنبياء أنبياء لم ترسل) وواضح أن بها سقطاً ، في ش .
(٢) سورة طه : ٢٢ .

(٣) هل كان الغزالي يعرف العبرانية ؟! إن المصادر لا تسعفنا بجواب شاف وإن كنا نرجح النفي . وعبارته العبرية صحيحة فقد أوردها المتهدي المسوأل المغربي ت ٥٧٠ هـ في كتابه : (إيفهام اليهود) انظر ملحق العبارات العبرانية في نشرتنا المحققة لهذا الكتاب .

(٤) في ل : ييضاء .
(٥) جاء في سفر الخروج الإصحاح الرابع ٦-٨ هـ ثم قال له الرب أيضاً : أدخل يدك في عبك ، فأدخل يده في عبه ، ثم أخرجها ، وإذا يده برصاء مثل الثلج ، ثم قال له : رد يدك إلى عبك ، فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه ، وإذا هي قد عادت مثل جسده .

ص : ٩١ من طبعة البروتستانت للكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) .

ومعلوم أن بياض يد موسى ، عليه السلام ، مانشأ عن سوء مزاج لأن كل أحد إذا ساء مزاجه على نهج ما وصفناه ، حصل له ذلك ، وإذا قويت القوة المغيرة أحواله .

وحينئذ تذهب خصوصية الإعجاز^(١) !!

بل بياضها كان من قبيل المعجز الخارق .

وشأن المعجز الخارق أن يكون مخالفاً للمعهود المألوف ، وإلى هذا المعنى إشارة الكتاب العزيز بقوله :

« مِنْ غَيْرِ سُوءٍ » .

أى أن الله (تعالى) أقدر موسى على أن يجعل (٧) يده برصاء من غير سوء ؛ وأن يردّها إلى لون جسده ، من غير قوة مغيرة ، ليحصل (له)^(٢) بذلك خصوصية بإجراء المعجز الخارق المخالف للمعهود على يده .

وإنما يكون معجزاً مخالفاً للمعهود ، إذا أتى بالمُسبّب منفكاً عن سببه العادى ، الذى لا ينشأ إلا عنه^(٣) .

ثم عبّر عنه بالبياض الذى هو من لوازمه .

هذا جمع واضح .

* * * *

ومما يوهى معتقداتهم فى هذه المسألة ، أن قاعدة الفيلسوف فى النفس ،

(١) أى أن ما حدث لموسى عليه الصلاة والسلام لم يكن نتيجة حالة مرضية ، وإنما هى الآفة الخارقة للنظام المعتاد ...

وهى لفظة جيدة من الغزالي ، رحمه الله تعالى .

(٢) فى الأصل لهم ، وقد استدرك الناسخ فأثبت كلمة (له) بخط دقيق جداً فى الهامش .

(٣) للتوسع فى مسألة الأسباب والمسببات والمعجزات ورأى الغزالي فيها ، انظر : رسالتنا للدكتوراه عن « مبدأ السببية بين ابن رشد وابن عربى » . كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

وتعلّقها ، إن كانوا جازمين بشوئها ، ومستندُ جزمهم حسن الظن بالقائلين بها ، وهم غير قادرين على الإتيان ببراهينها (٧ ب) ، ظلّاً منهم أن القائلين بها قد اخترعوا من العلوم الخفية ، ما يرجعُ [الفكر ناكصاً عن إدراكها ، لحفاء مأخذها ، وصعوبة مبانيها] .

وأن من هذا شأنه تكون أقواله مبرأة من الخطأ ، فيجب على هذا القائل أن يقلد الفيلسوف في :

أن النبوات مكتسبة ، وأن العالم قديم لا يقبل الكون والفساد ، وأن البارئ لا يعلم الجزئيات ، وأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وأن إله الخلق وجود مجرد ، لم يقم بذاته علم ولا حياة ولا قدرة ،

إلى غير ذلك^(١) ، مما نقضوا به قواعد المشرعين ، وصرّحوا فيه بالكذاب المرسلين (٨ أ) .

ومن العجب ، تقليدهم قوماً ، يمنعون تصوّر ما يثبتُ به خصوصيةُ صاحب شرعهم ؛ لنصهم على استحالة انعقاد الولد من محض مني أمه ، من غير مشاركة مني رجل ؛ إمّا عاقد على رأى كبيرهم ، أو مشارك له في الجزئية على رأى جالينوس .

* * * *

(١) هذا الكلام يردده الغزالي كثيراً في كتبه ، ولقد أفرد - للرد عليه - كتاباً برأسه ، هو كتاب (تنافت الفلاسفة) بين فيه تناقض الفلاسفة وبنافتهم ووهاء أفكارهم في القضايا الخاصة بالألوهية والنبوة وعلم الله وخلق العالم ... إلى آخر هذه القضايا التي لا يستطيع العقل ، مهما تكن عقيرته أن يصل فيها إلى نتيجة مطمئنة أو إلى حق يقيني ، وإمّا مصدر هذه القضايا الكبرى والملمحة أيضاً ، هو « الوحي » وهم رسل الله ، عليهم الصلاة والسلام . وتأمل كيف جاز هذه العقول الكبيرة أن تأق بهذا الكلام البارد الغث المتناقض في مسألة الفيض مثلاً !! يرجع السبب في هذا إلى أن هذه العقول - الكبيرة - قد اقتحمت مجالاً ليس لها !!

وبعد الإمام الغزالي - في نظرنا - أول من قام بهذا الجهد العلمي المنظم والمؤثر للحد من طغيان الفلسفة اليونانية وتغلغلها في ميدان خطير جداً من ميادين الثقافة الإسلامية ؛ هو ميدان علم الكلام أو التوحيد أو أصول الدين ، فضلاً عن تأثير هذه الفلسفة - في جانبها المنطقي الصوري - على ~~المفاهيم والنظريات~~ ^{غير الصحيحة} والمفاهيم والنظريات ذلك من الميادين ...

لقد سبق الغزالي بعلماء حذروا ونهّوا إلى خطورة هذا التغلغل ، لكن جهد الغزالي يتميز بالمنهجية والعمق والدراسة .. ومن ثم قيض الله له أن يؤتي ثمرته .. رحم الله الغزالي ، ولقد جاء من بعده الشيخ أحمد بن تيمية بجهد موفق مبارك ؛ ظهر ذلك جلياً في كتابه : « نقض المنطق » و « الرد على المنطقيين » وفي بقية مؤلفاته .

فإن حمل - قائلاً - تعصبه وهواه المحرضان له ، على عدم تركه ما ألقه ، قائلاً :
إن ما ذكر ، قامت البراهين على خطئهم فيه ، فنبقى فيما وراءه ، على مقتضى
حسن ظننا بهم .

فالجواب : أن من ظهر تارة خطؤه ، وتارة صوابه^(١) ، كانت أقواله ممكنة الخطأ
والصواب (٨ ب) ، ولا يصار إلى تقليد من هذا شأنه - مع عدم الوقوف على مستند
أقواله - ونبد أقوال المتشرعين وراء ظهره ، وعدم التفاته إلى التعول على ظواهر كتابه
الدالة على إنسانية صاحب شريعته ؛ إلا لنصوص ، أثبت التأويل ، دالة على ما يدعون
من الإلهية ، مستعصية على العقول ، استعصاءً بيئاً !!

كيف ! وفي الإنجيل نصوص مصرّحة بإنسانية عيسى عليه السلام المحضة ،
ونصوص شاهدة بأن إطلاق الإلهية عليه ، على ما يدعون ، محال !!
وهذه النصوص في أصحّ الأناجيل عندهم (٩ أ) : إنجيل يوحنا^(٢) بن زبدي .
وها أنا [ذا^(٣)] أذكر نصاً نصاً ، مبيناً فصولها المسطرة (فيها^(٤)) حذراً من
المناكرة ؛ لأن كتبهم غير محفوظة في صدورهم .

(١) اتخذت الفلسفة لها موضوعاً رئيسياً ، هو البحث العقل الخالص عن إجابات للأسئلة الكبرى التي
يطرحها الإنسان ، مثل السؤال عن المصدر أو الخالق ، أو عن تفسير للكون والمبدأ والمعاد ، وعن قيم الخير والشر ..
إلخ إلخ . وهذه الأسئلة فطرية ضرورية ملحة ، لا ينفك الإنسان عنها ولا تفك عنه ، مهما زود بوسائل الإشباع
المادى أو الترفى !!

- وهذه الأسئلة نفسها هي التي جاء الدين ليضع أمام الإنسان إجابات شافية كافية عنها ..
- ومن قراءة تراث الإنسانية نجد أن الإنسان قد حاول أن يجيب على هذه الأسئلة لنفسه بنفسه ، وفي تاريخ
الفلسفة سجل حافل لهذه الإجابات .. نتبين من دراسته : إلى أي حد تحبّط الإنسان واختلف وتشتت وتمزّق ،
ولم يصل إلى جواب شاف مقنع !!

- والفلسفة الغربية اليونانية : نتاج بيئة وثنية ، والفلسفة الغربية الوسيطة : نتاج بيئة نصرانية أو يهودية مخرفة =
(دين غير صحيح) ، والفلسفة الغربية الحديثة نتاج بيئة انفصل فيها كل شيء مثل العلم والفلسفة والسياسة إلخ عن
الدين وتحاوزه وأهمله تماماً !!

- ولم تتجاوز الفلسفة مع دين صحيح إلا في الإسلام : فهل قبلت أو رفضت ؟! وماذا قدمت ؟!
(٢) انظر دراستنا ليوحنا في القسم الأول .

(٣) ما بين المعرفين زيادة من عندنا .

(٤) في الأصل (فيه) ونرى أن الكلام لا يستقيم لوبقيت الكلمة كما هي ، وذكرها الأب روبر شدياق
اليسوعي في نشرته كما هي .

[أصلان علميان ^(١)]

وقيل

وقيل (لشروع في ذكرها ، فلا بد من تقديم أصليين متفق عليهما بين أهل العلم ؛ أحدهما : أن النصوص إذا وردت ، فإن وافقت المعقول ، تركت ظواهرها ، وإن خالفت صريح المعقول ، وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة ، فيجب إذ ذاك ، ردّها إلى المجاز .

الثاني : أن الدلائل إذا تعارضت ، فدل بعضها على إثبات حكم ، وبعضها على نفيه ، فلا نتركها متعارضة إلا وقد أحسننا من أنفسنا العجز ، باستحالة إمكان الجمع ، وامتناع جعلها متظافرة على معنى واحد ^(٢) .

وإذا تقرر ذلك ، فلنشرع الآن في ذكر النصوص الدالة على التجوّز في إطلاقه ^(٣) ما يوهّم (الإلهية) على نفسه ،

والنصوص الدالة على التجوّز في مسألة (الاتحاد) .

كقوله : « أنا والأب واحد ،

ومن رآني ، فقد رأى الأب ،

وأنا في الأب ، والأب فيّ » ^(٤) .

(١) هذا العنوان من وضع المحقق .

(٢) لقد بحث علماء المسلمين في تحقيق هذين الأصلين بحثاً عميقاً واسعاً مشكوراً ، انظر مثلاً كتاب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

« درء تعارض العقل والنقل » ، حققه الدكتور محمد رشاد سالم .

(٣) أي : عيسى عليه السلام .

(٤) ورد في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا ص : ١٧٥ من العهد الجديد ط البروتستانت مابلي : « قال له فيلبس ياسيد : أرنا الأب وكفانا ! قال له يسوع : أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس ، انذى رآني فقد رأى الأب ، فكيف تقول أنت : أرنا الأب ، أأنت تؤمن أني أنا في الأب والأب في ؟! الكلام الذي أكلّمكم به لست أتكلّم به من نفسي ، لكن الأب الحال فيّ هو يعمل الأعمال ، صدقوني أني في الأب والأب فيّ » .

ثم نتبع ذلك ، بذكر النصوص الدالة على إنسانيته المحضة ، ونجمع بينها وبين النصوص المثيرة لهم شُبْهاً نكصت^(١) أفهامهم - لقصورها - عن تأويلها ، فعموا وضلوا .

بالعين في إيضاحها (١٠ ب) ، وكشف الغطاء عن مشكلاتها ، مبلغاً يرجع معه الحق ، باهر الرواء ظاهر السناء .

النص الأول

ذكره يوحنا في إنجيله ، في الفصل الرابع والعشرين :

« أنا والأب واحد ، فتناول اليهود حجارة ليرجموه ، فأجابهم قائلاً : أريثكم أعمالاً كثيرة حسنة مِنْ عِنْدِ أَبِي ، (ف) من أجل أى الأعمال تُرجموني ؟

فأجابه اليهود قائلين : لَيْسَ مِنْ أَجْلِ الأَعْمَالِ الحسنة نرجمك ، ولكن لأجل التجديف ، وإذ أنت إنسان تجعل نفسك إلهاً .

فأجابهم يسوع :

أليس مكتوباً في ناموسكم أَنِي قُلْتُ إِنَّكُمْ آلهة ، فَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَ لأولئك آلهة (١١١) ، لَأَنَّ الكلمة صارت إليهم ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَقِصَ المكتوب . فيكم^(٢) ، بالحرى^(٣) الذى قدسَهُ وأرسلَهُ إِلَى الْعَالَمِ^(٤) .

(١) في : ل : ركضت ، وهو خطأ ظاهر .

(٢) في الأصل ، ل : فيكم .

(٣) في ش : أخرى ، والعبارة في : ش هكذا : فيكم أخرى الذى قدسه الأب وأرسله إلى العالم .

(٤) في إنجيل يوحنا : الإصحاح العاشر ص : ١٦٧ من ط البروتستانت مابلي :

« أنا والأب واحد ، فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه ، أجابهم يسوع : أعمالاً كثيرة أريثكم من عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموننى ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف ، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً ، أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلهة ، لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ، ولا يمكن أن ينقص المكتوب ، فالذى قدسه الأب وأرسله إلى العالم أقولون له إنك تعبد لأنى قلت إني ابن الله ، إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الأب في وأنا فيه » . (٣٠ : ٣٩) .

هذا آخر كلامه .

فنقول : هذا النص بالغ في تحصيل غرضنا الذى نحاوله في مسألة الاتحاد ، وبيانه أن اليهود لما أنكروا عليه قوله : « أنا والأب واحد » .

وهذه هى مسألة ، الاتحاد نفسها ، ظانين بأنه أراد بقوله : « أنا والأب واحد » مفهومه الظاهر ، فيكون إلهاً حقيقة ؛ انفصل عليه السلام عن إنكارهم ، مصرحاً بأن ذلك من قبيل المجاز ،

ثم أبان لهم جهة التجوُّز ، بضربه لهم المثل فقال : (١١ ب)

قد أطلق عليكم في ناموسكم أنكم آله ، ولستم آله حقيقة ، وإنما أطلق عليكم هذا اللفظ لمعنى ، وهو : صيرورة الكلمة إليكم ، وأنا قد شاركتكم في ذلك !!^(١) وقد ورد مثل ذلك في شريعتنا ، قال سيد المرسلين ، ﷺ ، حاكياً عن الحق ، جلَّ اسمه :

« ولن يتقرب إليَّ المتقربون بأفضل من أداء ما افترضت^(٢) عليهم ، ثم لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت سمعاً الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ، ويده التى يبطش بها » .
ومحال أن يكون الخالق حالاً في كل جارحة من هذه الجوارح ، أو يكون عبارة عنها !!

لكن لما بذل العبد جهده في طاعة الله ، كان له من الله قدرة ومعونة ، بهما يقدر على النطق باللسان ، والبطش باليد ، إلى غير ذلك من الأعمال المقربة .
ولذلك يقول من أقدر شخصاً على أن يضرب بالسيف ، ولولاه لما قدر على ذلك : أنايذك التى ضربت بها .

(١) وضع الأب شدياق في نشرته هذه العبارة بين علامتى تنصيص على أنها قول للمسيح عليه السلام ، وهى في الواقع من كلام الغزالي الذى يشرح به نص يوحنا السابق .
(٢) فى الأصل : أفرضت ، وأخرج الحديث البخارى ، وأحمد ، والترمذى

فهذا ضرب من المجاز ، استعماله حسنٌ شائعٌ غيرٌ منكور وقد صرح عيسى عليه السلام في هذا النص بجهة المجاز ، بقوله :

لأن الكلمة صارت إليهم ، ومحال أن يريد بالكلمة ، لفظاً ذا حروف ، وإنما يريد بالكلمة ، سراً منه ، يهبه لمن يشاء من عباده ، يحصل لهم به التوفيق إلى ما يُصيرهم غير مبائنين لله عز وجل ؛ بل يُصيرهم لا يحبون إلا ما يحب ، ولا يبغضون إلا ما يبغضه ، ولا يكرهون إلا ما يكرهه ، ولا يريدون إلا ما يريد من الأقوال والأعمال اللائقة بجلاله .

فإذا أصارهم ^(١) التوفيق إلى هذه الحالة ، حصل لهم المعنى المصحح للتجوز ، ويدل على صحة هذا التأويل الصارف إلى المجاز المذكور .

أنه عليه السلام ، احتراز عن إرادة ظاهر هذا النص الدال على الاتحاد ، بقوله : فيكم - بالحرى - الذى قدسه وأرسله ^(٢) ،

فصرح بأنه رسول ، متبرئاً من الإلهية (١٢ ب) التى تخيل اليهود أنه ادّعاها ، مثبتاً لنفسه خصوصية الأنبياء ، وعلو درجاتهم على غيرهم ، ممن ليسوا أنبياء بقوله :- « فيكم - بالحرى ^(٣) - الذى قدسه وأرسله » .

أى قد شاركتكم فى السبب المصحح للتجوز ، وفضلتكم بمراتب النبوة والرسالة !!

ولو لم يكن ماضيه لهم من التمثيل جواباً قاطعاً لما تخيلوه من إرادة ظاهر اللفظ ، لكان ذلك مغالطة منه وغشاً فى المعتقدات المفضى الجهل بها إلى سخط الإله ، وهذا لا يليق بالأنبياء المرسلين الهادين إلى الحق ، لأن تأخير البيان عن وقت الحاجة ، غير جائز للأنبياء (١١٣) .

* * * *

(١) فى ش ، ل : صار بهم .

(٢) فى نشرة شدياق : فيكم أخرى الذى قدسه الله وأرسله ، وفى : ل : بالحرى

(٣) فى ش : فيكم أخرى الذى قدسه وأرسله ، وفى ل : فيكم بالحرى الذى قدسه .

كيف وفي كتبهم أنه ارسل لخلاص العالم ، مبيناً ما يجب لله ، وما يستحيل عليه ، وإنما يكون مخلصاً للعالم إذا بين لهم (الآله) المعبود .

فإن كان هو الإله الذى يجب أن يُعبد - وقد صرفهم عن اعتقاد ذلك بضربه لهم المثل - فيكون قد أمرهم بعبادة غيره ، وصرفهم عن عبادته ، والتقدير أنه هو الإله الذى يجب أن يُعبد ، وذلك غشّ وضلالة^(١) ، لا يليق بمن يُدعى فيه أنه أتى لخلاص العالم ، بل لا يليق بمن انتصب للإرشاد والهداية من آحاد الأمم ، فضلاً عمن صرح بأنه رسول ، هادٍ ، مرشد (١٣ ب) .

* * * *

فإن قيل : إنما ضرب لهم المثل مغالطة ، ليدفع عن نفسه ما يحذرُهُ من شرهم ، قلنا : الخوف من اليهود لا يليق بمن يُدعى فيه أنه إله العالم وموجد الكائنات !! ، فليت شعري ماذا يقول المعاند بعد أن لاحظ له هذه الحقائق أوضح من فرق^(٢) الصبح ، وكيف يتقاعد عن تأويل هذا النص وتأويل أمثاله ، ويخطب خطب عشواء ، وصاحب شريعته - نفسه^(٣) - قد أوله ؟!

(١) في ش : وضلال .

(٢) فلق الصبح أصبح لغة .

(٣) في ش : وصاحب شريعته قد أوله نفسه ، وكذلك في ل . وقد نبهنا المهتدى « على ابن ربن الطبرى »

في كتابه - الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ - الذى ألفه سنة ٢٤٧ هـ بعد انتقاله من النصرانية إلى الإسلام ، وفي كتابه المفقود : « الرد على النصارى » أن لفظ (الإله) و (الرب) يطلق في الكتب القديمة (العهد القديم والجديد) بالإشتراك على الله تعالى وعلى الإنسان السيد يقول على بن ربن الطبرى : « وقد بينا فيما مضى ، وفي كتابي : (الرد على أصناف النصارى) أن اسم الله واسم الرب واقعان على الناس أيضا ، ومصدق ذلك في هذه النبوة ، فقد أخبر أن الرب الإله هو إنسان أجره معه وعمله أمامه ... وجاء في التوراة قول الله لموسى ، « إني جاعلك إلهاً لفرعون » وفيها أن الله قال لموسى : « إن هارون يكون له فمًا ويكون موسى لهارون إلهاً » [سفر التكوين ٤ : ١٦] وقال في التوراة : « إن أبناء الله عز وجل نظروا إلى نبات الناس » وقال داوود : « قال الرب لربي » يقول الطبرى : « ففى هذا تبيان أن إسمى الإله والرب كانا يقعان على الإنسان » وانظر : « الدين والدولة له ، ص : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٨٨ » (واقع على الأنبياء والسادات) ، ص : ١٦٦ - ١٦٧ نشرة الأستاذ عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت طبعة ١٩٧٧ .

النص الثاني

نصّ عليه يوحنا المذكور في إنجيله في الفصل السابع والثلاثين .
« أَيُّهَا الْأَبُّ الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ بِاسْمِكَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي ، لِيَكُونُوا مَعَكَ وَاحِدًا ،
كَمَا نَحْنُ » ^(١) .

هذا النص كالنص الذي قبله سواءً ، مؤكّد ^(٢) في صرفه عن الحقيقة إلى المجاز
المذكور ، وبيانه :

أنّه عليه السلام دعا الله عزّ وجلّ لتلامذته ، أن يكون حافظاً لهم باسمه ، حفظاً
مثل حفظه له ؛ ليحصل لهم بذلك الحفظ وخذةً بالله ، ثم أتى بحرف التشبيه ، فقال :
كَمَا نَحْنُ .

أى : تكون تلك الوحدة كوحدي معك ، فإن تكن وحدته مع الإله موجبةً له
استحقاق الإلهية ! ، فيلزم أن يكون داعياً لتلامذته ، أن يكونوا آلهة ! (١٤ ب) .

وخطور ذلك ببالي مَنْ خلع رِبْقَةَ الْعَقْلِ قَبِيح ، فضلاً عن مَنْ يكون له أدنى خيالٍ
صحيح ، بل هذا محمولٌ على المجاز المذكور ، وهو أنّه عليه السلام سأل الله أن يفيض
عليهم من آلائه وعنايته وتوفيقه إلى ما يرشدهم إلى مراده اللائق بجلاله بحيث لا يريدون
إِلَّا مَا يَرِيدُهُ ، وَلَا يُحِبُّونَ إِلَّا مَا يُحِبُّهُ ، وَلَا يَبْغُضُونَ إِلَّا مَا يَبْغُضُهُ ، وَلَا يَكْرَهُونَ
إِلَّا مَا يَكْرَهُهُ ، وَلَا يَأْتُونَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ إِلَّا مَا هُوَ رَاضٍ بِهِ ، مُؤَثِّرٌ لَوْقَوْعِهِ ،
فَإِذَا حَصَلَتْ لَهُمْ هَذِهِ الْحَالَةُ (١٥ أ) ، حَسُنَ التَّجَوُّزُ .

ويدلّ على صحة ذلك ، أن إنساناً لو كان له صديق موافق غرضه ومراده بحيث
يكون محباً لما يحبّه ، مُبْغِضاً لما يَبْغِضُهُ ، كَارِهاً لما يَكْرَهُهُ ، حَسُنَ أَنْ يَقُولَ :
أَنَا وَصَدِيقِي وَاحِدٌ .

(١) في إنجيل يوحنا الأصحاح السابع شعر (ص : ١٨٠ ط البروتستانت) :
« أَيُّهَا الْأَبُّ الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِي (هَكَذَا) أُعْطِيتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ » .
(٢) في شر : مؤكّداً ، والرفع أو لى .

وقد يَبين عليه السلام - أيضاً - في النص ، أنَّ وحدته معه مجاز ، وأنه ليس إلهاً حقيقةً بقوله :

ليكونوا معك واحداً كما نحن .

يريد : إذا حصل لهم منك توفيق ، صيَّروهم لا يريدون إلا ما تريده كانت وحدتهم معك ، كوحدي معك ؛ إذ هذه حالتى معك ؛ لأننى لا أريد إلا ما تريده ، ولا أحب إلا ما تحبه . (١٥)

وبقوله - أيضاً - : « أيها الأب القدوس ، احفظهم باسمك » . داعياً لهم الإله الذى بيده النِّفْعُ والضَّرُّ ، ولو كان نفسه إلهاً ، لكان قادراً على حفظهم من غير أن يتضرَّع لغيره ويسأله الحفظ ، فاعجب لهذه الإشارات التى نبه بها على إرادة المجاز وصرف الكلام عن ظاهره .

وقد صرَّح (بولص *) في رسالته التى سيَّرها إلى (قورنثية)^(١) بمثل ذلك لما فهم المراد من هذه النصوص ، فقال :

« فمن اعتصمَ بربنا فإنه يكون معه روحاً واحداً »^(٢) .

وهذا التصريح منه يدل على أنه فهم عين ما فهناه ، وفهم (١٦) أنَّ هذه النصوص ، ليست ظواهرها مرادة .

النص الثالث

نص عليه (يوحنا) المذكور ، في إنجيله ، في الفصل السابع والثلاثين أيضاً :-
« قدسهم بحقك ، فإنَّ كلمتك خاصةٌ هى الحق ،

(١) (قورنثية) وردت في الإنجيل المذكور باسم كورنثوس ، وهى مدينة رومية قديمة ، أنظر « قاموس الكتاب المقدس »

« انظر دراستنا لبولس في القسم الأول ، وترسم الكلمة هكذا : « بولس » ، (Paul) وتذكر في بعض الكتب (فولس) لكن حرف الفاء عندما يترجم إلى العربية يتحول إلى باء .

(٢) جاء في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ، الأصحاح السادس . من طبعة البروتستانت « وأما من التصق بالرب فهو روح واحد » .

كما أرسلتني إلى العالم ، أرسلتُهُم أيضاً إلى العالم ، ولأجلهم أقدس ذاتي ،
ليكونوا هم مقدسين بالحق . وليس أسأل في هؤلاء فقط بل وفي الذين يؤمنون
في (١) ، ليكونوا - بأجمعهم - واحداً ،

كما أنك يا أبة : حالٌ في وأنا فيك ، ليكونوا أيضاً فينا واحداً ، ليؤمن العالمُ
أنك أرسلتني ، وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما نحن
(١٦ ب) (واحد) (٢) .

هذا النص واضح جداً ، مؤكداً لما قلناه (٣) ، وبيانه :

أنه عليه السلام كشف غطاء الشبهة مبيناً جهة المجاز بقوله : وأنا قد أعطيتهم المجد
الذي أعطيتني ليكونوا واحداً .

أي : إن ذلك المجد ينظم شملهم ، (فتقع) (٤) أفعالهم جمع ، متظافرة على
طاعتك ، ومحبة ما تحبه ، وبغض ما تبغضه ، وإرادة ما تريده ، (فيصيرون) (٥)
كرجل واحد ، لعدم تباين آرائهم وأعمالهم ومعتقداتهم ، كما نحن واحد ، أي كما أنا
معك واحد ؛

لأن مجدك الذي أعطيتني جعلني لا أحب إلا ما تحبه ، ولا أريد إلا ما تريده ،
ولا أبغض إلا ما تبغضه (١٧ أ) ، ولا أكره إلا ما تكرهه ، ولا يصدر مني عمل
ولا قول إلا وأنت راضٍ به .

وإذا ثبت أن هذه حالته مع الإله ، دل على أن من أطاعه ، فقد أطاع الإله ، جلَّ

(١) في ل : يؤمنون لي ، وفي ش : يؤمنون لي بقولهم .

(٢) ورد هذا النص في إنجيل يوحنا في الأصحاح السابع عشر منه ص : ١٨٠ من ط البروتستانت . كما يلي :
« قدسهم في حقك ، كلامك هو حق ، كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ولأجلهم أقدس أنا ذاتي
ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق . ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون لي بكلامهم ،
ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني ،
وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد . أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين لي واحد
وليعلم العالم أنك أرسلتني واحيتهم كما أحببتني » .

(٣) في ل : هذا النص وحده مؤكداً لما قلناه .

(٤) في الأصل (يقع) .

(٥) في الأصل (فيصرون) .

اسمه ، ومن أطاع الإله ، فقد أطاعه ، وهذا شأن الأنبياء والمرسلين .

ثم بالغ في إيضاح جهة المجاز بقوله :

« كما أنَّك يا أبة حال فني ، وأنا فيك ، ليكونوا - أيضاً فينا واحداً » . يريد : أنَّ أقوالهم وأعمالهم إذا تضافرت ، واقعة على وَفْقٍ مرادك ، ومرادك هو مرادى ، كنا جميعاً كذات واحدة ، لعدم تباين الإرادات ، ثم إنَّه عليه السلام لم يقتنع بذلك حَدْراً (١٧ ب) مِنْ تعلق الخيال الضَّعِيف بظواهر هذه التَّصوص ، فصَّرَحَ بأنَّه رسولٌ فقال : « ليؤمن العالم أنَّك أرسلتني » .

ثم بالغ في البيان فقال : « وليس [أسأل] ^(١) في هؤلاء فقط ، بل وفي الذين يؤمنون بي ، ليكونوا بأجمعهم واحداً ، كما نحن واحد » .

يريد : أنَّ وحدته معه ليست مقتضيةً لإلهيته ، وإلَّا لزم أن تكون وحدتهم مع الإله الذي سأله أنَّ يكونوا معه واحداً ، كذلك .

فلنظر كم من حَسَنٍ اشتمل عليه هذا النَّص : من صرائح قد صُرح بإرادة حقائقها ، وظواهر قد صُرح بعدم إرادة ظواهرها [وتجوزات اقترنت بها معانٍ أثبت لها أن تحمل ^(٢)] على حقائقها ، ومحاسن يمرُّون عليها وهم عنها معرضون .
ولله درُّ القائل ^(٣) :

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَفْهَامَ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

وقد صرح في إنجيل (يوحنا) أيضاً في الفصل الخامس والخمسين بما يدل على أن هذا التأويل الذي ذكر هو المراد ، فقال :

(١) غير واضحة في الأصل ، وكتبناها هنا معتمدين على نص بولس .

(٢) ما بين [] مثبت في الهامش ، وليس في الصلب ، ومن المؤكد أن الناسخ قد سها عنه ، ثم ذكره فأثبتته في الهامش ، لكنه لم يرشدنا إلى موقعه من المتن ، فاجتهدنا في ذلك ، ووضعناه في موضعه طبقاً للسياق والمعنى العام ، وهذا يتكرر من الناسخ في غير ما موضع من هذا المخطوط .

(٣) هذان البيتان لأبي الطيب المتنبي ، انظر ديوانه ص ٢٣٢ طبعة دار صادر ، وانظر شرح الديوان للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي ج ٤ ص : ٢٤٦ ، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت .

« من يؤمن بي ، فليس يؤمن بي فقط ، بل وبالذي أرسلني . ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني »^(١) .

لَمَّا جعل طاعته نفسَ طاعةِ الإله ، لَزِمَ أن يكون مخبراً عن الإله ، فقال :
« ومن رآني فقد رأى الذي أرسلني » .

أي : أنا أخبر عنه حقيقة (١٨ ب) ، فأمرى أمره ، ونهى نهيه ، وجميع أحكامي عنه صادرة .

وهذا شأن الأنبياء الصادقين !

* * * *

ومن أوضح ما يُستدلُّ به على أنَّ حقائق هذه النصوص ليست مرادةً ، وأنها محمولة على المجاز السالف ذكره ، أن (يوحنا بن زبدي الإنجيلي)^(٢) ، المتقولة هذه

(١) جاء في الإصحاح الثاني عشر من الإنجيل المذكور ٤٤-٥٠ مائلي :

« فنادى يسوع وقال : الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني ، والذي يراني يرى الذي أرسلني ، أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يَمُوت في الظلمة .. لأنني لم أتكلّم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلّم ... فما أتكلّم أنا به فكما قال لي الأب هكذا أتكلّم .. »
وانظر : الإصحاح الثالث عشر : ٢٠ « الحق الحق أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني ، والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني » .

وانظر الخامس عشر : ٢١ ، وفي الخامس : ٢٤ « الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية » .

وانظر نفس الإصحاح : ٢٦-٢٧ .

وفي الإصحاح السادس : ٣٨ « لأنني نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني » .

وفي الإصحاح الحادي عشر : ٤٢ « .. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني » .

والتصرّح بأنه مرسل ورسول إليهم من عند الله تعالى ، كثير في الأناجيل ، نرى أن فيما ذكرناه من نماذج له غنية إن شاء الله .

(٢) هو يوحنا بن زبدي الصياد ، حواربي السيد المسيح ، عليه السلام ، فيما يعتقد النصارى ، وانظر

ترجمتنا السابقة ليوحنا صاحب الإنجيل ، ويقول جمهور النصارى : أن المسيح عليه السلام كان يجب يوحنا هذا ، وأنه قد استودعه والدته وهو فوق الصليب - بزعمهم - ، وقارن : محاضرات في النصرانية ص : ٥٨ .

النصوص من إنجيله ، وهو عندهم من أجل تلامذته ؛ حتى إنهم يَعلُون فيه فيسمونه
(حبيب الرب) لما فهم هذه المعاني المذكورة ، وعلم أن هذه النصوص مصروفة عن
حقائقها إلى المجاز المذكور .

قال في رسالته الأولى المذكورة في كتاب الرسائل :
« الله لم يره أحد قط .

فإن أحب بعضنا (١٩) بعضاً ، فالله حالٌ فينا ، ومحبهٌ كاملة فينا ، وبهذا
نعلم :

أنا حالون فيه ، وهو - أيضاً - حالٌ فينا ؛
لأنه قد أعطانا من روحه ، ونحن رأينا ونشهد أن الأب أرسل ابنه لخلاص
العالم ، (١) .

وذكر فيها أيضاً :

« من يعترف أن يسوع هو ابن الله ، فالله حالٌ فيه ، وهو أيضاً حالٌ في
الله ، .
أطلق هذا التلميذ الجليل - عندهم - هذه الكلمات ، مصرحاً فيها بالحلول ،
بقوله :

« وبهذا نعلم أننا حالون فيه وهو أيضاً حالٌ فينا » .

(١) جاء في رسالة يوحنا الأولى ، الإصحاح الرابع ، ١٢ : ١٧ ، ص : ٣٨٩ من طبعة البروتستانت بمصر
سنة ١٩٧٠ م .

« الله لم ينظره أحد قط . إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ومحبه قد تكملت فينا . بهذا نعرف أننا نثبت فيه
وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه . ونحن قد نظرنا ونشهد أن الأب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم . من اعترف أن
يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو في الله . ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا . الله محبة ومن يثبت في المحبة
يثبت في الله والله فيه » .

وواضح أن هذه الترجمة تختلف عن الترجمة التي نقل عنها الإمام الغزالي نصه المذكور ففي هذه استبدلت بكلمة
« حالون » و « حال » كلمة (تثبت فيه) و (يثبت فينا) ، وهذه الترجمة الأخيرة تعضد ما يذهب إليه الغزالي !!
وهي حجة على من يستنتج إفية عيسى عليه السلام من هذا النص .

فإن يكن هذا التلميذ الجليل . عندهم^(١) ، فهم أن الحلول الذى أطلقه عيسى ، عليه السلام (١٩ ب) ، فى النصوص المذكورة ، مقتضى للإلهية ، فيكون مثبتاً لنفسه ولغيره الإلهية ! بقوله :

« وبهذا نعلم أننا حائلون فيه ، وهو أيضاً حالّ فينا » ، وهم لا يعتقدون فيه ذلك ، ولا فى أحد من سائر أتلامدة عيسى ، عليه السلام ، وأتباعه ، فتعيّن أنه فهم من النصوص ما أشرنا إليه من المجاز السالف ذكره .

ويدل على ذلك أنه أوماً إلى جهة المجاز بقوله :

« لأنه قد أعطانا من روحه » .

يريد : أنه أفاض علينا سراً وعنايةً ، علمنا بهما ما يليق بجلاله ثم وقفنا إلى العمل بمقتضاه ، فلا نريد إلا ما يريده ، ولا نحب إلا ما يحبه ، فحينئذ تعود (٢٠ أ) الحالة جذعة^(٢) فى إرادة المجاز المذكور .

(مباحث دقيقة فى النص الثالث) **

لكن بقي فى النص الثالث^(٣) دقائق من المباحث ، لاستخرج إلا بفكرة وقادة^(٤) ، وهو أنه عليه السلام قال :

« وقد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى » .

وظاهر هذا اللفظ يدل على العموم ، لأنه عليه السلام ، أوماً إلى المجد ، وبيانه :

(١) يذكر الغزالي كلمة عندهم ، وهى احتراز جيد فى واقع الأمر ، لأننا لا نعلم يقيناً من هم الحواريون ، فالقرآن الكريم لم يذكر لنا أسماءهم ، وما ذكرته الأنجيل والرسائل بشأنهم لم يكن حجة عند كثير من اللاهوتيين النصارى ، راجع ترجمتنا السابقة ليوحنا صاحب الإنجيل .
(٢) أى جديدة فية .

(٣) هذا العنوان من وضع المحقق .

(٤) يقصد النص المذكور فى إنجيل يوحنا ، فى الإصحاح السابع عشر منه ، ولقد ذكرنا نصه كاملاً فى هامش ص : ١٢٤ من هذا الكتاب .

(٥) فى ل و ش : قاذحة وقادة .

أَنَّ القائل إذا قال : أعطيت فلاناً الدراهم التي أعطيتني ، أو الهدية التي أرسلت إليّ ، كان ذلك ظاهراً في العموم .

لكنّا إذا أنصفنا ، علمنا أن الحقيقة ليست مرادة ، [ص ٤٠] لأنّ من جملة المجد الذي أعطيتني ، (النبوة) و (الرسالة) وما يترتب عليهما من الدرجات والصعود إلى السماء ، وإقداره على الإتيان بخوارق المعجزات ، فهذه حقائق ليست مرادة بالإعطاء ، فلا بد من حمل اللفظ بعد ذلك على معنى ، وإلّا لزم تعطيله^(١) ، فلم يبق إلّا أن يراد بالإعطاء : إعلامهم بما يليق بجلال الله عزّ وجل ، ثم سأل لهم التوفيق إلى العمل بمقتضاه من الإله القادر على ذلك ، فقال : قدّسهم بحقك .

أى : أنا قد أعلمتهم بما يليق بجلالك ، وهذه وظيفة الأنبياء المرسلين ، فأرشدهم أنت ووفقهم إلى العمل بمقتضاه ، فإنّ هذه درجة الإله القادر على خلق الأعمال !!
فإن قيل :

لِمَ لا يجوز أن يكون من جملة المجد الذي أعطى له ، الاتحاد الذي استحق أن يكون به إلهاً ؟!

وقد دلّ الدليل على عدم إرادته ، وأنه ليس [مُعطى] ، فيكون غير مراد ، وإن كان مندرجاً تحت لفظ العموم ،

قلنا هيات !! ها هنا تسكّب العبرات !!

وهل الإلهية يمكن إعطاؤها !!؟

هذا مما أجمع العقلاء على استحالة ، وهل هذا إلّا مصادرة على المطلوب من غير إثبات (بثابت *) يُعوّل عليه إلّا ظواهر^(٢) ، وقد حللناها من أيديهم ، وأوها صاحب شرعهم^(٣) معتزلاً (٢١ ب) إطلاقها ، ومحترزاً عن إرادة حقائقها ؟!

(١) أى : تعطيل النص وهو غير جائز .

(٢) أى إلّا ظواهر نصوص غير مرادة لأنها تتناقض وتتصادم مع صريح المعقول ، فلا بد من صرفها عن هذا الظاهر إلى معنى آخر حتى لا تتعطل والتعطيل غير جائز كما ذكر .

(٥) في الأصل هكذا « بيت » وهو لا معنى له ، والسياق يوجب علينا ذكر ما أثبتناه والله أعلم .

(٣) عيسى عليه السلام .

ومثل هذه المعضلة لا تثبت بمجرد الاحتمال ، ما لم تبرهن بالبراهين اليقينية ؛
 لاسيما في شخص وضحت إنسانيته ؛ ثابتة لوازُمها وملزوماتها وذاتياتها من الحيوانية ،
 والنطق ، والإعياء ، والجوع ، والعطش ، والنوم ، والاجتنان في الرحم ،
 والتألم - على رأيهم - في الصَّلب ، حيث قال :

« إلهي إلهي ، لِمَ تركتني »^(١) .

فهذه كلها منافية للإلهية .

وكيف ينكر ذلك ؟ وفي إنجيل (مرقس) :

« وفي الغد خرجوا من بيت [عينا]^(٢) ، فجاء ، ونظر إلى تينة من بعيد ،
 وعليها ورق ، فجاء إليها ليطلب فيها ثمرة (١٢٢ أ) ، فلمّا جاءها لم يجد عليها شيئاً
 إلّا ورقاً فقط ، لأنّه لم يكن في زمن التين »^(٣)

صرّح في هذا النص بإحساسه بالجوع ،

وظنّه الشيء على خلاف ما هو عليه ، لأنّه ظن أن عليها ثمرة ، فأخلف ظنه ،
 وظنّ أن الزمن زمن التين ، أو ظن أنها تثمر في غير زمن التين ، وكلاهما ظنّ غير
 مطابق !!

فإن قيل : فأى فائدة في تعطيل الشجرة ؟

قلنا : إنما فعل ذلك ليثبت تلامذته على إيمانهم ، وليرغبهم في الازدياد من
 الأعمال التي يكون مثل هذا الفعل من بعض نتائجها ؛ لأنّ الأنبياء والأولياء حين

(١) ورد في إنجيل مرقس ، في الإصحاح الخامس عشر ص : ٨٧ من طبعة البروتستانت « وفي الساعة التاسعة
 صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً ألوى ألوى لما شبقني . الذي تفسره إلهي إلهي لماذا تركتني » (٣٥ : ٣٤) .
 (٢) مكان بالقرب من أورشليم حسبما بهم من إنجيل مرقس ، وانظر الخريطة الملحقة بالكتاب المقدس ،
 وقاموس الكتاب المقدس .

(٣) في الإصحاح الحادي عشر من إنجيل مرقس ص : ٧٧ من ط : البروتستانت بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م .
 فدخل يسوع أورشليم والميكل ... وفي الغد خرج إلى بيت عينا جاع فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله
 يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلّا ورقاً ، لأنّه لم يكن وقت التين . فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك
 ثمراً بعد إلى الأبد » (١١ : ١٤)

• انظر ترجمتنا له في القسم الأول .

• هذا ينسجم مع رأيه في الولاية .

وعدوا بالجنة (٢٢ ب) ، إنما وعدوا بها محفوفةً بالمكاره ، ومكابدةً الجوع ،
والرّضى به ، من المكاره الشديدة !!

ومكابدةً المكاره ، ربّما يقلّ معها عصامُ التقوى من العارفين ، وتغلب كثرة
من الرّعا ع ،

فإذا أراهم مثلَ هذا الفعل ، الذى هو من نتائج الأعمال الصالحة ، رغبهم في
الاستكثار من أسبابه ، وحقّر في نفوسهم ، مصائب الدنيا وآلامها ، وليّين بذلك أن
امتحان الأنبياء بالجوع والآلام ، ليس من قبيل الهوان بهم ، ولا بمراتبهم ؛ بل من
قبيل الامتحان والابتلاء ، فمن صبر شاكرًا راضياً ، (٢٣ أ) قدر على الإتيان بمثل
ذلك .

وبدل على صحة هذا التأويل قوله لـ (بطرس) * في بقية هذا النص ، وقد
قال له : يا معلم ،

هذه التينة التى لعتها قد [يست] (١) :

«إن كان لكم إيمان بالله الحق أقول لكم : إن من قال لهذا الجبل انتقل واسقط
في البحر ، ولا يشك في قلبه بل يصدق أن الذى يقوله يكون فيكون له» (٢) .

كل ذلك دليل على أن ييسها إنما كان من باب كرامات الأنبياء ، لأنّه قد أثبت
لهم - بالولاية - نقل الجبل وسقوطه في البحر ، وذلك أبلغ من ييسها .

وقد أتى بمثل ذلك - أيضاً - في الإنجيل (٢٣ ب) (٣) مُصرّحاً به - فقال :

(٥) انظر ترجمتنا له في القسم الأول .

(١) غير واضحة في الأصل ، وسجلناها هكذا مستفيدين من نص الكتاب المقدس عندهم .

(٢) جاء في إنجيل مرقس الإصحاح الحادى عشر

« وفي الصباح إذ كانوا يجتازين رأوا التينة قد يست من الأصول . فنذكر بطرس وقال له يا سيدى انظر ،
التينة التى لعتها قد ييست . فأجاب يسوع وقال لهم ليكن لكم إيمان بالله ، لأنى الحق أقول لكم إن من قال هذا الجبل
انتقل وانطرح في البحر لا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » (٢٠ : ٢٤) .

(٣) الإنجيل المقصود هو إنجيل يوحنا .

« الحق أقول لكم : إن من يحفظ وصاياي يعمل الأعمال التي أعمل ، وأفضل منها يصنع ^(١) .

ويؤكد ذلك تصريحُ الإنجيل في هذا النص ، بالجوع ، وتصريحه بطلب الثمرة فيها .

وهذا - أيضاً - يطل قول من يقول : إنما فعل ذلك إعلاماً لهم أنه قادر على إماتة الأحياء ؛ لأنه يلزم أن يكون واضح هذا النص في الإنجيل ، كاذباً في قوله : فجاء ، وفي قوله : فجاء ليطلب فيها ثمرة ؛ جعل ذلك علة مجيئه إليها !! ^(٢) .

وهل يكون ما ذهبوا [إليه] إلا كقول القائل : جعت ، فظرت شجرة ، فجئت ^(٣) إليها ، لأطلب فيها ثمرة ، فلم أجد شيئاً ، فدعوت عليها بالجفاف ؛

ليُستدل بذلك على أنني إله قادرٌ على إماتة الأحياء ؟! وهذا من جنس كلام المغفلين ؟؟ تعالى الله عن ذلك !!

النص الرابع

ذكره (مرقس في إنجيله ، في الفصل الرابع والأربعين :

« فأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعرفها أحد ، ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن ، إلا الأب وحده » ^(٤) .

صَّرح في هذا النص بالإنسانية المحضة نافياً عنه العلم المختصّ بالإله ، وهذا من أوضح الأدلة على إنسانيته المحضة .

(١) جاء فيه ، في الإصحاح الرابع عشر : « الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأني ماض إلى أبي » (١٢ : ١٣) .

(٢) لله در أبي حامد !! انظر كيف يجادل بموضوعية وكيف يلزم خصمه الحجة الدامغة ! .

(٣) هذا قد نسيه الناسخ ، رحمه الله ، ثم ذكره فأثبتته في الهامش ، ولم يعين لنا موقعه من الكلام ، فاجتهدنا في وضعه في هذا المكان تمام المعنى وموافقة السياق ، والله أعلم . وفي ش : وهل يكون ما ذهبوا إليه إلا غفلة من عقولهم لأنه ما جاء إليها إلا ليطلب فيها ثمرة كقول القائل ... الخ .

(٤) جاء في الإصحاح الثالث عشر : ٣٢ « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن ، إلا الأب » .

ومن هديانهم : حملهم هذا النص على أن الملائكة والابن ، كل منهما معطوف على ضمير الساعة ، ويكون تقدير الهديان :

أما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعرفها ولا الملائكة ، ولا الابن أحدٌ إلا الأب وحده !!

فأعجب من هذه العقول^(١) ، كيف فاتها أن صفات الإله إذا لم تثبت بالبراهين اليقينية ، فلا أقل من كونها ظاهرة الدلالة ؟!

وانظر : كم مِنْ بُعْدٍ في هذا التأويل الذي يَنبُو عنه السمع ؟! وكم خُولِف فيه من ظاهر ؟!

ثم إنَّ قائله لما ضاق عليه المجال وقيل له : أي لفظ في هذا النص يفهم من السؤال عن الملائكة والابن ، ليقع الجواب مطابقاً ، جنح إلى الكذب (٢٥ أ) قائلاً :

إنَّه علم أنهم يسألونه عن الملائكة والابن ، فأجابهم دفعة .

ثم إنَّ مُؤَوِّلَه ، إنَّما أوَّلُه بما ذُكِرَ ، فراراً من نفى العلم المختص بالإله إنبائه ، وذلك بعينه موجودٌ فيما ذكره من التأويل ، بل الجهالة أعظم !!

وبيانه : أنَّه إذا جعل الابن والملائكة معطوفين على ضمير الساعة ، كان معناه : أما معرفة عين الساعة ومعرفة حقيقة الابن وحقيقة الملائكة ، فلا يعرف ذلك إلا الأب وحده .

وهو ، عليه السلام ، إذا أطلق الابن أراد نفسه ، وإذا أطلق الأب أراد الإله جلَّ (٢٥ ب) اسمه^(٢) ، فيعود عين ما قرؤوا منه وزيادة في الجهالة ، لأنه في ظاهر النص المذكور ، نفى عن نفسه معرفة عين الساعة فقط .

وفي هذا التأويل : يكون قد نفى عن نفسه معرفة عين الساعة ، ومعرفة [حقيقة]^(٣) نفسه ، ومعرفة حقيقة الملائكة !!

(١) في ش : القول ، والعبارة هكذا : فأعجب من هذا القول كيف فاتها !!؟

(٢) وهذا الإطلاق كثير جداً في الأناجيل والرسائل .

(٣) و الأصل (حقيقته) .

فاعجب من عقول ، يجب على العاقل أن يحمّد الله أن حماه من اختلاها ، ساخرأ
ممن حلول أن يتفنى جهالة دُنْيا ، فاثبت جهالة غُلْيا !! ، فقد وضع أن مخالفة ظاهر هذا
النص بما ذكر ، هديان (يقبح)^(١) على العاقل أن يُضيّع الزمان في الاشتغال به . !!

النص الخامس

ذكره (يوحنا) المذكور في إنجيله ، في الفصل السابع والثلاثين :

« ... تكلم يسوع بهذا ، ثم رفع عينيه إلى السماء وقال : ياأبة ، حضّرت
الساعة ، فمجدّ ابنك ، لمجدّدك ابنك ، كما أعطيته السلطان على كل جسد ؛ ليعطى
من أعطيته حياة الأبد .

وهذه حياة الأبد ، أن يعرفوك أنك الإله الحقّ وحدك ، والذي أرسلته
يسوع المسيح »^(٢) .

صرّح بالرسالة للمسيح ، ولا يمكن عود ذلك إلى الناسوت ، لأن المسيح : اسم
- عندهم - بمجموع حقيقة مركبة من : لاهوت وناسوت » (٢٦ ب) .

فإن ادّعى مدّع أن ذلك محمول على المجاز لم (يَسُد)^(٣) كلامه وكذب بامتناع
إطلاق مثل ذلك في العرف ، إذ قول القائل :

رأيت جبراً وهو يريد الزّاج - من حيث هو زاج ، منفكاً عن الجبريّة ، ليس
من السداد في شيء ، هذا كله بعد أن يلجأ إلى بيان أن لغة الإنجيل من أحكامها إطلاق
الكل وإرادة البعض ، فإن نهض بذلك فالاعتراض ساقط ، ولا حاجة إلى ما ذكر من
الجواب ثم أكّد ذلك بقوله : (٢٧ أ) .

(١) لم أستطع فراءتها في الأصل ، وفي ش ، ل : يقبح .

(٢) جاء في صدر الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا قوله :

« تكلم يسوع بهذا ، ورفع عينيه نحو السماء وقال : أيها الأب قد آتت الساعة (يعنى ساعة الموت أو الصلب
بوعصمهم) مجد ابنك لمجدّدك ابنك أيضاً . إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ، ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته .
وهذه هي الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » .

(٣) غير واضحة في الأصل ، وكتبناها هكذا معتمدين على ما جاء في ش و : ل ، وانظر لسان العرب : مادة

« لِيُعْطَى كُل مَنْ أُعْطِيَتْهُ حَيَاةُ الْأَبَدِ » .

ثم فسر حياة الأبَد ، فقال :

« وهذه حياة الأبَد : أن يعرفوك أنك الإله الحق وحدك ، والذي أرسلته يسوع المسيح » .

فصرح للإله بالإلهية والوحدانية ، وصرح لنفسه بالرسالة^(١) .

* * * *

ويصرّح - أيضاً - (بولس) الرسول في حقّه حين وصف القيامة ، فقال :

« فحينئذ يخضع الابن للذي أخضع له كلّ شيء » .

وصفه بالخضوع لله في القيامة ، وهذا شأن العبيد الخاضعين لعظمة الله ،
ووصف الإله بالقدرة على إخضاع كلّ شيء لعظمته ، وهذا شأن الإله (٢٧ب)
القادر .

* * * *

وذكر أيضاً في رسالته التي سيّرها إلى أفسس :

« ولست أقتر من الشكر عنكم والذكر لكم في صلواتي ، أن يكون إله سيدنا
يسوع المسيح ، الأب المجيد ، أن يعطيكم روح الحكمة والبيان »^(٢) .

فصرح بطلب الإعطاء من إله يسوع المسيح ، ووصف الإله بأنه الأب

(١) والتصريح بالرسالة للمسيح جاء في غير ما موضع في العهد الجديد ، منه مثلاً يوحنا ، ١٧ فقرة ١٨ : « كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم » .

١٧ فقرة ٢٢ : « ليؤمن العالم أنك أرسلتني » ،

١٧ فقرة ٢٥ : « أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني » .

(٢) ذكر بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس ، في الإصحاح الأول ١٦-١٧ : « لا أزال تذكّر لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبوالمجد روح الحكمة ، والإعلاّ في معرفته » .

المجيد ، وجعله إلهًا للمسيح الذى هو اسم - عندهم - للحقيقة الثالثة .

* * * *

وصرّح أيضاً - فى كتاب الرسائل ، فقال :

« الله الواحد هو ، والوسيط بين الله والناس ، الإنسان ^(١) يسوع المسيح » .

وصرح الإنجيل - أيضاً - :

« ولا تدعوا لكم (١٢٨) معلّمًا على الأرض فإن معلّمكم [واحد] ^(٢) هو المسيح ، ولا تدعوا لكم أبًا على الأرض ، فإن أباكم واحد هو الذى فى السماء » ^(٣) .

دليل على التغاير ، لأنه وصف نفسه بوحدة التعليم فى الأرض ، ووصف الإله بوحدة الأبوة ، وهو إذا أطلق الأب أراد إلهه ، فيكون قد وصفه بوحدة الإلهية ، ثم أشار إلى جهة العلو بقوله : فإن أباكم واحد هو الذى فى السماء » وهذا النص ذكره (متى) * فى إنجيله فى الفصل السادس والسبعين .

* * * *

ثم من العجب إنكارهم خضوعه المتأفى للإلهية ، وهو (٢٨ ب) القائل عند قيام [عازر] ^(٤) ، وقد رفع عينيه إلى السماء :

« يا أبّية ، أشكرك لأنتك تسمع لى ، وأنا أعلم أنك تسمع لى فى كلّ حين ،

(١) فى الأصل : الناس ، لكن الناسخ استدرك على نفسه ، فتكتب فى الهامش (الإنسان) وفى ش : والوسيط بين الله والناس واحد هو الإنسان يسوع المسيح ؛ وفى ل : الواسط .

(٢) كلمة (واحد) هذه أثبتتها الناسخ فى الهامش .

(٣) جاء فى إنجيل متى ، الإصحاح ٢٣ - ٩ : ١١ .

« ولا تدعوا لكم أبًا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ، ولا تدعوا معلمين ، لأن معلّمكم واحد : المسيح » .

(٥) انظر دراستنا عنه فى القسم الأول .

(٤) عازر هو الذى أقامه المسيح عليه السلام من الأموات ، ويشار إليه فى الإنجيل بـ (لعازر) .

لكن لأجل هذا الجمع الحاضر ، ليؤمنوا أنك أرسلتني» (٢) .

صرح بذلك (يوحنا) في إنجيله .

والقائل - أيضاً - ليلة الصلب - على رأيهم - :

« إن كان يُستطاع فلتعبر عني هذه الكأس » (٣) متضرعاً للإله .

وقوله عندما صلب - على رأيهم - :

« أَلوى أَلوى لِيَا صَافِحَتَانِي » (٣) . وهذه كلمات عبرانية معناها : « إلهي ، إلهي ، لِمَ تركتني » .

وأى إله هذا شأنه : شك في استطاعة عبور (١٢٩) الكأس ورفع صوته مستفهماً مِنْ إلهة : لِمَ تركه ؟

ثم غاير بين إرادته وإرادة إلهه بقوله :

« وليس كما رادني ، لكن كما رادتك » .

ثم غاير أيضاً بينه وبين إلهه بقوله :

« لا تضطرب قلوبكم ، آمِنُوا بِاللَّهِ ، وَآمِنُوا بِي » (٤) .

هذه الكلمات مصرّح بها في إنجيل (يوحنا) ، في الفصل الثاني والثلاثين .

ثم أوضح المغايرة ، فقال في الفصل السابع من هذا الإنجيل :

« إن من سَمِعَ كلامي وآمن بمن أرسلني وجبت له الحياةُ الدائمة » (٥)

(٢٩ ب)

(١) جاء في الإصحاح الحادى عشر من إنجيل يوحنا : ٤١-٤٢ .

« ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني » .

(٢) انظر إنجيل مرقس الإصحاح الرابع عشر .

(٣) جاء فى الإصحاح السابع والثلاثين من إنجيل متى : ٤٦ « ونحو التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم

قائلاً : إيلى ، إيلى ، لما شبقتنى ، أى : إلهي إلهي لماذا تركتني » .

(٤) يوحنا الإصحاح الرابع عشر عدد (١) .

(٥) ذكر فى إنجيل يوحنا . الإصحاح الخامس - ٢٤ قوله :

« الحق الحق أقول لكم ان من يسمع كلامي ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية » . وهذا الكلام المصرح فيه

فصرّح بأن له مرسلًا ، ومعلوم أن المرسل غير المرسل .

ثم جعل الحياة الدائمة مشروطة بالإيمان بمرسله ، وسماع كلامه المخير به عن الله ، وهذا تصريح بأحوال الأنبياء المرسلين . !!! (لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يبصر القمر)^(١) .

النص السادس

ذكره أيضاً (يوحنا) في إنجيله ، في الفصل الحادى والعشرين :

« قال لهم يسوع : لو كنتم بنى (إبراهيم) كنتم تعملون أعمال إبراهيم ، (لكنكم) الآن تريدون (قتلى) ، (وأنا) إنسان كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله »^(٢) .

وفى الفصل أيضاً :

« فإن لى كلامًا كثيرًا أقوله فيكم وأحكم به ، ولكن الذى أرسلنى حق ، والذى سمعته منه ، به أتكلّم فى العالم »^(٣) .

= بالمرسل وبالرسالة نظائر كثيرة فى الإنجيل ، نذكر منها على سبيل المثال قوله فى إنجيل يوحنا ، الإصحاح السابع : ١٦-١٧ :

« أجابهم يسوع وقال : تعلّمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى ، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم ، هل هو من الله أم أتكلّم أنا من نفسى » .

(١) هذه العبارة أثبتّها الناسخ بالهامش فى الأصل واجتهدنا فى وضعها فى هذا المكان ، وفى نشوء شدياق : فلا تخفى على أحد إلا على إله لا يبصر القمر ، وهو لم يدرك معنى العبارة ، ولم يتابعه فى ذلك مترجمه ، لكنه أبدل (بأكمه) أعشى ، ولم ينصب (القمر) .

(٢) ورد فى الإصحاح الثامن من الإنجيل المذكور : ٣٩-٤٠ .

« قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني ، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله » .

(٣) ورد فى الإصحاح الثامن كذلك ، قوله : « إن لى أشياء كثيرة أتكلّم وأحكم بها من نحوكم ، لكن الذى رضى هو حق . وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم » : ٢٦

وفي الفصل أيضاً :

« لأنى لم أتكلّم بها من نفسى ، لأن الأب الذى أرسلنى هو أعطانى الوصية ، بماذا أقول ، وبماذا أنطق ، وأعلم أن وصيته حياة الأبد ، والذى أقوله أنا كما أمرنى الأب ، كذلك أتكلّم »^(١) .

صرّح فى هذا النص بالإنسانية بقوله : إنسان كلمتكم بالحق^(٢) ، أى : أنا إنسان .

وصرّح بالرسالة ، وأنه لا يفعل إلا ما أمر به^(٣) ، بقوله :

« كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله »

وبقوله : « كما أمرنى الأب ، كذلك أتكلّم » .

وقد صرّح (يوحنا) الرسول (٣٠ ب) برسالته الخضة ، فى رسالته التى كتبها للعبيرانيين فقال :

« انظروا إلى هذا الرسول ، عظيم أخبار إيماننا ، يسوع المسيح الموثق عند مرسله ، وهو مثل موسى (عليه السلام) فى جميع بيته »^(٤) .

[صرح بأنّه من جملة أبحارهم ، وصرّح بأنّ له مرسلأ ، وأنه موثق عنده ، ثم جعله مثل موسى ، فى جميع بيته]^(٥) [أى]^(٦) : الطوائف التى^(٧) أرسل إليهم^(٨) ،

(١) ورد فى نهايه الإصحاح الثانى عشر من الإنجيل المذكور ، ٤٩ : ٥٠ ، قوله :

« لأنى لم أتكلّم من نفسى لكن الأب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ؛ ماذا أقول وبماذا أتكلّم ، وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية ، فما أتكلّم أنا به ، فكما قال لى الأب هكذا أتكلّم » .

(٢) فى ش ، ل : كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله .

(٣) ساقطة من : ل .

(٤) جاء فى رسالة يوحنا إلى العبيرانيين قوله : « لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنة المسيح يسوع ، حال كونه أميناً للذى أقامه كما كان موسى أيضاً فى كل بيته » الإصحاح الثالث ١ : ٢ .

(٥) ما بين المعقوفين كان ميثاقاً فى الهامش بخط أدق من خط الصلب ، ورأينا أنه جزء من المتن ، لذا قد اجتهدنا فى تحديد مكانه المناسب ، ولعلنا قد أصبنا .

(٦) فى ل : بنه .

(٧) زيادة من المحقق ، وفى ش : يريد بذلك .

(٨) فى ش : الذى .

(٩) نعل الأصوب : أن يقال إليها .

يدل على ذلك قوله في بقية الكلام ، في وصف عيسى عليه السلام :

« وَأَمَّا بَيْتُهُ نَحْنُ ، مُعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وإذا ثبت أن المراد بجميع بيته أمته ، كان معنى الكلام : (وهو مثل موسى في أمته) وهذا تصريح بالرسالة المحضة .

وقد صرّح في هذه الرسالة بما يوضح ذلك فقال :

« فَإِنَّ (٣١) لِكُلِّ بَيْتٍ ، إِنْسَانًا يَبْنِيهِ ، وَالَّذِي يَبْنِي الْكُلَّ هُوَ اللَّهُ » (١) .

يريد بذلك : أن كل واحد من هذين الرسولين (٢) ، هُديت به أمته ، والذي هدى الكل - في الحقيقة - إنما هو الله .

وعاضد هذا التأويل مُصرّح [به] (٣) في الإنجيل وهو :

« أَنَا كَرَمَةُ الْحَقِّ ، وَأَيْ هُوَ الْفَارَسُ كُلُّ غُصْنِي فِيَّ » (٤) :

صرّح بهذا النص يوحنا في فصل (الفارقليط) (٥) ، وفي اللغة التي ترجمت منها هذه الرسالة :

(١) « لَأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا ، وَبَابِي الْكُلُّ هُوَ اللَّهُ » .

(الإصحاح الثالث : ٤) .

(٢) أى : موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

(٣) لفظة [به] زيادة من عندنا لتستقيم العبارة ، ولم يذكرها الأب شدياق ، وذكرت في : ل .

(٤) ورد في الإصحاح الخامس عشر : ١ من إنجيل يوحنا قوله :

« أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَيْ الْكَرَامُ ... » .

(٥) أى في الفصل الذى تحدث عن الفارقليط من إنجيل يوحنا ، وهو الوحيد من بين الأربعة الأناجيل الذى

انفرد بذكر الفارقليط ،

و (الفارقليط) كلمة يونانية Parakletos ، أصبحت في الفرنسية Paraclet ، وهى ترمز إلى اسم أو صفة المبشر به من المسيح عليه السلام ، والذى يأتي بعده ، وقد ترجمت كلمة (بارقليط) (إلى (المعزى) وأضيف إليها (المعزى روح القدس) حتى تنصرف إلى روح القدس الذى نزل على التلاميذ بالدار فألهمهم حسبا بقولون ، ولا تنصرف إلى النبى الذى يأتي بعد المسيح عليه السلام ، وهو محمد ﷺ ، وتبديل النصارى وتحريفهم لكتابتهم واضح تماماً في هذه النقطة بالذات ، ومقارنة ما أورده برنابا في إنجيله عن حديث المرأة السامرية مع المسيح ، عليه السلام ، مع ما أورده يوحنا حول ذات الموضوع توضح تزيف يوحنا لبشارة المسيح ، عليه السلام ، بالرسول الذى يأتي من بعده . ولاستيعاب جوانب هذه المسألة المهمة ، انظر : دراسة رحمة الله الهندي في كتابه « إظهار الحق » ص : ٦٢٩ - ٦٣٤ صبعة محمد كمال فراج سنة ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م القاهرة .

« الْمُؤْتَمَنُ عَبْدٌ ^(١) مَنْ خَلَقَهُ » .

[فائدة ^(٢)] :

بقي ها هنا بحثٌ وهو أن مثل هذا المجاز السَّالف وهو : (٣١ ب) إطلاق لفظ الحلول ، وإطلاق « أنا والآب واحد » ، لم يؤذن لصاحب شريعتنا ^(٣) ، ولا لأحد من أئمة باستعماله ألبتة .

لكن عيسى [عليه السلام] صاحبُ شريعة وكل شريعة اختصت بأحكام ، وحيث أطلق هذه التصوص ، واعتذر عن توهم إرادة ظواهرها بضربه لهم المثل ، دلَّ على أنه أذن له بإطلاقها واستعمال المجاز المذكور ، وكذلك إطلاق الأبوَّة والبنوَّة ، وسنذكر المعنى الحامل له على إطلاقها .

فليت شعري بأي عذر يعتذر المعاند ، بعد تصريحه بالإنسانية والرسالة ، وتقييده أحكامه بما يؤمر به ، وتأويله نفسه ما تقدّم من ظواهر التصوص الدالة على الاتحاد ، معتذراً عن بعضها بضربه المثل المذكور لليهود ، ومصرّحاً في بعضها بالرسالة ، ووقوفه في بعضها سائلاً داعياً لله عز وجل ، موقف العبد الخاضع ، مُستمطراً إحسان الإله لتلامذته ، بقوله :

« احفظهم باسمك الذي أعطيتني » .

ويقوله :

« قدّسهم بحقك » .

ثم تجده إذا ألجأته المضايق [أبا براقش] ^(٤) إن وجد ما يدلُّ على إنسانيته أعاد

وانظر كذلك : الدراسة القيمة التي كتبها الدكتور موريس بوكاي حول ألد (فارقليط) المبشر به في إنجيل يوحنا (والذي سكت عنه كتاب الأنجيل الآخرون عمداً) (الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) ص : ١٢٥-١٢٩ ط . دار المعارف بمصر .

(١) في الأصل : عند ، وفي ش ، ل : عبد وهو أدق .

(٢) هذا العنوان من وضع المحقق .

(٣) أى : محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

(٤) ما بين المعقوفين ، لم استطع قراءته في الأصل ، وفي ش ، ل : أبا براقش وهو طائر زوده الخائف عز وجل بمكانية تقيمه لونه حسب مقتضيات .

« طلب الأبلق العقوق ، فلماً لم ينله أرادَ بيض الأنوق (١) » !!

لأنهم حاولوا بان يشتوا تعلقاً بين ذات الإله وذات عيسى عليه السلام ، على حد يبتلى النفس بالبدن ، فلم يقدروا على تحقيق ذلك ، بل ادعوا إثباته بمجرد (الإمكان) ، من غير إثبات نجحة محرّكة للظن ، فكيف يدعون إثبات ما هو مستحيل الإمكان [متعذر] (٢) الوجود ؟!

وبيان تعذر ذلك : أن وجود كل حقيقة مركبة ، موقوف على وجود أجزائها وتركيبها تركيباً خاصاً ، فحينئذ تكون مفتقرة في وجودها إلى وجود أجزائها ، ويكون كل (١٣٤) جزء من أجزائها مفتقراً في جزئته - أى فيما يصير به جزءاً محصلاً له صفة الجزئية - ، وتركيبه الخاص إلى انضمام غيره ، والتقدير ، أن باحد جزأى هذه الحقيقة : اللاهوت ، وجزؤها الآخر الإنسان ، وهو انحصل للاهوت ، صفة الجزئية .

وتركيبه الخاص بانضمامه إليه جزءاً ؛ إذ بذلك حصل مجموع ما ذكر ؛ فيكون اللاهوت مفتقراً إلى الإنسان ، وذلك محالٌ بين بطلانه !! هذا إذا لم يرد بالتركيب ، تركيب امتزاج واتحاد أو مجاورة ، فإن أريد به شيء من ذلك كان الخطب أعظم في الفساد !!

وربما نقل عن (٣٤ ب) بعض المغفلين - منهم - أن هذا التركيب ، لا تُعلم حقيقته .

وجوابهم : أن مخالفة صرائح العقول ، والركون إلى أمر غير معقول ، حماقة وسخافة في العقل !!

(١) مثل يضرب لمن يطلب الأمر البعيد ، وعندما لا يستطيع تحقيقه ، يطلب الأبعد والأعوص ، بدلا من أن يطلب الأدنى والأقرب .

والأنوق على وزن فعول : الرحمة ، وقيل ذكر الرحم ، قال ابن الأعرابي : أنوق الرجل إذا اصطاد الأنوق ، وهى الرحمة ، وفى المثل : أعز من بيض الأنوق ، لأنها تضعه في أوكارها وهى في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ، وفى حديث لعل كرم الله وجهه : « ترقيت إلى مرقاة يقصر دونها الأنوق » .

انظر : نسان العرب لابن منظور (مادة أنق) .

(٢) فى الأصل كلمة غير واضحة ، وفى ش ، ل : متعذر .

ثم نقول أيضاً - من الرأس - (١) :

إنَّ الإلهَ إذا كان خالقاً للناسوت ، ثم ظهر فيه ، متحدًا به ، فقد حدثت له صفة بعد خلقه ، [وهى] (٢) اتحاده به ، وظهوره فيه ،

فبقول : إذاً ، هذه الصفة إن كانت واجبة الوجود ، استحال اتصافها بالحدوث ، وإن كانت ممكنة الوجود ، استحال اتصاف البارى بها ، لأن صفات البارى كلها واجبة الوجود ، (١٣٥) .

لأن كل ما لزم من عدم وجوده ، محالٌ ، فهو واجب الوجود ، وصفات الإله ، يلزم من عدم وجودها محالٌ بين .

فإن قيل : إن كان هذا لازماً ، استحال خلق العالم ، بل استحال خلق مخلوق واحد ، لأن الله عز وجل ، إذا خلق مخلوقاً واحداً ، حدثت له صفة : [وهى] (٣) اتصافه بخلقها ، فيلزم المحال المذكور !!

فالجواب : أن هذا غير لازم البتة ؛ لأن المعنى من كون الله خالقاً : تقديره الخلق فى الأزل ، وهذه الصفة ثابتة له أزلاً ، فإذا خلق مخلوقاً ، فعلمه بوجوده فى زمن خلقه ، والقدرة (٣٥ ب) على إيجادها فى ذلك الزمن أيضاً ، كلاهما ثابت أزلاً ،

فلم يبق حادث سوى وجوده ، ووجوده ليس صفة قائمة بذات الإله ، جل اسمه ، بل بذات المخلوق .

وأما نسبة الوجود إلى [تأثير] (٤) القدرة فيه ، زمن إيجادها ، فذلك من باب النسب والإضافات ، والنسب والإضافات ، ليست أمراً وجودياً ، كالفوقية والتحتية والأبوة والبُنة ، وهذا معنى بينُ الظهور ، بخلاف ما تقدم

فإنه إذا اتحد بالناسوت ، كان اتحاده به ، صفة قائمة بذاته ، تعالى الله عن ذلك ،

(١) فى الأصل بدون همز ، ويجوز أن تكون : من الرأسى أى : المتمكن الثابت .

٢-٣ فى الأصل : وهو ، وكذلك فى ش : ل .

(٤) فى الأصل غير واضحة ، واجتهدنا فى إثباتها هكذا ، معتمدين على السياق .

ذلك على ناسوته ! ، وإن وجد ظاهراً عجز عن تأويله رد ذلك إلى لاهوته ! ، فانظر :
كيف أعمى الله بصيرة من يجعل إلهه (٣٢ ب) تارة إنساناً وتارة إلهاً ، تعالى
الله عما يقولون علواً كبيراً !؟ .

[اللاهوت والتاسوت]^(٥)

ثم لا بد من إبطال ذلك - غير مُقَصِّرِينَ عن الشناعة والاستبعاد - فنقول :
هم يعتقدون أن الإله خلق ناسوت عيسى عليه السلام ، ثم ظهر فيه ؛ مُتَحَدًا
، ويَعْنُونَ بالاتحاد :

أنه صار له به تعلق على حد تعلق النفس بالبدن ،
ثم مع هذا التعلق حدث حقيقة ثالثة مغايرة لكل واحدة من الحقيقتين ؛ مركبة
من لاهوت وناسوت ، موصوفة بجميع ما يجب لكل واحد منهما :

من حيث هو إله وإنسان !!

وقد ارتكبوا في إثبات هذه الحقيقة فظائع ، كان الأخلق (١٣٣) بهم سترها
« والأخرق إذا لم يستج قال ما شاء !! » .

لأنهم أثبتوا لها جميع ذاتيات الإنسان ، ولوازمه ، وملزوماته ، وصفاته وجميع
ما يجب للإله وما يستحيل عليه ، من حيث هو إله ، وقَضَوْا بأنها مغايرة لكل واحد
منهما مع الاشتراك في جميع ما ذكر !!!

هذه مقالة من لا عقل له !!

وهذه الحقيقة : هي المعبر عنها - عندهم - بالمسيح !!

وهذا خَبْطٌ عظيم ، وعدولٌ عن الحق الواضح !!

وهل هم في هذه المقالة إلا كما قيل : (٣٣ ب) .

(٥) هذا العنوان من وضع المحقق .

ثم لو فرض وجود (١٣٦) هذه الحقيقة ، فالقول بأنها حقيقة ثالثة مغايرة لكل واحد من : اللاهوت والناسوت ، موصوفة بكل ما يجب لكل واحد منهما ، من لوازم الإنسان وملزوماته وصفاته ، من حيث هو إنسان .

وما يجب للإله ويستحيل عليه من الصفات الثابتة له من حيث هو إله ، كلام متهافت ! ، لا مطمع لأحد في تحقيقه ! .

وبيانه : أن الشيء إنما يوصف بصفة ، إذا كان وصفه بها ممكناً ، وإذا ثبت ذلك ، [امتنع] أن تجرى على هذه الحقيقة أحكام اللاهوت وأحكام الناسوت ؛ لأن جميع ما يجب لللاهوت (٣٦ ب) من الصفات وغيرها المختصة به ، من حيث هو لاهوت ، المميزة له عن غيره ، إن كانت ثابتة للحقيقة الثالثة ، لزم أن يكون عين اللاهوت !!

وكذلك القول في الناسوت ، لاشتراكها معهما في جميع لوازم كل واحد منهما ، وجميع ملزوماته وصفاته الثابتة له ، من حيث هو إله ، ومن حيث هو إنسان ، على حد ما ذكر ، إذ لو ثبتت^(١) المغايرة ، والحالة هذه ، لزم أن تُثبت لشيء جميع ذاتيات الإنسان المقومة لحقيقته ، وجميع عوارضه اللازمة والمفارقة ، ونفرض مع ذلك حقيقة (١٣٧) مغايرة لحقيقة الإنسان ، هذا من المحال البين ! ،

لأن جميع ذاتيات الإنسان ، المقومة له ، وجميع عوارضه الثابتة له ، من حيث هو إنسان ، متى وجدت في شيء . أوجبت لذلك الشيء حقيقة الإنسانية ، ونفقت عنه صديق ما يغايرها ، وإلا لم تكن ثابتة له ، من حيث هو إنسان ، وقد فرضناها كذلك ، هذا خلف !

ثم لو كانت إلهاً كاملاً ، لثبت لها أوصاف الإله الكامل ، ومن أوصاف الإله الكامل ، أن لا يكون مركباً منه ومن الإنسان ، لأنه يلزم أن تكون (٣٧ ب) ذات الإله محتاجة إلى الإنسان في الوجود ، ومسبوقة به وبنفسها أيضاً !!

إن طائفة لم تنفطن لمثل هذا الخطأ الواضح ، فصوابهم عنقاء مغرب^(٢) !!!

(١) في ش ، ل : ثبت بدون تاء التانيث .

(٢) أى أنهم يعيدون تماماً عن الصواب ، وصوابهم لا وجود له - في الحقيقة والواقع - مثل (عنقاء مغرب) التي لا وجود لها .

فإن قيل : إنما يلزم ذلك ، إذا جعلناها موصوفةً بجميع ما يجب للإله من الصفات وغيرها ، وكذلك القول في الناسوت ، من حيث هو حقيقة .

أما إذا أجريناه على كل من اللاهوت والناسوت ، جميع أحكامه وصفاته التي كانت ثابتة له قبل التركيب ؛

فلم قلتم : إن ذلك ممتنع ؟

فالجواب : أن (٣٨) اعتبار أحكام جميع ما يجب لكل واحد منهما ، من حيث هو إله وإنسان ، إن اعتبرت ، لا يقيد التركيب ، استحالة أن يكون للحقيقة الثالثة اعتباران^(١) ، إذ يكون ذلك حكماً على المفرد ، بقيد كونه مفرداً .

وإن اعتبرت بقيد التركيب ، استحالة بقاء جميعها بعد التركيب ، إذ لو بقي جميع ما يجب لكل واحد من المفردين ، من حيث هو كذلك بعد التركيب ، ثابتاً لهما ، للزم أن يكون ثابتاً للحقيقة المفردة^(٢) ، وحينئذ يلزم المحال المذكور وهو :

أن تكون الحقيقة الثالثة ، نفس اللاهوت (٣٨ ب) ونفس الناسوت ؛ لا اشتراكها معهما في جميع ما يجب لكل واحد منهما من الصفات ، وغيرها من حيث هو إله ومن حيث هو إنسان ،

فتبت حينئذ ما ذكرناه :

أن وصفها بكل ما يجب لكل واحد من اللاهوت والناسوت ممتنع ، سواء اعتبرنا كل واحد منهما بقيد التركيب أو مُنفكاً عنه !!

هذه مُباحثة من دقيق النظر ، فلتفهم !!

وجاهلهم المركب يعتقد أن الخلاص من هذه الفادحة^(٣) ، هين ، فيظن أنه ينجو من هذه المضايق ، بأمثلة لا تفيده عين المسألة ،

فيقول : قد ثبت وصف الإنسان بالجسمية والإحساس والنمو والتغير والفناء ،

(١) في ش : اعتباراً ، وفي ل : اعتبارات .

(٢) في ش : الثالثة ، وفي ل : المفردة .

(٣) أى من هذه النتيجة الفادحة .

وأنه ذو حيز ، وثبت أيضاً - اتصافه بالنطق وإدراك الكليات والجزئيات والفهم وغير ذلك مما يجب رده إلى النفس .

وهذه الأحكام إنما يتم اعتقادها ، إذا نظر إلى الجسم الحيواني ، من حيث هو كذلك ، وإلى النفس أيضاً من حيث هي كذلك ، وهذا الهذيان متقاعد عما نحن بصده تقاعداً يبتاً ؛ لأنهم يعتقدون في الحقيقة الثالثة :

أنها إنسان كامل وإله كامل ، وأن جميع ما هو ثابت (٣٩ ب) للإنسان ، ثابت لها .

وكذلك القول في الإله ، فلا بد من مثال يفيد عين هذا الاعتقاد ، وإنما يتم ذلك إذا ثبت أن الإنسان يصدق عليه أنه مجرد ، ليس بجسم ولا حال في جسم ، ولا متحيز ، وأنه باق ، غير فان ، لأنهم فلاسفة في هذه المسألة^(١) ، فيثبتون له ما هو ثابت للنفس ، من حيث هي نفس ، ثم يصفونه - أيضاً - بنقيض ذلك ، مما هو ثابت للجسم الحيواني ، من حيث هو جسم ، فيقال :

إنه جنس طبيعي [يوجد] مثله في أشخاص مختلفة بـ [الحد]^(٢) والحقيقة ، وأنه حصّة من الجنس (٤٠ أ) [وأنه متحيز متحرك قابل للفساد]^(٣) .

وظنى أن من توافق وأثبت (للحقيقة) الثالثة ما أثبتته من المحال ، غير بعيد منه أن يجحد الضرورة ، ويلتزم عين ما ذكر^(٤) ، وإلا فأئى فرق ؟!

والعجيب من الغفلة عن مثل هذه الأمور الواضحة !! ، وإن [اعتقدت] مع العلم بفسادها ، فأعظم في الجهالة !!

* * * *

(١) أى أنهم يرون رأى الفلاسفة في هذه المسألة ، انظر له : (تنهايت الفلاسفة) .

(٢) أى : بالحد المنطقي ، وهى متبنة في الأصل (الحد) .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل ، وأثبت في كل من ش ، ل .

(٤) ق ش : نكر ، وفي ل : ذكره .

فإن قيل : إنما يلزم ذلك كله ، إذا كان التركيب الذى نقول به ، تركيباً (١)
امتزاج واختلاط ، ونحن لا نقول بذلك ، وإنما نعنى بتركيب هذه الحقيقة ، تركيباً
[معنوياً] (٢) يرجع حاصله إلى تعلُّق معنى ، بين اللاهوت والناسوت !!

فالجواب : أن (٤٠ ب) هذا التعلق قد سلف منّا بيان عدم جدواه ،
فيما يحاولونه ، سواء كانت النسبة عامة أو مقيدة ، (٣) .

هذا القول السَّالف فى الحقيقة الثالثة منسوب إلى رأى (يعقوبى) (٤) .
وأما (الملكى) (٥) : فله مقالة شرٌ من ذلك ، وستحكم - عند سماعك إياها -

(١) فى ش : بتركيب .

(٢) فى الإصل (معنوياً) وهو لا يتناسب لمع المعنى العام .

(٣) من هنا يوجد سقط فى ل يقدر بأكثر من عشر صفحات ولم ينبه عليه الأب شدياق فى نشرته .

(٤) اليعقوبية : فرقة نصرانية تتبع (يعقوب البراذعى) ، يقولون : أن المسيح ، عليه السلام ، ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان ، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة ، جامعة بين اللاهوت والناسوت ، ومن أجل هذا القول انعقد مجمع خليقدونية ، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة ، وبسبب هذا القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية ، ونسبت هذه الفرقة إلى يعقوب لأنه من أنشط دعايتها ، لا لأنه مبتدعها ومنشئها ، فقد وجد هذا المذهب فى القرن الخامس الميلادى ، بينما عاش يعقوب فى القرن السادس الميلادى . (انظر : محاضرات فى النصرانية ص : ١٨٨) .

ويذكر الشهرستانى فى (الملل والنحل ج ٢ ص : ٢٢٥) أنهم قالوا : بالأقانيم الثلاثة ، إلا أنهم قالوا : انقلبت الكلمة لحماً ودماً ، فصار الإله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، وعندهم أخبرنا القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم » . (المائدة / ٧٢) .

(٥) (الملكية) أو (الملكانية) فرقة نصرانية ، وهم أتباع ملك الروم ، وقد أطلق عليهم فيما بعد الكاثوليك . ومعظم الروم ملكانية .

قالوا : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، وتدرعت بناسوته ، ويعنون بالكلمة : أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس : أقنوم الحياة ، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً ، بل المسيح مع ما تدرعه به ابن ، والكلمة - فى رأى بعضهم - مازجت بجسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن .

وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم ، وذلك كالموصوف والصفة ، وبهذا صرحوا بإثبات التثليث ، وأخبر القرآن عنهم : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ (المائدة : ٧٣)

وقالوا : إن المسيح ناسوت كللى لاجزئى وهو قديم أزلى ، من قديم أول ، وقد ولدت مريم عليها السلام إلهاً أزلياً ، والقتل والصلب وقع على اللاهوت والناسوت معاً ، .

(انظر الشهرستانى : الملل والنحل : ص ٢٢٢ ج ٢) .

وانظر أيضاً :

« إرشاد الحيارى وردغ من مارى فى اختلاف النصارى » للشيخ عز الدين عبدالعزيز ابن محمد الدميرى ، طبعه القطن بمصر ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م (وهذه النسخة أهدانها الأستاذ الدكتور قاسم السامرائى) .

بأن آراء هذه الطوائف ، ضحكة العقلاء ، وأن الله ، جلّ اسمه ، أضلّ بها قوماً أراد
إضلالهم ، فكَذلك طبع على قلوبهم وبصائرهم !

فنقول : هم يعتقدون بأن حقيقة إنسانية عيسى ، عليه السلام ، وذات الإله ،
حقيقتان متميزتان ، ليس بينهما اختلاط ولا امتزاج . (٤١) .

بل كل حقيقة ، باقية على جميع أوصافها الثابتة لها ، من حيث هي كذلك ،

وأن المسيح أقنوم^(١) لحقيقة الإله فقط ، وهي حقيقة غير مركبة أخذت من
الحقيقتين المذكورتين ، ولها اتحاد بالإنسان الكلّي ، فانظر إلى غُوار هذا الكلام وعدم
انتظامه ، وكيف أخطَره الله ببال من أراد أن يغويهم ويصدّهم عن سبيل الحق
الواضح !!!

كيف جعلوا حقيقة الإله مأخوذة من حقيقة الإنسان وحقيقة نفسه ؟ ، ثم أثبتوا
لها اتحاداً بالإنسان الكلّي ، والإنسان الكلّي لا وجود له في الخارج ، فتكون (٤١ ب)
حينئذ متحدة بما لا وجود له إلا في الذهن ؟

= وانظر كذلك : « تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب » لتوميدا عبدالله بن عبدالله الترجمان .
وانظر : لأبي سعيد نصر بن عيسى المتطبب : « النصيحة الإيمانية بفضح الملة النصرانية » .
وانظر : للبطريرك سعيد بن البطريق أفتشويس : « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » ، مطبعة الآباء
اليسوعيين ، ١٩٠٥ م بيروت .

(١) الأقنوم : كلمة سريانية معناها : « شخص مستقل بذاته عن غيره » .

وهي نوعان : أقانيم التجسد ، وأقانيم التعدد .

ويعنون بالأقانيم ، الصفات كالوجود والحياة والعلم ، وسموها : الأب والابن وروح القدس ، والعلم تدرع
وتجسد دون سائر الأقانيم ، وفي نظر الكاثوليك مثلاً : أن الإله ذو مراحل ثلاث :

قبل التجسد يسمى : أقنوم الأب .

وبعد التجسد يسمى : أقنوم الابن .

وبعد القتل يسمى : أقنوم الروح القدس ، وخالفهم الأرثوذكس في ذلك .

ولمزيد من التفصيل : انظر : (الشهرستاني ج ٢ ص : ٢١٢ ج ٢ من الملل والنحل)

وانظر للدكتور / أحمد حجازي السقا : أقانيم النصارى نشر دار الأنصار بمصر .

الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام نشر ، دار النهضة العربية بمصر .

وانظر للشيخ محمد أي زهرة : محاضرات في النصرانية ص : ١٢٠-١٢١ .

وانظر لنصر بن يحيى بن عيسى لمطبب : « النصيحة الإيمانية بفضح الملة النصرانية » ط بالقاهرة ١٣١٢ هـ .

١٨٩٤ م .

ويلزم على هذا الرأى السخيف أن يكون المصلوب هو الإله ، تعالى الله عن ذلك !!!

لننظم من هذا الرأى المقول ، قياساً منطقياً ، فنقول :

المسيح صُلب ،

ولا شيء مما صُلبَ بإلهه ،

إذن فلا شيء من المسيح بإلهه .

وهؤلاء لا يقدرّون على منع الكبرى^(١) ؛ لأن حقيقة المسيح ، لا يقولون بتركيبها ، والمتّجّد به لا وجود له في الخارج ، فيرجع ، إذاً ، حاصلُ هذا الرأى إلى أن للمسيح المصلوب ، نسبةً إلى الإنسان الكلّي الموجود في الذهن ، وهذا لا يدفع ما ألزموا به ، لأنّ التّسبّب قد سلف (٤٢أ) منّا بيانُ عدم كونها من الأمور الوجودية^(٢) .

ثم ولّو حكمنا عليها بالوجود ، لم يحصل لهم بذلك نجاة ، لأنّ التّسبّب والإنسان الكلّي ، كل منهما لا يوصف بصلب ولا ألم !!

فإن قيل : إنّ التّوعّ الكلّي الطبيعيّ موجودٌ في الخارج !

قلنا : إنّ أريد ذلك ، لزم أن يكون للإله اتحاد بكل فرد من أفراد الإنسان .

فإن قيل : المراد خصوصيّة حصّة عيسى ، عليه السلام ، مع قطع النظر عن مشخصاته المميّزة له عن غيره !

قلنا : هذا اعتبار ذهني لا وجود له في الخارج ، بل وجود هذه الحصّة ، ملزوم لوجود مشخصاته (٤٢ب) ، فيرجع حاصل هذا إلى : الاتحاد بإنسان جزئيّ ، وسنبطل هذا الرأى عن قريب .

ثم لو تصور أن تكون حقيقة الإله ، مأخوذةً من حقيقة الإنسان وحقيقة نفسه ، للزم أن يكون ما حصل به الوجود لحقيقة الإله ، على الصفات الثّابتة لها ، إذ ذاك ، من

(١) أى : لا شيء مما صلب بإلهه وهى المقدمة الكبرى فى القياس المذكور .

(٢) بحيث ترتب عليها وقائع وأمور وجودية كالصلب والألم والاتحاد وغير ذلك .

الحقيقتين ، سابقا على وجود حقيقة الإله موصوفة بما ذكر .

وحيثُ يكون وجود حقيقة الإله الموصوفة بذلك ، مسبوقاً بوجود حقيقة الإنسان ، ومسبوقاً أيضاً بوجود حقيقة نفسه ،

وصفاتُ الإله يجب أن تكون (٤٣أ) واجبة الوجود ثابتة أزلاً لذاته ،

وإحدى الحقيقتين - التي هي شرط لوجود حقيقة الإله - موصوفة بما ذكر - هي حقيقة الإنسان ،

وحدوثها مقطوعٌ به ، فكيف تكون شرطاً لما هو ثابت أزلاً ؟!

هذا كله إذا عني بالأخذ : أن ذات الإله حدثت^(١) لها صفةٌ عند خلق الناسوت ، فإن أُريد بذلك : أن الحقيقتين شرطٌ في أصل وجود ذات الإله ، جل اسمه ، فهذا كلام من لا عقل له ! ، وهذا رأى القدماء منهم^(٢) .

وأما المتأخرون : فبمثل مقالة هؤلاء يقولون من غير فرقان إلّا في الاتحاد (٤٣ب) فإنهم يقولون :

إن للمسيح اتحاداً بإنسان جزئياً ،

والمسيح ، عند الفريقين ، أقنومٌ لحقيقة الإله فقط .

وهي - عند الفريقين أيضاً - حقيقة غير مركبة ، أخذت من الحقيقتين .

يعنون بالحقيقتين ، حقيقة الإله ، جل اسمه ، وإنسانية عيسى ، عليه السلام .

(١) في ش : أحدثت .

(٢) لمعرفة رأى النصارى في هذه المسألة يرجع إلى النصوص الهامة التي نشرها (القس Paulsbarth في مصر ١٩٢٩) ، وهي جملة رسائل للاهوتيين قدماء منهم مثلاً : أبو على عيسى بن إسحاق ابن زرعة المنطقي البعقوني ، وإيليا مطران نصيبين النسطوري ت ١٠٤٩م ، وابن العسال ويوصف بأنه من جهاذة أقباط مصر في القرن الثالث عشر الميلادي ، وابن الفضل الأنطاكي الملكي ت ١٠٥٢م ، وأيشوعياح بن ملكون النسطوري ١٢٥٦م ، وأبو زكريا يحيى بن عدى الفيلسوف البعقوني ٩٧٤م ، ومنهم أبو الخير بن الطيب المتطبب البعقوني في القرن الحادي عشر ، حنين بن إسحاق الطبيب النسطوري ٨٧٣م .. إلخ ، وكذلك يرجع إلى الرسالة التي يرد فيها يحيى بن عدى على أبي يوسف يعقوب الكندي الفيلسوف ، وهي نص فريد نشره المستشرق Augustin Perier في باريس ١٩٢٠م . (ولقد تفضل الدكتور قاسم السامرائي فأهداني نسخاً من هذه الرسائل) . ويرجع إلى كتاب ابن البطريق : التاريخ المجموع .

ثم وقع الاتفاق منهما على أن كل حقيقة باقية على جميع أوصافها من غير اختلاط ولا امتزاج ، بل كل منهما ، حافظة ذاتها من حيث هي كذلك .

[أمّا المسيح ^(١)] الذى أقنوم لحقيقة الإله فقط ، فقد صرحوا بصلبه ، فيلزم أيضاً للفريق الثانى ما لزم الأول (٤٤) .

أمّا الأول : فقد مضى القول فيه مُبيناً .

وأما الثانى : فلأنهم مصرّحون بأن المسيح ، عليه السلام ، أقنوم لحقيقة الإله فقط ، ومعتقدون بأن حقيقته غير مركبة ، ليس بينها وبين حقيقة الإنسان اختلاط ولا امتزاج ،

وقد حكموا مع ذلك بصلبه ، فيلزم أن يكون المصلوب هو الإله !!
فإن قيل : إن الفريقين ، كل منهما قائل بالاتحاد ، فلم لا يعود الصلْبُ على المتّحدِ به ؟ .

فقول : هذه الدعوى لا يقدرّون على تحقيقها البتّة ؛

أمّا القدماء ، فلأن المتّحدَ به ، لا وجود له إلّا فى الذهن ، ولأن حقيقة (٤٤ ب) المسيح عندهم غير مركبة .

وأما المتأخرون : فبمثل هذه المقالة - أيضاً - يقولون :

وأما الاتحاد عندهم بإنسان جزئى ، فحاصله ^(٢) يرجع إلى نسبة ، والعجبُ من إطلاقهم الصلْبَ على المسيح (الذى هو أقنوم لحقيقة الإله فقط) ثم يعترضون بأن الاتحاد غير معقول الحقيقة .

وكيف يستجيزُ العاقلُ أن يطلق الصلْبَ على المسيح (الذى هو أقنوم لحقيقة الإله فقط) ، ويصرح بجهله بحقيقة الاتحاد الذى يبنى على العلم به ، ردُّ الألم إلى الإنسان وصرفه عن الإله ، جل اسمه ، ؟!

(١) « أمّا » فى الأصل غير واضحة فى ش : والمسيح .

(٢) فى : ش : فحاله ، وفى ل : ساقط ضمن الصفحات الكثيرة التى سقطت من هذه النسخة .

وأعجب من ذلك ركونه إلى مالا يعلم حقيقته ، وله عن هذه الجهالة ، مندوحة ظاهرة !!

وأئى عذر لمن يعتقد أن الحامل له على ذلك ، ما ورد من ظواهر النصوص الدالة على الاتحاد ، وما ظهر على يد المسيح ، عليه السلام ، من الخوارق ؟!
و [هذا]^(١) اعتراف بالجهل الصادق عن الحق ، ومن لم يذّر أوضاع العلوم ، ولم يكن له منها هاد يزعه عن الجهالة ، هان عليه أن يقول مثل ذلك !!

[ظهور الخوارق على يد عيسى عليه السلام]^(٢)

أمّا الاتحاد ، فقد ذكرنا إطلاقه على غير عيسى ، عليه السلام ، وبيناه أحسن بيان ، وأمّا ظهور الخوارق على يده بالسؤال والطلب ، فذلك ثابت لغيره من الأنبياء ، وكيف ينكر ذلك (٤٥ ب) ، وهو المتضرع السائل عند إقامته (عازر)^(٣) وقد رفع عينيه إلى السماء وقال :

« يا أبت ، أشكرك لأنك تسمع لى ، وأنا أعلم أنك تسمع لى فى كل حين ، ولكن لأجل هذا الجمع الحاضر ؛ ليؤمنوا أنك أرسلتنى »^(٤) .

والطالب لتلامذته التقديس والحفظ من الإله القادر على ذلك بقوله :

« قدّسهم بحقك »^(٥) .

وبقوله :

« احفظهم باسمك الذى أعطيتنى »^(٦) .

(١) فى الأصل : وهذه . فى ش : وهذه ، فى ل : ساقطة ضمن ما سقط منها .

(٢) ما بين المعقوفين من وضع المحقق .

(٣) الرجل الذى أقامه وأحياه من بين الأموات .

(٤) إنجيل يوحنا ، الإصحاح السابع عشر ص : ١٨٠ من طبعة البروتستانت بمصر .

(٥) انظر الموضع السابق .

(٦) انظر الموضع السابق .

الداعى متضرعاً ، والمترددُ فى إمكان النجاة من الصلب بقوله :
« إن كان يستطيع (فلتعبر) عنى هذه الكأس ، وليس كإرادتى ، لكن
كإرادتك » (٤٦ أ) .

والمستفهم من الإله لم تركه بقوله :
« إلهى إلهى ، لم تركتنى » (١) .
والنّافى عنه العلم المختص بالإله إثباته بقوله :
« أمّا ذلك اليوم وتلك الساعة ، إلى قوله : ولا الابن إلاّ الأب وحده » .
والمصرّح بالإنسانية والرسالة بقوله :
« إنسان كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله » (٢) .
والمقيّد أحكامه بما يؤمر به :
« كما أمرنى الأب كذلك أتكلّم » (٣) .

والمشهدود له على لسان من أثنى عليه من عظماء تلامذته بأن الخوارق مصنوعة لله
على يده ، بقوله : (٤)
« إن يسوع الناصرى رجل ظهر بينكم بالقوى والآيات التى فعلها الله
(٤٦ ب) على يده » .
وإذا كانت هذه حالته (٥) ، عليه السلام ، فكيف يركن العاقل إلى ما لا يعلم

(١) انظر : إنجيل متى - الإصحاح السابع والثلاثين فقرة ٤٦ .

(٢) انظر : إنجيل يوحنا ، الإصحاح الثامن . ٣٩-٤٠ .

(٣) أنظر الموضع السابق ، ٤٩-٥٠ .

(٤) يقصد (بطرس) انظر : سفر أعمال الرسل ، الإصحاح الثانى ، حيث قال : « يسوع الناصرى رجل
قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات ، وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم » .

(٥) لتفصيل هذه المسألة انظر : رد الباجى ٤٧٤ هـ على رسالة الراهب الفرنسى التى أرسلها إلى المقتدر بالله
صاحب (سر قسطة) والدراسة التى كتبها عنها D.M. Dunlop فى مجلة Al-Andalus vol. XVII, 1953 . ولقد
درست هذه الرسالة ، وحققتها ، ونشرتها فى العدد السادس من مجلة المعهد العالى للدعوة الإسلامية بالرياض : « هذه
سبيل » ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ .

حقيقته مع إمكان علمه وينبذ المعقول والمنقول (حَجَرَةٌ) ؟!

وأما النَّسْطُورِيُّ فيقول : إن الاتحاد وقع في المشيئة ، وهذا كلام (مشيخ)^(١) يجب تحريره ،

فإن عَنَوْا بذلك أن مشيئة عيسى عليه السلام ، تابعة لمشيئة الإله في الأحكام الخمسة ، لا تباينها في واجب ولا محذور ولا مندوب ولا مكروه ولا مباح ، فهذا ثابت لجميع الأنبياء ، بل وللأولياء ، أيضاً الذين ليسوا في درجة الأنبياء ،

وإن أرادوا بذلك أن جميع ما تعلقت به مشيئة الإله من الكائنات ، هو بعينه متعلق مشيئة المسيح ، عليه السلام ، فهذا عين الخطأ ، ولا يجمل بعاقل أن يُخْطِئَهُ بباله ، فضلاً عن أن يعتقده مذهباً !!

وكف يمكن ادعاء ذلك وقد تعلقت عندهم مشيئة الإله بصلب المسيح ، عليه

• جماعة نصرانية تتبع (نسطور) الحكيم ، وقد كان بطريركاً للقسطنطينية ، وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد الإله ، بل ولدت الإنسان فقط ، وهو بذلك يرى أن الأبنوم الثاني ، وهو الابن لم يتجسد وتلد مريم ، كما يرى غيره من المثليين ، بل كل من يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط ، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأبنوم الثاني ، وليس ذلك الاتحاد بالزواج وجعلهما شيئاً واحداً ، أو ذلك الاتحاد ليس اتحاداً حقيقياً ، بل كان مجازياً ، ويترتب على قول نسطور أن المسيح ليس بإله ، ولذلك فقد انعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١م وقرر لعنه وطرده من الكنيسة وخلعه من منصبه الكنسي وقرر المجمع إثبات أن مريم العذراء قد ولدت (الإنسان والإله) .

ويقول ابن البطريق :

كانت مقالة نسطور قد اندثرت ، فأحياها من بعده بزمان برحوماً مطران نصيبين في عهد قباذ بن فيروز ملك فارس ، وثبتها في الشرق ، ولذلك تكاثرت النسطورية في الشرق : في (العراق والموصل والجزيرة) .
انظر : محاضرات في النصرانية ص : ١٨٦-١٨٧ .

ويرى الشهرستاني في : (الملل والنحل ص : ٢٢٤-٢٢٥ ج ٢) .

أن نسطور قد ظهر في عهد المأمون ، وتصرف في الأناجيل برأيه ، وأنه قال : إن الله تعالى واحد ، ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ، ولا هي هو ، واتحدت الكلمة بمجد عيسى ، عليه السلام ، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكية ، ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة ، وكظهور النقش بالشمع إذا طبع بالخاتم . ويعقد الشهرستاني شبهاً بينه وبين المعتزلة .

والذي ننبه إليه هنا أن العقيدة النسطورية قد تطورت ، وتشعبت بها السبل ، مثلما حدث للفرقتين الأخريين : الملكية واليعقوبية .

(١) ما بين القوسين كلمة لم أستطع قراءتها ، في ش : مشيخ ، أي : مختلط بهم .

• هذا رأى الغزالي في النبى والولّى ، وهو معروف .

السلام ، ولم يكن الصلب مراداً له ، ولا تعلقت مشيئته به ، يدلُّ على ذلك تصرُّعُه للإله سائلاً دَفْعَهُ^(١) بقوله :

« إن كان يستطيع فلتعبر عني هذه الكأس ، وليس كإرادتي ، لكن كإرادتك » .

فصرَّح بتغاير الإرادتين .

وتبرُّمُهُ أيضاً مصلوباً سائلاً عن السبب بقوله :

« إلهي إلهي ، لم تركتني » . تدلُّ على عدم شعوره بالسبب .

ومن لم (٤٧ ب) يكن شاعراً بحقيقة الواقع ، كيف تتعلق مشيئته بوقوعه ؟ ومن المعلوم أن مشيئة المسيح . عليه السلام ، كانت متعلقةً بمتابعة جميع بني إسرائيل له ، وجميعهم على الهدى ،

... هذا شأن الأنبياء الهادين .

وما تعلقت مشيئة الإله بذلك^(٢) ، بل تعلقت بعده ، لأن الواقع عدمه !!

وكذلك الساعةُ : تعلقت مشيئة الإله بوقوعها في زمن مخصوص والمسيح (عليه السلام) غير عالم بتعيين ذلك الزمن ، فكيف تتعلق مشيئته بتعيينه ؟!

ثم قصد شجرة التين ، [و]^(٣) تعلقت مشيئة الإله بأن يقصدها وهي غير مثمرة ، والمسيح ، عليه السلام ، قصدها غير عالم بحقيقة هذا التعلق ، وهذا كثيرٌ وجوده فليطلب من مواضعه ، وإنما عدَلْنَا عن الإطالة لأنه سهل التعرف .

(١) في الأصل رفعه ، وفي ش : دفعه .

(٢) أى بذات ما تعلقت به إرادة عيسى عليه السلام .

(٣) زيادة من المحقق لتستقيم العبارة .

[إطلاق لفظ الإله على عيسى عليه السلام]^(١)

وهذه الطائفة^(٢) قد علم من حالها أنهم يطلقون لفظ الإله على المسيح ، عليه السلام ، وليت شعري : هل المراد بهذا الإطلاق تعظيمه لأن (الإله) يطلق على كل عظيم ، أم يريدون بذلك إلهيته ؟

فإن كان هذا الثاني هو المراد ، فجهل هذه الطائفة ، أعظم من جهل جميع الطوائف والذي^(٣) أوقعهم في هذه المضايق ، تعلقهم بظواهر أوجبت صرائح العقول القطع بعدم إرادتها ، وإلا فكأن (٤٨ ب) ورد في كل شريعة من ظاهرها مصادم لصريح العقل ، وأولئك علماء تلك الشريعة ، وقد وقع في مثل ذلك جماعة من الأكابر ، فبعضهم قال :

سبحاني !!!

وقال الآخر :

ما أعظم شأني !!!^(٤)

وقال الحلّاج :^(٥)

أنا الله ، وما في الجبّة^(٦) إلا الله !!!

وحمل ذلك منهم على أحوال الأولياء الشاغلة عن التحفظ في المقال ، حتى قال بعضهم :

(١) هذا العنوان من وضع المحقق وانظر تعليقا في الهامش رقم ٣ ص ١٢١ .

(٢) أى : النسبورية .

(٣) إلى هذه الفقرة قد سقط من ل .

(٤) ينسب هذا القول إلى أبي يزيد البسطامي وانظر ترجمته في « طبقات الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي بتحقيق نور الدين شريه ، وفي « طبقات الأولياء » لأبي الملقن المصري .

(٥) الحلّاج : هو أبو مغيث الحسين بن منصور ، وانظر في ترجمته : « طبقات الصوفية للسلمي » ص : ٣٠٧-٣١١ ، وانظر : « طبقات الأولياء » لأبي الملقن سراج الدين أبي حفص المصري ت : ٨٠٤ هـ بتحقيق نور الدين شريه ص : ١٨٧ طبعة ٢ سنة ١٩٦٩ الخانجي .

(٦) في ل : الجنة ، وهو تصحيحا ..

هؤلاء سُكَّارَى ، ومجالس السُّكْرِ تُطَوَّى ولا تُحْكَى^(١) .

كل ذلك لقضاء صريح العقل باستحالة كون هذه الظواهر مرادةً ، ثم تجدهم كأنهم تواصلوا على السلوك في أضيق الطرق ، حتى صاروا هُزْأَةً للسَّاحِرِينَ ! ، ولم ينبض لأحد منهم عرقُ العصية ، ولهم مخرجٌ ومندوحةٌ عما ورَّطوا أنفسهم فيه ، وكيف يصادمُ المعقولُ من كان متمكناً من حمل الكلام على محامله السديدة ؟ !
وأما إطلاق الحلول ، فقد سلف منَّا بيانه .

[إطلاق لفظ الرب على عيسى عليه السلام]^(٥)

وأما الرَّبُّ ، فيطلق بالاشتراك - على الله ، جل اسمه ، وعلى المالك ، فيقال : ربُّ المنزل وربُّ المتاع .

وأما الإله ، فيطلق - عندهم - بالإشتراك ، على كل عظيم وقد قال في الإنجيل :
« قد أطلق عليكم في ناموسكم أنكم آلهةٌ تخاطب اليهود » .
وفي المزامير :

« وآلهة قلت لكم وبنو العلى كلکم »^(٢)

وقال في التوراة لموسى (عليه السلام) (٤٩ :) :

« قد جعلتك إلهاً لفرعون ، وأحاك هارون رسولك »^(٣) .

ويطلق الإله على كل من عُبد ، سواء كانت العبادة حقاً أو باطلة ، وإذا وَجَدَ السَّالِكُ في المضيق - عنه - مندوحةً ، فتماديهِ على غِيِّهِ ، عِمَايَةً !!

(١) هذا الكلام ينسجم . مع رأى أئمة حامد الميثوث في (إحياء علوم الدين) وفي (المنقذ من الضلال) وغيرهما من كتبه ورسائله ،

• العنوان من وضع المحقق .

(٢) المزامير ٨٢-٦ ،

(٣) سفر الخروج ٧ : ١ . وأنظر للمهتدى على بن ربن الطبرى كتابه « الدين والدولة في اثبات نبوة سيدنا محمد » ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٨ ، الطبعة الثانية .

وتمجموع هذا البيان صرّح بولص - في رسالته الثانية في الفصل التاسع من رسائله - تصريحاً لم يبق معه عُلقة إلا لمن فقد هاديه : عقله وعلمه ، فقال :

« وأنه ، لا إله غير الله وحده ، وإن كانت أشياء مما في السماء والأرض ، يسمى آلهة ، وكما قد توجد آلهة كثيرة وأرباب كثيرة ، فإن لنا نحن إلهًا واحدًا ، هو الله الأب ، الذي (٥٠ هـ) منه كل شيء ، ونحن به ، وربًا واحدًا هو يسوع المسيح الذي كل شيء بيده ، ونحن أيضاً في قبضته »^(١)

فانظر^(٢) إلى حُسن هذا البيان :

صرّح بأنّ الإله والربّ ، يطلقان على الله ، عزّ وجل ، وعلى غيره مما لا يستحق أن يكون معبودًا ، ثم أثبت للإله المعبود صفة الخالق المستحق للعبادة ، فجعل إيجاد كل شيء صادراً منه بقوله :

« الذي منه كل شيء ونحن به » .

ثم صرّح بأن ذلك هو الله ، وأثنى عليه بالوحدانية بقوله :

فإن لنا إلهًا واحدًا هو الله ، ثم نفى استحقاق [غيره للإلهية]^(٣) (٥٠ ب) بقوله :

وأنه لا إله غير الله وحده .

ثم أشار إلى المسيح إذا أطلق عليه الرب الذي صرّح باشتراكه ، كان ذلك بمعنى المالك ، يدلّ على ذلك أنه لم يثبت له شيئاً من صفات الإله المذكورة ، وإنما أثبت له يد الملك التي من شأنها أن تثبت للمالك .

(١) جاء في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنتوس الإصحاح الثامن ٤ : ٦ « وأن ليس إله آخر إلا واحداً ، لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض ، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون ، لكن لنا إله واحد الأب ، الذي منه جميع الأشياء ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به » .

(٢) من هنا سقط في : ل إلى قوله ، أما ما تعلقوا به ، ويقدر بثلاث صفحات .

(٣) مكتوب بالأصل : (إلهية غيره) ، والمعنى لا يتسق به وفي ش : أهية غيره .

فانظر إلى حسن هذه الاشارات (التي) (١) لا (يتقاعد) (٢) ذو الفهم عن تلقيا بالقبول ، فليت شعري : من أى الجهات بنى هذا الشرع على هذا الخزي الفاضح ؟!

[الفداء] (٣)

وقد أجرهم الجهل رسن (٤) الجرأة على الله وعلى أنبيائه الهادين وأوليائه المقرين ، إلى أن أخطروا بياهم أباطيل تناقلوها صاغرا عن صاغر (٥١) ،
فلذلك أجمعوا أمرهم على أن بنى آدم أخذوا بسبب عصيان أبيهم آدم (٥) ، وأن جميع الأنبياء والأولياء ألقوا في الجحيم ثم إن الإله وعدهم أن يفديهم ، ففداهم ، فداء الكريم ،

~~والكريم إذا بلغ في الفداء ، (فدى) بنفسه ، وذاته مجردة لا يناها ضيم ولا أذى ،~~

فأتحد بناسوت عيسى ، عليه السلام ! ،
ثم إن الناسوت الذى اتحد به صلب ! ،
فكان صلبه سببا لخلاص الأنبياء والأولياء وإخراجهم من الجحيم !
~~لا أقال الله هذه العصاة التوكى (٦) عثارا !!~~

(١) بالأصل : (التي)

(٢) بالأصل : (تتقاعد) .

(٣) هذا العنوان من وضع المحقق .

(٤) الرسن هو الحبل الذى يجر به البعير . والعبارة مجازية .

(٥) أى أن معصية آدم ، عليه السلام قد تحمل وزرها كل أبناء آدم ، ومنهم الأنبياء والأولياء ...

(٦) التوكى : الذين بلغوا غاية الحق .

[إطلاق الأبوة على الله والبنوة على عيسى]^(١)

أما ما^(٢) تعلقوا به من إطلاق الأبوة على الله عز وجل ، والبنوة على نفسه ، ظانين بأن ذلك محصلٌ غرضاً ، أو مُثَبِّتٌ خصوصيةً ، يقع بها الامتياز ، فليس الأمر كذلك !!
وبيانه .

أنّه قد جاء في التوراة التي يقولون بصدق ما فيها من النصوص^(٣)
« ابني بكرى إسرائيل » .

وقال أيضاً في التوراة :

« قل لفرعون إن لم ترسل ابني بكرى ليعبدني في البرية ، وإلا قتلْتُ ابنك بكرك . [يريد]^(٤) بابني : بني إسرائيل وكان عدُّهم إذا ذاك ستماية ألف سوى النساء والصبيان » .

هذا لفظ التوراة^(٥) .

وفي مزامير داود ، وهو عندهم لا ينطق في مزاميره إلاّ عن الوحي :

« وبنو العليّ كلُّكم^(٦) (١٥٢)

وأطلق عيسى [عليه السلام] ذلك عليه وعليهم فقال :

« أنا صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم^(٧) .

إن من يعتقد فيمن هذه كلماته أنّه إله ، لمدفوعٌ عن الصواب الواضح !!

(١) هذا العنوان من وضع المحقق .

(٢) مذكور في : ل .

(٣) في ش ، ل مذكور : في حق يعقوب عليه الصلاة والسلام .

(٤) الكلمة غير واضحة في الأصل .

(٥) في سفر الخروج : ٢٢-٢٣ .

(٦) مزامير : ٨٢-٦ .

(٧) يوحنا : ٢٠ : ١٧ .

وأطلق أيضاً ذلك عليهم فقط ، فقال في إنجيل لوقا :

« ولا تقطعوا رجاء أحد ، فيكون أجركم كثيراً ، وتكونوا بنى العليّ ، لأنه رحيم على غير المنعمين الأشرار ، وكونوا رحماء مثل أيكم »^(١)

وأطلق ذلك أيضاً تلميذه يوحنا بن زبدي ، لما فهم الحجاز الذى سنذكره ، فقال في رسالته :

« من يعترف بأن يسوع هو المسيح ، فهو من الله مولود »^(٢)

وإنما حمله (٥٢ ب) على أن تجوز بمثل ذلك مع القطع بأن الحقيقة غير مرادة ، [أن]^(٣) الأب ، جيل على أن يكون شديد الحنان والرأفة والرحمة والشفقة لولده ، حريصاً على أن يجلب له جميع الخيور ، ويدفع عنه جميع الشرور ، مجتهداً على أن يوضح له طرق الخير ويأمره بالمبادرة إليها ، مسارعاً إلى تحذيره مما يفضى به إلى عقوبة أو لوم أو ضرر دائم ، أو جهالة سائرة لما يراد به في المستقبل ، هذا وضع الأب فيما نشاهده ، وأما الابن ، فوضعه :

أن يكون [موقراً]^(٤) لأبيه ، معظماً له ، شديد الحياء منه ، ممتثلاً أوامره (٥٣ أ) ، ملاقياً لها بالإجلال والتعظيم وعدم المخالفة ، واقفاً عند ما يأمر به وينهاه عنه .

والله عز وجل ، إذا قيس إحسانه إلى كل نبي^(٥) ، ورحمته له ، وشفقته عليه ، وما جلبه له من الخير ، وما دفعه عنه من الشر ، وما بينه له مما هو لائق بجلاله ، ثم رفقته للعمل بمقتضاه ، كان ما يصنعه الوالد ، بالنسبة إلى هذا تافهاً حقيراً .

(١) ورد في الإصحاح السادس من إنجيل لوقا : ٣٥-٣٦ .

« بل أحببوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بنى العلى فإنه منعم على عبر الشاكرين والأشرار ، فكونوا رحماء كما أن أبائكم أيضاً رحميم » .

(٢) في السفر الخامس من رسالة يوحنا الأولى قوله : « كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله » .

(٣) في الأصل : لأن . وكذلك في ش ، ل .

(٤) غير واضحة في الأصل .

(٥) في الأصل : شيء وفي ش ، ل : نبي ، وهو أولى .

ثم توفير الأنبياء ، أيضاً ، لله وحيائهم منه ، وانقيادهم لأوامره ، ووقوفهم عند مناهيه ، وإجلالهم له ، أعظم من صنيع الأبناء^(١) مع آبائهم ،

فهو لهم أرحم أب ، وهم له أبٌ ولد ، فهذا سرُّ التجوُّز في إطلاق [مثل ذلك . فإذا تجوَّز في إطلاق]^(٢) الأب على (٥٣ ب) الله ، كان معناه أنه راحمٌ له عطوف عليه .

وإذا تجوَّز بإطلاق البتوة على نفسه ، كان معناه أنه موثِّقٌ لله ، معظَّمٌ له ، وهذا معنى قول عيسى ، عليه السلام ، محرضاً على عدم قطع الرجاء ، أى : [إن]^(٣) أطعتموه في ذلك ، صنع معكم ما يصنع الوالد مع ولده . وهذا أيضاً ، معنى قول تلميذه : فهو من الله مولود .

فانظر إلى ما وقف عليه الأنبياء ، ثم أذن لهم في إطلاقه ، معولين على فهم من له تحصيل يصرفه عن الخيالات الفاسدة .

وها هم الآن أنفسهم مقيمون على إطلاق ذلك ، فإذا رأوا راهباً أو قسيساً قالوا له : يا أبانا (٥٤ أ) ، وليس هو أباهم حقيقة ، ولكن مرادهم - بالإطلاق - ما أشرنا إليه ، وهو أنهم ينزلونه في الشفقة منزلة الأب ، وينزلون أنفسهم في توقيره منزلة الأبناء^(٤) .

وقد صرح داود عليه السلام بمثل ما أشرنا إليه في مزاميره ، فقال :

« كما يترأف الأب على بنيه ، كذلك يترأف الربُّ على خائفيه »

فقد ثبت بما ذكرناه أن إطلاق البتوة عليه ، غير مُثَبِّت خصوصية يقع بها تميُّز .

(١) في الأصل : الأنبياء ، وفي شر ، ل : الأبناء ، وهو الأفضل .

(٢) مثبت بهامش المخطوط .

(٣) ساقطة عن الأصل . ومذكورة في شر ، ل .

(٤) قارن هذا بما ذكره الجاحظ في رسالته : (الرد على النصارى) بتحقيقنا ، وبما ذكره الفاضل عبد الجبار في « تثبيت دلائل النبوة » بتحقيق الدكتور عبدالكريم العثمان ، وفي الجزء الخامس من « المغنى » بتحقيق محمود الخضيرى .

وصريح الإنجيل ناطق بصحة هذا التأويل ، وهو قوله :

« فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا بنى الله » .

أى : أعطاهم ما يتمكنون (٥٤ ب) به من تحصيل ما ذكر من المعاني المستفادة من الأبوة على حدّ ما أوّل .

[المعضلة الأولى : الكلمة ^(٥)]

هى من أعظم معضلاتهم التى يعولون عليها ، مثبتين بها إلهية عيسى ، عليه السلام ، جعلها يوحنا فاتحة إنجيله وهى :

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وإله هو الكلمة ، كان هذا قديماً عند الله ، كلّ به كان ، وبغيره لم يكن [شئ] » ^(١) مما كان ... إلى آخره .. وهو قوله :

« والكلمة صار جسداً ، وحلّ فينا ، ورأينا مجده » .

أما أوّل هذا الفصل ، فلا تعلق له بثبوت الإلهية (٥٥ أ) لعيسى عليه السلام بوجه ، لأنهم يعتقدون أن ذات البارى واحدة فى الموضوع ، ولها اعتبارات ،

● فإن اعتبرت مقيدة بصفة [لا يتوقف] ^(٢) وجودها على تقدم وجود صفة قبلها ، كالوجود ، فذلك المسمى عندهم بأقنوم الأب .

● وإن اعتبرت موصوفة بصفة يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها ، كالعلم ، فإن الذات يتوقف اتصافها بالعلم على اتصافها بالوجود ، فذلك المسمى عندهم : بـ (أقنوم الابن) و (الكلمة) .

• هذا العنوان من وضع المحقق ، ومكانه أبيض فى الأصل ، وفى ش ، ل : خامة .

(١) جاء فى صدر إنجيل يوحنا ص : ١٤٥ من طبعة البروتستانت بمصر ١٩٧٠م قوله : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله ، كل شئ به كان ، وبغيره لم يكن شئ مما كان ، فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس ، ... والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده » (١٥-١)

(٢) فى الأصل : (لا يتقدم) ولا يستقيم به الكلام فى رأينا .

● وإن اعتبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها ، فذلك المسمى عندهم : بـ (أقنوم روح القدس) .

- فيقوم إذاً من الأب معنى الموجود ،

- ومن الكلمة والابن معنى العالم ،

- ومن روح القدس كون ذات البارى معقولة [له]^(١) .

هذا حاصل هذا الاصطلاح ، فتكون ذات الإله واحدة في الموضوع ، موصوفة بكل أقنوم من هذه الأقانيم .

* * * *

ومنهم من يقول :

● إن الذات ، إن اعتبرت من حيث هي ذات ، لا باعتبار صفة البتة ، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن : العقل المجرد ، وهو المسمى بأقنوم الأب ،

● وإن اعتبرت من حيث هي عاقلة لذاتها ، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى العاقل ، وهو المسمى (٥٦ أ) بأقنوم الابن والكلمة ،

● وإن اعتبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها ، فهذا الاعتبار عندهم ، هو المسمى بأقنوم معنى المعقول^(٢) وروح القدس^(٣) .

فعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الإله فقط ، والأب مرادفاً له ، والعاقل عبارة عن ذاته ، بقيد كونها عاقلة لذاتها ، والابن والكلمة مرادفين له ، والمعقولة عبارة عن الإله الذى ذاته معقولة له ، وروح القدس مرادفاً له ، فقد ثبت بهذين الاصطلاحين أن الكلمة عبارة عن : الذات الموصوفة بالعلم والعقل ، وكذلك

(٥) في الأصل غير واضحة تماماً ، وفي ش ، ل : شيء .

(١) في ش ، ل : معقولة له .

(٢) سقط (بأقنوم معنى المعقول) من : ل .

(٣) لتفصيل هذه النقطة انظر : رد يحيى بن عدى اليفغوبى على الكندى الفيلسوف .

الابن ، فإذا كل منهما أقنوم مدلوله : العالمُ أو العاقلُ .

- ف قوله في البدء كان الكلمة ، يريد : في البدء كان العالمُ ،

- وقوله : والكلمة كان عند الله ، معناه ، والعالم لم يزل موصوفاً به الإله ، يريد : إن هذا الوصف لم يزل ثابتاً للإله ، وكان ها هنا [بمعنى] لم يزل ،

- وقوله : وإله^(١) هو الكلمة معناه : وهذه الكلمة التي مدلوها العالم ، ذلك العالم هو الإله ،

- وقوله : كان هذا قديماً عند الله معناه : لم يزل مدلول هذا الاعتبار ، وهو (٥٧أ) العالم الذي هو مدلول الكلمة موصوفاً به الإله ، وهو إله ، لأنه أُخبر عنه بذلك بقوله : وإله^(٢) هو الكلمة ، ليقطع بذلك وهم من يعتقد أن العالم الذي هو مدلول الكلمة ، غير الإله ،

هذا اعتقادهم في هذه الأقاليم ، وكلام شارح إنجيلهم في أول هذا الفصل ، وإذا صحت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ ، ولا فيما يصطلح عليه المصطلحون ، فقد وضع بما شرحوه أن أول هذا الفصل لا دلالة فيه على الإلهية لعيسى عليه السلام البتة

[شبهتان]

بقي - في الفصل - شبهتان فيهما مَزَلُ القدم .

الأولى : قوله : « كان إنسان أرسل من الله ، اسمه يوحنا ، هذا جاء للشهادة ، ليشهد النور ، ليؤمن الكل به ، ولم يكن هو النور ، بل ليشهد للنور الذي هو نور الحق الذي يضيء لكل إنسان آت إلى العالم ، في العالم كان ، والعالم به كَوْن ، والعالم لم يعرفه » .

فنقول : الموصوف في هذه الكلمات بأنه لم يزل في العالم ، وأن العالم كَوْن به ،

(١) في ل : والإله .

(٢) في ش : والله .

العنوان من وضع المحقق .

إمّا أن يكون هو الناسوت ، منفكًا عن تعلقه ، أو باعتبار تعلقه به ،

وإمّا أن يكون هو اللاهوت من حيث هو لاهوت ، باعتبار تعلقه بالناسوت وهو (٥٨ أ) ظهوره فيه ،

وإمّا أن يكون هو الحقيقة الثالثة .

والكل باطل إلا اللاهوت من حيث هو لاهوت .

وأما بطلان الناسوت فضروريّ ، سواء قلنا : إنّه منفك عن تعلقه باللاهوت أو باعتبار تعلقه به ،

أما مع الانفكاك فظاهر ،

وكذلك مع التعلق ، لأن تعلقه باللاهوت ، حادث ، لأن التعلق ما حصل له إلا بعد خلقه ، فكيف يوصف بتكوين العالم ، وأنه لم يزل فيه ،

وكذلك - أيضاً - الحقيقة الثالثة ،

لأن الحقيقة الثالثة أحد جزأيها ، الناسوت ، وهو حادث ، فيلزم أن تكون معدومة قبل خلقه ، ويستحيل وصفها ، إذاً ، بما ذكر (٥٨ ب)

وكذلك اللاهوت ، باعتبار ظهوره في الناسوت ، لأن ظهوره فيه إنما حدث عند خلقه للناسوت ،

فإذا حكمنا على اللاهوت بما ذكر باعتبار هذا التعلق الحادث ، استحال وصفه بما ذكر ،

فلم يبق إلا أن تكون هذه الأوصاف عائدة إلى الإله جلّ اسمه ، من حيث هو إله ، لا باعتبار انضمامه إلى الناسوت ، ولا باعتبار انضمام الناسوت إليه ،

فحينئذ ، يجب صرف هذا الكلام إلى الله عز وجل ، ويكون تقدير الكلام : بل يشهد للنور الذي هو نور الحق ، الذي يضيء به الحق على كل إنسان (٥٩ أ) .

لأن الحق ، جل اسمه ، هو الذي يهدي كل أحد بنور معرفته إلى المعارف الحقيقية ، ويَقْفُهُ بإضاءته ، على دقائق مصنوعاته التي لا تهدي إليها العقول إلا بنور هدايته .

هذا معنى واضح ، غنى عن الإطالة .

وقد أطلق النور في الإنجيل ، والمراد به الهداية ، وهو قوله عليه السلام :
« ما دمت في العالم ، فأنا نور العالم »^(١) .

صرح بذلك يوحنا في الفصل الثاني والعشرين ، وقوله أيضاً :
« إنما جئت نور العالم »^(٢) .

صرح - أيضاً - بذلك يوحنا في الفصل الخامس والعشرين ،
وهذا التصريح يؤكد ما ذهبنا إليه من التأويل (٥٩ ب) في حمل النور على
الهداية .

الشبهة الثانية :

قوله في آخر الفصل :

« والكلمة صار جسداً وحلّ فينا ورأينا مجده » .

لا بد من حكاية وضع هذا اللفظ كيف كان في القبطى ، ليعلم بذلك زللهم
وعدولهم عن مقتضى وضعه وصرفهم وضعه عن مفهومه الموافق ، إلى مفهوم مصادم لبديهة
العقل !!

وضع هذا اللفظ : (وه يصاجى افأر أو صركيس) .

مفهوم هذه الكلمات في القبطى : (والكلمة صنع جسداً) ، لأن (افأر)
مفهومها - في القبطى - صنع^(٣) .

همله

(١) الإصحاح التاسع من إنجيل يوحنا ص : ١٦٤ : ٥ .

« ما دمت في العالم فأنا نور العالم » .

(٢) وجاء في الإصحاح الثاني عشر من نفس الإنجيل : ٤٦ .

« أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث في الظلمة » .

وفي الإصحاح الثامن : ١٢ جاء قوله :

« أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمكث في الظلمة ، بل يكون له نور الحياة » .

(٣) لا نعتقد بأن الغزالي كان على دراية باللسان القبطى ، فلعلها ترجمت له حين كان بالإسكندرية ، كما ذكر
الصفدى والسبكي والعيني .

وعلى هذا الوضع (٦٠ أ) لم يبق إشكال البتة ، بل يكون اللفظ صريحاً بأن العالم الذى قام من أقنوم الكلمة الذى عبر عنه بأنه : إله ، بقوله :
 وإله هو الكلمة صنع جسداً وحلّ فينا ورأينا مجده .
 أى ذلك الجسد الذى صنعه الإله هو هو عيسى عليه السلام ، وهو الذى ظهر ورؤى مجده .

وقد اعتذروا عن العدول عن هذا المفهوم الظاهر [بأن] قالوا :

هذه الكلمة وضعت بالاشتراك^(١) بين صنع وصار ، وهذا (الاعتبار)^(٢) يطلب اعتذاراً ، بل هو من المضحكات !! لأن [اللفظ] المشترك يتعين حمله على أحد مفهوماته بأيسر (٦٠ ب) قرينة مشعرة بأن المراد منه هذا المفهوم ، فما شأنك بخاتم^(٣) العقل الموجب حمله على ما أشرنا إليه !! ثم إن مترجم هذه اللفظة إذا سلّم له كونها وضعت بالاشتراك يكون قد ارتكب فيها عكس القضية فى المشترك ، لأن المشترك ، إذا تردد بين مفهوماته ، عينته القرائن ، وهو فى هذه الكلمة قضى بصرف اللفظ عما هو واجب الإرادة ، وحمله على ما يقضى صريحُ العقل بعدم إرادته ليحصل له بذلك :

أن الإله العالم صار جسداً !!

لا أعرف أحداً اجتراً على الله كجراحة هذه الطائفة عليه^(٤) (٦١ أ) إذ لا يوجد حزى أفحش من خزى قوم يعتقدون أن إله العالم ، قَبْرٌ ، وقد شَبَّهوا^(٥) بذلك قائلين :

« بل يجب أن يصام فى ذلك السبت وحده ، لأنَّ صانع البرية كان فيه مقبوراً !! »

(١) فى ش ، ل : بالاشتراك فى القبطى .

(٢) هكذا فى الأصل ، ولعلها (الاعتذار) ، فى ش : الاعتبار .

(٣) فى ش : تخاكم العقل ، وهو غير موافق ، وأبقاها المترجم كما هى .

(٤) توجد فى الأصل عبارة لم استطع أن أقرأها ، . . . ويبدو أنها جملة دعائية عليهم مثل : « أخزاه الله ، أو لا هدها الله ، أو أهلكها الله » ، أو شيء من جنس ذلك ، وأثبت روبرت شدياق فى ش : (لا هاء الله) ، وهى غير مفهومة قد رسمها من المخطوط كما هى ، وسقطت هذه الكلمة من : ل ، وغير المترجم العبارة بتامها .

(٥) فى ش : شينوا ، وفى ل سقط من أول قوله : إذ لا يوجد خزى إلى قوله : وليا مرشداً .

صرح بذلك في قوانينهم المدونة عن اكابرهم ورسلم^(١) ، « وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا »^(٢) .

فإن قيل : إنما حمل على هذا المفهوم لقرائن رجحت حمله عليه ..

فالواجب : إن كل مرجح كان مصادماً للمعقول ، رُدُّ ، غير معوّل عليه ، مع أن تسمية ما هذا شأنه مرجحاً ، جهلٌ ، والقائل به ليس له هادٍ علميٌّ ، يقفه على نهج الحق ، ثم إن اقتصرنا على بيان هذا الأمر الواضح الذي ارتكبوا فيه التحريف إلى أن صيروه شبهة ، كفانا ذلك في دفع هذه الشبهة ،

وإن أردنا قطع النزاع ، مسلمين أن هذه الكلمة ، وضعت بالاشتراك وقد اختلفت بها قرائن رجحت حملها على صار ، دون صنع ، .

فالجواب أيضاً عن الشبهة واضح ، وبيانه :

أن اللفظ على هذا التقدير لا يعرض لعاقل وقفة في صرفه عن ظاهره ، وبيان ذلك أن الكلمة التي ذكرت في أول الفصل صرّح بأنها إله ، بقوله : وإله هو الكلمة ، فكيف يحكم على الإله بأنه صار بجسداً (١٦٢) ؟!

وتصحیح هذا الكلام أن الكلمة عندهم ، عبارة عن الذات ، باعتبار صفة العلم أو النطق ، كما تقدم في أول الفصل ، فحيث تكون دالة على الذات الموصوفة بالعلم أو النطق ، .

وهذا الإطلاق [ليس]^(٣) مختصاً بالإله ،

لأن اللفظ المشكل كيف ما تردد ، يستعمل في كل فرد من أفراد حقيقته ،

(١) هم يزعمون أن أصحاب الأنجيل ، وأصحاب الرسائل ، وغيرهم ، من الرسل ، وقد اتصل بهم الروح القدس وأهمهم أو أوحى إليهم ، ومن ثم أصبحوا رسلا ، وعدد هؤلاء غير معين على وجه التحديد ، فبعض الأنجيل يرى أنهم يبلغون مائة وعشرين وقد أرسلوا أو أهموا بعد رفع المسيح عليه السلام . ويقصد بالقوانين ما وضعه أكابرهم في مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م أنظر كتاب ابن البطريق ، والبداية والنهاية .

(٢) سورة الكهف : ١٧ .

(٣) مثبته بالهامش في الأصل .

فحينئذ تكون الكلمة موضوعة للذات بقيد العلم أو النطق ، مع قطع النظر عن كون الذات موصوفة بالجسمية أو منفكة عن هذا الوصف ،

ففى أول الفصل ، أطلقت الكلمة على العالم المنفك (٦٢ ب) عن الجسمية حقيقةً ، الذى هو إله ،

وفى آخر الفصل ، أطلقت على العالم أو الناطق الموصوف بالجسمية حقيقةً ، الذى هو رسول ، أيضاً ،

فيكون - إذاً - معنى قوله : والكلمة صار جسداً ، أى : أن ذلك الإله العالم ، الذى كان مدلول الكلمة ، كان منفكاً عن الجسمية ، وقد صار مدلولها ، الآن ،

عالمًا موصوفًا بالجسمية ، وهو الرسول ،

لأنها إذا وُضعت للذات بقيد العلم ، قام منها معنى العالم ، لا محاله ، هذا كله بعد تسليم أن الكلمة موضوعة للذات بقيد الصفة ، من حيث إنها ذات (٦٣ أ) ،

فإن ادعى أن ذلك مختصٌ بذات الإله ، كان إطلاقها على عيسى ، عليه السلام ، بطريق المجاز ، لأن المشاركة فى مفهومها ثابتة ، وهى من أعظم مصححات المجاز ،

ولا يُردُّ هذا التأويل [بقول القائل إنه على خلاف الظاهر ، لأنه لا معنى للتأويل]^(١) إلاَّ صرفُ الكلام [عن]^(٢) ظاهره لدليل يأبى إبقاءه على حقيقته .

فإن قيل : إنما يكون هذا التأويل مقبولاً إذا كان الكلام متعلقاً ببعضه ببعض ، لاسيما كلام الإله جل اسمه ،

فالجواب : أن العقول إذا حكم باستحالة بقاء اللفظ على ظاهره ، وجب تأويله ، فالتأويل إذاً ، صرف اللفظ [عن]^(٣) ظاهره - كما ذكر - وحمله على ما هو جائز الإرادة ، (٦٣ ب)

(١) ما بين المعقوفين مثبت بهامش الأصل .

(٢) فى الأصل : على .

(٣) فى الأصل : عن .

فحيث لا يبقى [لِلْمُتَعَلِّقِ] ^(١) بظاهرة حجة ، لمخالفة المعقول ، وإمكان التأويل ،

ونحن - الآن - نبين عدم تباين كلمات هذا النص ، وحملها على ما هو سائغ الإرادة ، على حكم ما أولناه ، فنقول :

قد ثبت أن الحق ، جل اسمه ، هو الذى يضيء بنوره على كل إنسان آت ، ويكشف له به غطاء كل خفية ، وذلك مصرح به فى هذا النص بقوله :

ليشهد للنور الذى هو نور الحق الذى يضيء لكل إنسان ،

قوله : فى العالم كان ، هذا يصلح أن يكون وصفاً للنور ، ويصلح أن يكون وصفاً للحق جل اسمه ، لأن هداية الله تعالى (٦٤ أ) وإيضاحه لكل خفى ، وكشفه الغطاء عن كل شبهة ، لم يزل ذلك ثابتاً فى العالم .

قوله : والعالم به كَوْن ، هذا وصف لحق جل اسمه ، وقد صرح فى أول الفصل بقوله :

كُلُّ به كان .

فليت شعرى : أى عنبر لمن يحمل هذا على عيسى ، عليه السلام ، مع هذا التصريح وهو قوله فى أول الفصل : ^(٢)

« وبغيره لم يكن شئ مما كان . »

قوله : إلى خاصيته جاء ، أى : إلى خاصية الحق ظهر نوره الذى هو عبارة عن هدايته وإرشاده ، إذ بنوره يهتدى كل مهتد ، والمراد : بمجىء (٦٤ ب) النور - ها هنا - ظهوره ، لأن وصف المعانى بالمجىء محمول على ظهورها .

قوله : وخاصته لم تقبله ،

المراد بالخاصة : من دُعِى للهداية ، أى : وخاصته الذين دعوا لهدايته ، [فلم] ^(٣) يقبلوا هدايته .

(١) فى الأصل غير واضحة ، وفى ش : للمتعلق .

(٢) فى وصف الإله : مذكور فى ش ،

(٣) فى الأصل : لم .

قوله : فأما الذين قبلوا ،

أى : فأما الذين قبلوا هدايته - وهم غير الذين لم يقبلوا ، يدل على ذلك إيراد الكلام بأما التى هى للتفصيل - ،

فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا بنى الله .

كان الأخصر^(١) أن يقول : أن يصيروا بنيه ، وإنما عدل عن ذلك ليصرح بذكر الاسم ، وهو الله ؛ لأجل شرف النسبة ، ليعظم وقع ذلك فى النفوس .

ثم قال : الذين يؤمنون باسمه ، الذين ليس هم من دم يولا من هواء [و]^(٢) لحم ، ولا مشيئة^(٣) رجل لكن ولدوا من الله .

يريد : أن هذه البتوة التى حصل لهم بها شرف النسبة ، ليست من قبيل البتوات التى من شأنها أن تحصل عن مشيئات^(٤) الرجال وإمامهم بالنساء ، وتكون اللحم والدماء ،

بل المراد بذلك : الإفراط فى القرب والرأفة بهم على حكم ما سلف .

ثم عطف على أول الفصل مبيئاً أن من أحكام الكلمة التى قام منها معنى العالم ، أن تطلق على العالم ، سواء كان منفكاً عن الجسمية ، كذات البارى ، أو غير (٦٥ ب) (منفك)^(٥) كذلك الرسول .

وقد سلكوا فى تأويل الأقسام مسلكتاً [الزمهم]^(٦) القول بوجود ثلاثة آله ، فى الذهن والخارج ، متباينة ذواتها وحقائقها ، أو نفى ذات الإله جل اسمه ، وذلك أنهم جعلوا الأب [عبارة] عن الذات بقيد الأبوة ،

والابن ، عبارة عن الذات بقيد البتوة ،

(١) فى ش : الأخصر ، وهو لا معنى له .

(٢) ساقطة فى الأصل وفى ش .

(٣) فى ش : مشية رجل .

(٤) فى ش : مشيئات .

(٥) غير واضحة فى الأصل .

(٦) فى الأصل : لزهمهم وكذلك فى سش .

وروح القدس ، عبارة عن الذات بقيد الانبثاق ،

ثم يقولون : إله واحد ، فإذا ضويقوا في ذلك ، وتبينوا أن ذات الأب مختصة بصفة الأبوة ، غير قابلة لوصفها بالبنوة ، وكذلك القول في الابن وروح القدس .
وليست من الذوات المتضايقة^(١) ، فتقدر (٦٦ أ) أباً لشخص وابتاً لغيره ،

قالوا : إن الذات واحدة ووصفها بجميع هذه الصفات ممكن ، لكننا إذا وصفناها بصفة قدرنا نفى ما يبينها ،

وهذا مكان الجهل والغفلة !؛

لأنهم يقولون بقدّم هذه الذوات أزلاً وبقدّم صفاتها ،

فإذاً هي ملزومات [لصفاتها] ، وصفاتها لازمة لها ، ومتى وجد الملزوم ، وجد اللازم ،

ومتى انتفى اللازم ، انتفى الملزوم ،

فإذا قدر نفى الصفة اللازمة للذات ، قدر نفى الذات ، وإلى هذا المعنى إشارة الكتاب العزيز بقوله :

« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ »^(٢) .

(١) في ش المتضايقة .

(٢) سورة المائدة : ٧٣ آية .

ويذكر الشهرستاني أن هؤلاء هم الملكانية : انظر ح ٢ من الملل والنحل ص : ٢٢٢ .

المعضلة الثانية

ذكرها يوحنا في الفصل الخامس والعشرين :

« إبراهيم أبوكم اشتبهى أن يرى يومى ، فرأى وفرح ، فقال له اليهود : لم يأت لك بعد خمسون سنة وقد رأيت إبراهيم ، فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم : إنى قبل أن يكون إبراهيم »^(١)

هذا آخر كلامه .

ف نقول - إذاً - : هذا الكلام ناطق بالمجاز ، لأن إبراهيم ، عليه السلام ، لم ير يوم ولادته ، ولا يوم [إرساله]^(٢) ولا يوم حصول الحقيقة الثالثة له - كما يزعمون - لأن هذه كلها [حدثت]^(٣) [بعد]^(٤) إبراهيم ، بل المراد من ذلك : أن الأنبياء يحبون (٦٧ أ) دوام طاعة الله ودوام إظهار شرائعه المتكفلة بمصالح العباد ، فلما أعلم إبراهيم ، عليه السلام ، برسالة عيسى [عليه السلام] وهدايته للعالم ، وما يظهر على يده من مصالح العباد ، على ما اقتضته شريعته ، سرَّ بذلك ،

فالرؤية هنا محمولة على البصيرة التى هى العلم ، لا على البصر .

وقد صرح بولص فى رسالته التى سيرها إلى قورنثيه فأبلغ من ذلك ، وهذا يدل على أنه أراد عين ما أردناه ، فقال :

« ولكننا ننطق بحكمة الله الخفية ، بالسّر الذى لم يزل [مسترًا]^(٥) وكان الله تقدم فقررها قبل العالمين »^(٦)

(١) فى الإصحاح الثامن : ٥٦-٥٨ .

« أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى وفرح ، فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد-أفرايت إبراهيم ، قال لهم يسوع الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن ، فرفعوا حجارة ليرجموه . »

(٢) الكلمة غير واضحة بالأصل .

(٣) فى الأصل : حديث .

(٤) الكلمة غير واضحة فى الأصل .

(٥) فى الأصل : مستسرا ، وهو غير مناسب للسياق ، وذكره فى ش بعدها : عن العوالم .

(٦) فى الإصحاح الثانى من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٧ : ٨ مالى :

يريد أن هذه (٦٧ب) الأحكام مقررة في علم الله^(١) ، فليست إذا نقولاً وافتراءً ، وهذا عين ما أولناه .

وقد صرح - في قصص الرسل^(٢) ، في الفصل الثالث ، بمثل ذلك - عظيم تلامذته بطرس ابن يونا المعروف بشمعون الصفا قائلاً :

« يا بني إسرائيل ، اسمعوا هذا الكلام ، إن يسوع الناصري رجل ظهر عندكم من الله ، بالقوى والآيات التي فعلها الله على يديه بينكم كما تعلمون أنتم ، فهذا الذي كان مقرراً لهذا من سابق علم الله ومشئته » .

صرح [هذان] العظيمان^(٣) - عندهم - بعين ما أولناه ، وزاد ابن يونا زيادةً ، فصّرّح بأنه رجل ، (٦٨أ) وصرّح بأن القوى والآيات التي ظهرت على يديه ليست واقعة بفعله ، بل صرح أن فاعلها إنما هو الله بقوله : رجل ظهر عندكم من الله بالقوى والآيات التي فعلها الله على يديه .

وهذا التلميذا المصّرّح [بجميع]^(٤) ما ذكر ، لا يسع أحداً منهم أن يُخطِرَ بباله مخالفتَهُ ، وصرّح الإنجيل ناطق ، عموماً وخصوصاً ، بوجوب متابعتة ، والوقوف عند أقواله .

أما عموماً ، فقوله لتلامذته : الحق أقول لكم : « إن كَلَّمَا ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السموات »^(٥) .

= « بل يتكلم بحكمة الله في سر الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا ، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر » .

(١) لمعرفة من حرر سفر أعمال الرسل أو قصص الرسل انظر ترجمتنا للوقا .

(٢) ورد في الأصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل على لسان بطرس قوله :

« أيها الرجال الإسرائيليون ، اسمعوا هذه الأقوال ، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون » .

(٣) يقصد : بولس وبيطرس .

(٤) في ش : مجموع .

(٥) إنجيل متى إصحاح ١٦ : آية ١٨ .

« أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنائسي » .

وأما خصوصاً فقوله مخاطباً له :

« أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة أُبنى بيعتي » ، ثم قال له : « وما ربطته على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وما حللته على الأرض يكون محلولاً في السموات »^(١) .

صرح [بجميع]^(٢) ذلك كله - أعني : الخصوص والعموم - متى في إنجيله ، وقوله (له)^(٣) أيضاً :

« إرع خرافي ، إرع كباشي ، إرع نعاجي »^(٤) .

يريد بذلك طوائف أمته ، صرح بهذه الكلمات (يوحنا) في آخر إنجيله ،

ويدل على صحة هذا التأويل أيضاً قوله :

« إني قبل إبراهيم » .

القلبية ها هنا محال أن تكون مضافة (١٦٩ أ) إلى ناسوته ، لا باعتبار انفكاكه عن اللاهوت ، ولا باعتبار تعلّقه به ، ومحال أن تكون أيضاً مضافة للحقيقة الثالثة ، لما تبين ، إذ^(٥) هذه كلها حوادث لم تكن موجودة عند وجود إبراهيم ، عليه السلام ، بل المراد بالقلبية علمه بتقدير الإرسال وما يترتب عليه من الإرشاد ، هذا هو المعنى الذي حمّله على السرور ، فإن قيل : فأى خصوصية له في ذلك ، إذ هذا المحمل^(٦) مشترك بينه وبين سائر الأنبياء ، بل وبين كل موجد ؟!

فالجواب : أنه لم يذكر ذلك في معرض الخصوصية ، وإنما ذكره (٦٩ ب) قطعاً به استبعاد اليهود لسرور إبراهيم وفرحه بيومه ، وتصحيحاً لصدقه فيما أخبر ،

(١) السابق : « فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات » .

(٢) في : ش : مجموع ، وكذلك في : ل .

(٣) سقطت : له من ش .

(٤) يوحنا : الأصحاح الحادى والعشرين : ١٥-١٧ .

« قال له : إرع خرافي ... إرع غنمى ... إرع غنمى » .

(٥) في ش : إن ، وإذا أولى منه . (٦) في ش : المحمل ، وهو غير صحيح .

لأن الأنبياء إذا صدر منهم^(١) مثل ذلك ، إنما يصدر في معرض التكذيب لأقوالهم ،
وإنما يدعونه من الرسالة ، ليس ثابتاً في نفس الأمر ، فيكون ذلك ردّاً على
المكذب وإعلاماً له بأن هذه الدعوى ثابتة في نفس الأمر مقررة في علم الله قديماً ،
ويدل على صحة هذا التأويل أن عيسى ، عليه السلام ، إنما ورد منه ذلك حين
أعظم اليهود قوله قائلين : لم يأت لك - بعد - خمسون سنة ، فذكر (٧٠ أ) ، حيثئذ
الجهة المصححة لسرور إبراهيم [عليه السلام] فيحصل^(٢) لهم بذلك استمالة مكذبيهم
إلى صدقهم فيما يدعونه من النبوة والرسالة ، وتقوية ظنون مصدقيهم ، الذين لم يصلوا
إلى درجة العلم ،

وقد ورد مثل ذلك في ألفاظ سيد المرسلين حيث قال :

« كنت نبياً وآدم بين الماء والطين »^(٣) .

ويجوز أن يكون عيسى ، عليه السلام ، ذكر ذلك [في معرض] الخصوصية ،
وهو إعلام إبراهيم [عليه السلام] بمجموع رسالته وما يترتب عليها من (٧٠ ب)
الهداية وإظهار [ما ظهر على يده من]^(٤) المعجزات المختصة به ، دون من عداه من
الأنبياء السالفة قبله ،

هذا معنى حسن الإرادة ، فكيف نشبُ إلهية إنسانٍ بدليل هذا شأنه ؟ !!!

الشبهة الثالثة

نص عليها ابن زبدي في الفصل الأول من فصول الفارقليط ،
« قال له فيلبس : يا سيّد ، أرنا الأب وحسبنا ،

(١) في ش : عنهم .

(٢) في ش : فتحصل .

(٣) انظر جامع السيوطي الصغير ، وحلية أبي نعيم .

(٤) ما بين المعقوفين غير واضح في الأصل .

• تحدد المؤلف قبل ذلك أنه بقي في الفصل شيهتان ، وها هو يذكر شبهة ثالثة .

فقال له يسوع : أنا معكم كل هذا الزمن ، ولم تعرفنى يا فلب ، من رآنى فقد رأى الأب .

- فكيف تقول أنت أرنا الأب .

إن تؤمن أنى فى الأب والأب هو فى ، وهذا الكلام الذى أتكلّم به ليس هو من عندى ، بل من أبى الذى هو حالّ فى وهو يفعل هذه الأفعال .

آمنوا بى ، أنى أنا فى الأب والأب هو فى ، وإلاّ فآمنوا من أجل الأعمال .
الحقّ الحقّ أقول لكم : إن من يؤمن بى ، يعملّ الأعمال التى أعمل وأفضلّ منها يصنع ، لأنى ماضٍ إلى الأب » هذا آخر كلامه .

فأقول : هذا النص كالنص الذى أنكر اليهود إطلاقه ، واعتذر عنه ضارباً لهم المثل ، وقد مضى القول فيه مُبيناً ، وزاده ها هنا بياناً ، وضع فيه ما عادته أن يصنعه ، وهو أنّه ، صلوات الله عليه ، لم يأت قط ، بلْبُسةٍ إلاّ وأتبعها كاشفاً يُظهر خفاءها ،

وبيان ذلك : أنه حين [طلب^(١) إليه أن يُريهم] الإله ، وكان ذلك ممّالا (٧١ ب) يمكن إسعافهم به ، عدل عن مسئوئهم قائلاً :

من رآنى فقد رأى الأب ،

يريد أن الإله ، لما كانت رؤيته غير ممكنة للعباد ، أقام الأنبياء فى تبليغهم أحكامه مقام نفسه - وهذا شأن الملوك المحتجبين - فبأمره يأْمرون ، وبنهيه ينهون ، وبأحكامه يحكمون ، ثم صرح بعدم إرادة ظاهر هذا اللفظ ، فقال :

وهذا الكلام الذى أتكلّم ، ليس هو من عندى ، ثم بالغ فى البيان ، فقال : بل أنى الذى هو حالّ فى يفعل هذه الأفعال ،

يريد أن أقواله ليست (للإله) بقيد كونها (١٧٢) مفردة ، بل وأفعاله ، أى وكل كلام صدر منى متضمناً حكماً ، فهو من الله لأنى عنه أخبر ، وكل ما تروونه من الأفعال الباهرة للعقول الناطقة بخوارق [الأنبياء] ، فذلك فعله ، لأنه واقع بقدرته .

(١) فى ش : سئل .

وقد سلف منا تصريح بولص الرسول بما يعضد هذا التأويل ، وذكرنا آلفظه ، وهو :

« الله الواحد هو ، الوسيط بين الله والناس ، [واحد هو] ^(١) الإنسان يسوع المسيح » .

ثم أتى [بعد] ذلك ، بما لا يتصور معه إرادة ظاهر هذا اللفظ الدالّ على أنه هو الإله ، فقال مصرّحاً بعدم (٧٢ ب) إرادة ظاهره ، ومرغباً لهم في تعاطي الأسباب التي وصل بها إلى مثل ذلك :

« الحقّ أقول لكم ، أن من يؤمن بي ، يعمل الأعمال التي أعمل ، وأفضل منها يصنع » .

صرح بجهة المجاز ، إذ لا يتصور لأحد من البشر أن تكون أفعاله أفضل من أفعال الإله بوجهه ، ثم أكّد البيان بقوله :

« لأنّي ماضٍ إلى الأب » .

ولو كان هو الأب حقيقةً لما قال : لأنّي ماضٍ إلى الأب ، إذ لا يتصور لأحد أن يقول : (أنا ماضٍ) ^(٢) إلى زيد ، ويكو هو عين زيد .

وقوله : [أمّا] ^(٣) [تؤمن] أتى في الأب ، وفى ، يريد بذلك (١٧٣) عدم التباين في الأحكام والإرادات ، على حد ما أسلفناه في إطلاقه الحلول .

ويدل على ذلك أنّه أتبعه بقوله :

« وهذا الكلام الذى أتكلّم به ليس هو من عندى »

فليتأمل المتأمل هذا النص ، كم اشتمل على تصريح ، وتضمّن من قرينة تدل على أنه غير الإله ، فكيف يُجعل نفس الإله !؟

بل لو كان هذا النص كله بُسِّطاً ، لما جاز معاندة المعقول ، واعتقاد ذلك ،

(١) سقط في الأصل ، وذكر في : ش ، ل .

(٢) غير واضحة في الأصل .

(٣) غبه . واضحة في الأصل لأن بالورق رطوبة محت رسم الكلام .

فكيف والحالة هذه ؟! « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ » (١).

ويحتمل هذا النص وجهاً آخر (٧٣ ب) ، يعضّده ما وَرَدَ مصرحاً به (٢) في إنجيل متى ، وهو قوله :

« وليس أحدٌ يعرف الابن إلا الأب ، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن » .

صرح بأن أحدًا لا يعرفه إلا الآله ، فحينئذ يكون منكراً على السائل الطالب رؤية الآله ، بقوله :

« لى معكم كل هذا الزمن ولم تعرفنى وأنا إنسان » .

مع أن معرفة الإنسان ممكنة ، فكيف تتصور أن تعرف الآله الذى لا تتصور معرفته بحاسة البصر ، ولا يتبين كنه حقيقته بالأجناس [والفصول] ، ثم عدل عن ذلك مبيناً أن الآله [إنما] تطلب معرفته ليكون المكلف واثقاً بأن هذه الأحكام صادرة منه ، فقال : (١٧٤)

« من رأتى فقد رأتى الأب » .

أى أنا عنه أخبر ، ثم أوضح ذلك بقوله : « وهذا الكلام الذى أتكلّم به ، ليس هو من عندى » .

ثم لم يقتصر على نسبة الكلام إلى الله عز وجل ، فقال :

« بل أرى الذى هو حالّ فى ، يفعل هذه الأفعال » .

ثم ساق نفسه بالكلام (٣) ! على حد ما أوّل .

شبهة لفظية

بقيت لهم شبهة لفظية ، وقعت لبعضهم ، ظناً منه أن (الكلمة) حيثما

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٣ .

(٢) به سقطت فى الأصل وذكره فى ش ، ل .

(٣) فى ش ، ل : فى الكلام .

• العنوان من وضع المحقق .

أطلقت^(١) ، يجب أن يكون المراد منها : عين ما اصطَلَحُوا عليه في أَقَانِيمِهِمْ ، لتصحيح ما يَتَعَدَّرُ عليهم [من]^(٢)، إرادة ظاهره المتعدد بالذات .

وهذا وهمٌ عظيمٌ وعمايةٌ خيلت له ، أن هذا الاصطلاح الذي حملهم ما أشرنا إليه من الضرورة ، على أن ما قالوا به ، يجب أن يكون مراداً لأهل كل شريعة .
فلذلك استُبدِلَ على إلهية عيسى ، عليه السلام ، بما ورد في الكتاب العزيز ، وهو قوله ، جل من قائل :

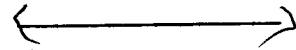
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ ﴾^(٣)

فأُحْبِيتُ أن أكشف غطاء هذه الشبهة ، ليكون الناظر في هذا النص آمناً من الشبهات المضلة ، فأقول :

المولودُ إِنَّمَا يَتَكُونُ مُسَبَّيًّا^(٤) عن سبين :

أحدهما : في الأثنين ، وهو أحد نوعي القوة المولدة^(٥) ، وهي القوة التي يصيرُ الدَّمُ فيها بحالٍ يكون بها مستعداً لقبول قوة الحياة من واهب الصور .

والثاني : القوة الموجودة في المنى إذا انتقل إلى الرحم وانضمت إليه سائر الشرائط ، بأن يكون ماءً دافقاً صحيحاً قوياً ، لا فساد فيه ولا ضعف ، ويكون الرحم صحيحاً ، لا علة به ، ولم يحصل للمرأة عقيب الجماع حركة مزعجة (١٧٦) عنيفة ، يحصل بها زلقٌ المنى من الرحم ، فحينئذ يستعد لقبول القوة المصورة من واهب الصور ، فإذا صار عنها تشكيلات الأعضاء ، كان ذلك كوناً للصورة العضوية ، وفساداً للصورة المنوية ، فيستعد حينئذ لقبوله الروح من واهبها .



(١) يقصد في القرآن الكريم

(٢) زيادة من المحقق .

(٣) سورة النساء آية : ١٧٠ .

(٤) سقطت في ش .

(٥) من هنا ساقط من ل : إلى قوله : فنقول : السبب الغريب .

هذا هو السبب العادى فى تكوين كل مولود ،

وإذا ثبت ذلك ، فنقول :

إن كل شئ له سبب [قريب] وسبب بعيد ، فالأكثر إضافته إلى سببه القريب ،
فيقال عند رؤية الرياض [الحُضْر]^(١) :

انظر إلى صُنع المطر ، والله هو الصانع الحقيقى !! (٧٦ ب) .

ولو رُوى نباتٌ نُضِرَّ على صُلْدٍ ، والشمسُ فى الأسد^(٢) ، لقليل : انظر إلى صنع
الإله !! فيصرَّح بالسبب الحقيقى ، لفوات السبب العادى !!
وإذا وضح هذان الأصلان ، نقول :

السبب القريب فى حق عيسى ، عليه السلام ، لَمَّا دَلَّ الدليل على عدم وقوعه ،
أُضيف تكوينه إلى السبب البعيد ، وهو الكلمة ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ مخلوقٍ بكلمةِ الله القائل
بها لكل مخلوق ؛ :

« كن » .

فإذا هو كائن !!

فلهذا السبب صرح فى حقه بذلك ، إشارة إلى انتفاء السبب القريب العادى ،
وأنه إنما كوّن الكلمة التى هى : « كن » (٧٧ أ) من غير منى !!!

يمكن إضافة التكوين إليه على ما شُرح ،

ثمَّ أوضح ذلك بقوله :

« ألقاها إلى مريم »

« يريد : أن الولد إنما يتكون من إلقاء المنى إلى أمه ،

(١) غير واضحة فى الأصل .

(٢) أى فى برج الأسد .

وهذا المولود^(١) لم يخلق إلا بإلقاء الكلمة إلى أمه ، التى هى عبارة عن الأمر بالتكوين ،

فإذا ، الالتقاء مجازي ،

وقد ورد مثل ذلك فى حق آدم [عليه السلام] لما اشتركا فى عدم التكوين عن الأسباب العادية ، حيث قال جل من قائل :

« مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ »^(٢)

والله عز وجل ، لا يَدَ لَهُ ، وإنما المراد : خلقته بقدرتى^(٣) ، إشارة إلى أنه لم يَكُونْ من مني ، وإنما كُونْ بقدرته (٧٧ ب) .

يشير بذلك إلى فوات السبب العادى ، وإذا فات السبب العادى ، أضيف إلى السبب البعيد المشبّه بالحقيقى ، وهو كلمة الله عز وجل ، وقد أتى بالمماثلة صريحا ، فقال [عز من قائل] :

« إِنْ مَثَلْ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ »^(٤)
وكذلك أيضاً قوله :

« وَرُوحٌ مِنْهُ »^(٥) .

أى : وهو روحٌ تكوينها صادرٌ عنه ، مُنفَكًا عن الأسباب العادية التى يضاف إليها المسبب عادةً ،

فالصلة فى مكان الصفة للروح !

(١) يقصد عيسى عليه السلام .

(٢) سورة ص : آية ٧٥ .

(٣) هذا هو رأى الأشاعرة فى مسألة الصفات الإلهية ، والغزالي من أعيان هذا المذهب ، ومذهب السلف أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا توقف . أنظر « النصيحة » لأحمد بن إبراهيم الواسطى ت : ٧١١ هـ نشر المكتب الإسلامى ، ولابن تيمية : الفتاوى ، ودرء تعارض العقل والنقل ، والواسطية والتدمرية .

(٤) سورة : آل عمران : آية ٥٩ .

(٥) سورة النساء آية : ١٧١ .

فإن قيل :

تمام هذه الحجة ، فرع لكون الكلمة سبباً ، وسببها فرع (٧٨ أ) لردّها لقاعدة الشرط وما يترتب عليه من الحواب ، وذلك ممتنع لما يلزم من عدم المغايرة بين المسبب وسببه .

قال (الفارسي)^(١) لو جاز أن يكون مثل ذلك جواباً ، لكان قوله تعالى : « كن فيكون » منزلاً منزلة قول القائل : اذهب فيذهب^(٢) ،

ومتنع ذلك ، إذ يصير تقدير الكلام بالرد إلى قاعدة الشرط : إن تكن تكن ، وإن تذهب تذهب ، فيكون حينئذ السبب عين المسبب .

ولذلك أجمع القراء على الرفع - فيما وقع الاحتجاج به من الآية السالفة ولم يتابع (الكسائي)^(٣) (ابن عامر)^(٤) إلا فيما أمكن أن يكون انتصابه (٧٨ ب) ، لا من جهة الجواب ، بل من جهة العطف ،

وتلك المتابعة محصورة في آيتين :

الأولى : قوله جل من قائل :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٥) .

والثانية : قوله تعالى :

(١) أبو على الفارسي النحوي المعروف ، ترجم له ابن خلكان ج ٢ ص ٨٠ ط احسان عباس والقفطي في ج ١ ص : ٢٧٤ (إنباء الرواة) ، والبغدادى في تاريخ بغداد ، وغير هؤلاء .

(٢) إفي ش : فتذهب .

وانظر : لُبة الله اللالكائي ٤١٨ هـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) نشر دار طبية بالرياض .
وانظر : (عقائد السلف) وهى جملة رسائل سلفية فى العقيدة جمعها وحققها الدكتور على سامى النشار وعمار الطالبي نشر منشأة المعارف بالاسكندرية .

(٣) أبو الحسن على بن حمزة المعروف بالكسائي ، ترجم له ابن خلكان ، والقفطي والسيوطي ، والخطيب البغدادى وياقوت الحموى ، وهو لغوى عالم بالقراءات .

(٤) أبو عمران عبدالله بن عامر اليمصيصي ت : ١١٨ هـ ، كان عالماً إماماً ثقة حافظاً متقناً ، كان إمام أهل الشام فى القراءة ، انظر ترجمته (غاية فى طبقات القراء) ط . القاهرة ١٩٣٢ م .

(٥) سورة يس : ٨٢ .

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١)

وإذا كان الجواب ممتنعاً فيما قرئ منصوباً ومرفوعاً ، سقط الاحتجاج بالآية ، وامتنع كون الكلمة سبباً ،

فأقول : الله الموفق :

إن هذه المباحثة عَرَبِيَّةٌ^(٢) ، وأهل العربية يُخرجون الأجوبة تارةً على (١٧٩) الألفاظ ، باعتبار معانيها ، وتارةً على صور الألفاظ المجردة عن معانيها ،

مثل ذلك قوله تعالى

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا »^(٣) .

وقع الجواب مُرتباً على صورة لفظ الاستفهام مجرداً عن معناه ،

معنى الكلام : أنهم ساروا فنظروا ، وذلك خبر محض ، ليس من الاستفهام في شيء .

فإن ظن أن^(٤) الفاء عاطفةٌ لصلاحيتها ، مع حذف النون للعطف والجواب ، فكيف تُجعل للجواب مع هذا الاحتمال ؟

مع دفع ذلك بما لا لبس في كونه جواباً ، وهو قوله جل من قائل : (٧٩ ب) .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾^(٥)

وإذا وضع ذلك رُدَّتْ مسألتنا إلى هذه القاعدة ، وكان الجواب جارياً على صيغة الأمر فقط ، من غير تعرض لمعناه .

قال (سيويه)^(٦) :

(١) سورة النحل : ٤٠ .

(٢) في ش : غربية ، وفي الأصل عربية وكذلك في ل .

(٣) سورة يوسف : ١٠٩ .

(٤) سقطت أن في : ش .

(٥) سورة الحج آية : ٤٦ .

(٦) اللغوى المعروف صاحب الكتاب في النحو واللغة

(شُبْهَةٌ تَرْتَبُ الْمَأْمُورُ عَلَى صِيغَةِ لَفْظِ الْأَمْرِ فِي الْعَرَفِ ، يَتَرْتَّبُ الْمَقْدُورُ عَلَى تَأْثِيرِ الْقُدْرَةِ فِيهِ ، إِذَا أَهْلُ الْعَرَفِ يَقْضُونَ عَلَى أَنْ مِنْ أَمْرِ شَخْصًا بِالْقِيَامِ ، فَأَوْجَدَهُ عِنْدَ أَمْرِهِ ،

أَنْ قِيَامَهُ مُسَبَّبٌ عَنْ صِيغَةِ الْأَمْرِ ، وَأَنْ لَفْظَ الْأَمْرِ سَبَبٌ لِقِيَامِهِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُسَبَّبٌ عَنِ الْإِرَادَةِ الَّتِي دَلَّتْ صِيغَةُ الْأَمْرِ عَلَيْهَا ،

يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ : أَنَّ السَّيِّدَ إِذَا أَمَرَ عَبْدَهُ أَنْ يَفْعَلَ فَعَلًا ، وَعَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ السَّيِّدَ لَا يَرِيدُ مِنْهُ فَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلَهُ الْعَبْدُ ، عُذُّ مَخَالَفًا لِلَّيِّدِ مَلُومًا مِنْ جِهَتِهِ ،

فَإِذَا لِلْمَأْمُورِ سَبَبَانِ :

أَحَدُهُمَا حَقِيقِي : وَهُوَ الْإِرَادَةُ ، وَهُوَ السَّبَبُ الْبَعِيدُ .

وَالثَّانِي : صِيغَةُ الْأَمْرِ فِي الْعَرَفِ ، الدَّالَّةُ عَلَى الْإِرَادَةِ .

فَتَعُودُ - حَيْثُذ - الْقَاعِدَةُ نَفْسُهَا فِي إِحَالَةِ الْحُكْمِ عَلَى السَّبَبِ الْقَرِيبِ ، فَقَدْ ثَبَتَ حَيْثُذُ - بِمَا ذَكَرْنَاهُ - أَنَّ أَهْلَ الْعَرَفِ ، يَعُدُّونَ (٨٠ أ) الْكَلِمَةَ الْمَأْمُورَ بِهَا سَبَبًا ، وَيَحِيلُونَ الْحُكْمَ عَلَيْهَا ، وَيَجْعَلُونَ مَا يَقَعُ بَعْدَهَا مُسَبَّبًا عَنْهَا ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَسْبَابٌ حَقِيقِيَّةٌ أَبْعَدُ مِنْهَا ، وَذَلِكَ عَيْنُ (١) مَا بَيْنَاهُ أَوَّلًا .

وَإِنَّمَا تَعْلُقُ مَوْرِدُ هَذَا الْإِشْكَالِ بِصِنَاعَةِ عَرَبِيَّةٍ ، وَقَدْ أَمَكُنْ رَدَ ذَلِكَ إِلَى قَوَاعِدِهَا ، فَحَيْثُذُ يَسْقُطُ الْإِشْكَالُ يَقِينًا ، وَيَسْقُطُ خِيَالُ مَنْ ظَنَّ أَنَّ قِرَاءَةَ (ابْنِ عَامِرٍ) فِيمَا تَتَمَحَّصُ الْفَاءُ فِيهِ جَوَابًا ، عَسِيرَةُ الرَّدِّ إِلَى [الْأَصُولِ] [الْعَرَبِيَّةِ] وَقَوَاعِدِهَا ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ،

سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢)

وَنَظَائِرُ ذَلِكَ مِمَّا انْفَرَدَ بِقِرَاءَتِهِ مَنْصُوبًا بِلِ الْقِرَاءَةِ مَحْجُوجُونَ مِنْ جِهَتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾ (٣)

(١) فِي الْأَصْلِ : غَيْرُ ، وَفِي شَرْحِ ، لُ : عَيْنُ ، وَهُوَ أَفْضَلُ .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١١٧ .

(٣) سُورَةُ الْحَجِّ : ٤٦ .

ولا وجه لإجماعهم على النصب ، وجعل الفاء جواباً إلا إحالة على وجود صيغة الاستفهام فقط ، من غير نظر إلى معناها كما تقدم .

وبهذا التقدير والإلزام لا يتَّجِهُ على (ابن عامر)^(١) إشكال البتة !!

فليتأمل الناظر حسن هذا الإعراب والإغراب ، مُعَظِّمًا هذه الشريعة المحمدية المؤيَّدة بأفصح الأنبياء لهجةً وأصدقهم حجةً ،

إذا نطقت جاءت بكل غريبة وإن سكنت جاءت بكل غريب !!

وليعجب من طائفة تتمسك بمثل هذا النص الواضح فهمه وتأويله !

هذا آخر ما أردنا ، ووعدنا به في بيان عدم دلالة النصوص^(٢) على إلهيته ، وعدم حملها على ما يُرَدُّه صريح العقل ، والجمع بين ما يعتقدون مباينته ، قاصدين بذلك وجه الله .

جعلنا الله ممن اهتدى بنور هدايته ، وعُصِمَ عن الخطأ في القول والعمل بتوفيقه وعنايته ، وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحابه .

نجز الكتاب بكماله (*)

(١) سبق ترجمته .

(٢) أى نصوص الإنجيل .

(٥) في ش : بكامله ، وفي ل : نجز رقم هذا الكتاب بكماله بعون الله وتوفيقه وعفوه وإرشاده ورحمته في (أوائل ربيع الثاني الذي هو من شهور سنة إحدى وستين وألف) ، فله الحمد على ما أولى ، فنعم ما أولى ، ونعم المولى ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

من أهم مراجع التحقيق والدراسة

الإسكندرانى : المهتدى إلى الإسلام (من اليهودية) سعيد بن حسن :

● مسالك النظر في نبوة سيد البشر ، نشرها S.A. Weston في JAOS الأمريكية سنة ١٩٠٣ م Vol 24, Port 2

أفتشيوس : البطريك سعيد بن البطريق :

● التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٥ م

الباجى ، على الشافعى :

● على التوراة ، نشرة د. أحمد السقا ، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٨٠ م .

الباجى : أبو الوليد سليمان بن خلف القاضى .

- جواب القاضى الباجى على رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله صاحب سرقسطة ، بتحقيق د. محمد عبدالله الشرقاوى ، مجلة المعهد العالى للدعوة الإسلامية ، العدد السادس ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م دار الصحوة ١٩٨٦ م
بارتولد :

● تاريخ الحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٢ م .

بوكاى : موريس : الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، ترجمة ونشر دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٨ م .

الترجمان ، عبد الله (سابقا : القس الكاثوليكي الأندلسى أنسلموتورميديا) .

- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، نشرة د. محمود حمادة ، مصر بدون تاريخ .

ابن تيمية : شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم :

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، مكتبة المدنى ومطبعها بمصر .
- درء تعارض العقل والنقل ، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

الجاحظ :

- اختار في الرد على النصارى ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، القاهرة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

الجوينى : أبوالمعالى .

- شفاء الغليل في الرد على من بدل التوراة والإنجيل ، نشرة الرئاسة العامة للبحوث العلمية بالرياض ١٤٠٣ هـ .

ابن حزم :

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، دار الندورة الجديدة بيروت .

الخزرجى : أبوعبدة :

- مقامع هامات الصليبان ومراتع روضات أهل الإيمان ، حققه ونشره الدكتور محمد شامة بعنوان : « بين المسيحية والإسلام » مكتبة وهبة بمصر ، ١٩٧٢ م .

الدميرى : عبدالعزيز :

- إرشاد الحيارى وردع من مارى فى اختلاف النصارى ، مطبعة التمدن بمصر ١٩٠٤ م ١٣٢٢ هـ

الرازي : الفخر :

- المحصول ، بتحقيق د. طه جابر العلواني ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض .

رحمت الله الهندي :

- إظهار الحق ، نشرة رئاسة الشئون الدينية بقطر وهي مصورة عن نشرة عمر الدسوقي ، ونشره أيضا محمد كمال فراج ١٩٧٨م بالقاهرة كما نشروا د. أحمد السقا بالقاهرة أيضا سنة ١٩٧٨ .

أبو زهرة ، الشيخ محمد :

- محاضرات في النصرانية ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة القاهرة .
السامرائي ، د. قاسم : النشاط الجدلي لعلماء المسلمين ضد اليهودية والنصرانية ، محاضرة ألقاها بالرياض ١٤٠٢ هـ
سباط القس بولس :

- مباحث دينية فلسفية للقدماء من علماء النصرانية نشرة ١٩٢٩م وهو مجموع يشتمل على الرسائل التالية :
● لأبي على عيسى بن اسحاق بن زرعة المنطقي من كبار علماء الملة اليعقوبية المتوفى سنة ١٠٠٧م

- التثليث ، - الاختلاف بين اليهود والنصارى ، - مواضع الاختلاف بين المسلمين والنصارى : التثليث ، والتشبيه ، ونبوءة محمد ﷺ .
- رسالة في أمر العقل وتمثيل الآب والابن والروح القدس بالعقل والعقل والمعقول .

● لإيليا مطران نصيبين النسطوري المتوفى سنة ١٠٤٩م .

- « رسالة في حدوث العالم ووحداية الخالق ، وتثليث أقانيمه » .

● لسمعان بن إكليل القبطى من كتبة القرن الثانى عشر الميلادى : « رسالة فى وحدانية البارى وتثليث أقانيمة .

- « رسالة فى شرح أعمال السيد المسيح وتقسيمها » ،

● لعبدالله بن الفضل الأنطاكى الملكى المتوفى سنة ١٠٥٢ م : « رسالة فى الرد على قضايا شتى » .

● لدانيال بن الخطّاب اليعقوبى من كتبة القرن الرابع عشر الميلادى : « رسالة فى وجود الخالق » .

● لأيشوعاب بن ملكون مطران نصيبين الدنيسرى المتوفى سنة ١٢٥٦ م : « رسالة فى البراهين على صحة الإنجيل »

- « رسالة فى الرد على من يتهم النصارى بعبادة الأصنام من حيث إنهم يسجدون للصليب ويكرمون الصور » .

- « رسالة فى القيامة العامة » .

● ليحيى بن عدى اليعقوبى المتوفى ٩٧٤ م : « رسالة فى صدق الإنجيل » ، « رسالة فى اختلاف الأناجيل ومعانيها » ، - « ورسالة فى تجسد المسيح من مريم العذراء ومن روح القدس » .

● لأبى الخير بن الطيب المتطّيب من كتبة اليعاقبة فى القرن الحادى عشر الميلادى : (رسالة فى رد وإدحاض مايفتتون على النصارى من الاعتقاد بثلاثة آلهة » .

● للفيلسوف حنين بن اسحاق الصيب النسطورى سنة ٨٧٣ م : « رسالة فى كيفية إدراك حقيقة الديانة »

● للفيلسوف أبى الفرج عبدالله بن الطيب النسطورى ت ١٠٤٣ م : « رسالة فى العلم والمعجز » .

السكندرى : برهان الدين بن عبدالقوى : أدلة الوجدانية فى الرد على الملّة النصرانية ، صورة مخطوط بجامعة الإمام رقم ٤٥٤

الشهرستاني :

- الملل والنحل ، مطبوع على هامش الفصل لابن حزم . طبعة دار الندوة الجديدة .

الطبري : على بن ربن المطبب :

- الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ، نشرة عادل نويهض بيروت ١٩٧٢ م .

بدوى : د. عبدالرحمن :

- مؤلفات الغزالي ، الطبعة الثانية ، الكويت .

د. عبدالستار فتح الله سعيد :

معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، القاهرة ، بدون تاريخ .

العامري : أبو الحسن :

الإعلام بمناقب الإسلام ، بتحقيق د. أحمد عبدالحamid غراب ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م
الهيئة المصرية العامة للكتاب .

عبدالوهاب : أحمد :

المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، نشر مكتبة وهبة بمصر ١٩٧٨ م .

عبدالجبار ، القاضي الأسدأبادي :

- تثبيت دلائل النبوة ، بتحقيق د. عبدالكريم العثمان بيروت دار العربية ، بدون تاريخ .

- المغني ، الجزء الخامس ، بتحقيق الأستاذ محمود الخضيرى ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .

الفيروز ابادى :

- القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

القرافى : أحمد بن إدريس الصنهاجى :

- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، ميكروفيلم رقم ٤٥٤ بجامعة الإمام
عن مخطوط الفاتح باستنبول .

القسرطى :

الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام واثبات نبوة سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام ، نشرة د. أحمد المسقا ، دار التراث العربى بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م .

ابن القيم :

- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، نشرة الجامعة الإسلامية بالمدينة
المنورة .

- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان ، نشرة حامد الفقى بالقاهرة ، وتصوير
مكتبة الرياض الحديثة .

المتطّب : نصر بن يحيى بن عيسى بن سعد :

النصيحة الإيمانية بفضح الملة النصرانية ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى
دار الصحوة ١٩٨٦ م .

المتنبى : أبو الطيب : الديوان ، دار صادر ، بيروت .

يحيى بن عدى يعقوبى :

رسالة فى الرد على رسالة الكندى الفيلسوف فى ابطال تثليث النصارى على
أصول المنطق نشرها فى باريس سنة ١٩٢٠ م :

Augustin Perier

- G. Carid, Saint Luke Penguin, 1963.
- Encyclopaedia Britanica, 1960.
- J.C. Fenton, Saint Matthew, 1963.
- Gram. The Gospels, Their origin and Their Growth, London, 1957.
- John Marsh, Saint John, Penguin, 1976.
- D.A. Nenham. Saint Mark, Penguin Books, 1963.





الصفحة

الموضوع

المهتدين

- ٦ شكر وتقدير
٧ مقدمة الطبعة الثانية
٩ مقدمة الطبعة الأولى

القسم الأول

مباحث موجزة

بين يدي كتاب « الرد الجميل »

- ١٣ الغزالي إمام مجتهد
١٤ صور من حياة الغزالي
٢ - أهمية البحث في مقارنة الأديان
١٧ (أ) القرآن الكريم ومقارنة الأديان
١٧ (ب) مقارنة الأديان في تراثنا الإسلامي
١٨ (ج) مقارنة الأديان والدعوة الإسلامية
٢٠ أهمية كتاب « الرد الجميل »
٢٣ ٤ - هل ألف الغزالي كتاب « الرد الجميل » ؟
٢٦ نبذة عن محتوى الكتاب
٣٣ ٥ - خطة تحقيق النص والتعريف بأصوله
٣٦

الأناجيل والرسائل

بين انقطاع السند وتناقض المتن

- ٤٧ ١ - توطئة
٤٨ ٢ - منهج الدراسة

٤٨	٣ - يوحنا
٥٦	٤ - بولس
٥٨	اسمه
٥٩	عداؤه للنصرانية
٥٩	تنصره
٦٠	بولس والتلاميذ
٦١	أهمية رسائل بولس
٦٢	نظرية بولس في الصلب والخلاص والفداء
٦٣	مركبون تلميذ بولس
٦٥	٥ - مرقس
٧٢	٦ - متى
٧٥	لغة هذا الإنجيل
٧٦	مضمون انجيل متى ومشكلاته
٧٩	٧ - بطرس
٨٢	٨ - لوقا
٨٦	مشكلات إنجيل لوقا

القسم الثاني

٩١	مقدمة المؤلف
١٠٠	أصلا ن علميان
١٠١	النص الأول
١٠٥	النص الثاني
١٠٧	النص الثالث
١١١	مباحث دقيقة في النص الثالث
١١٥	النص الرابع
١١٧	النص الخامس
١٣١	النص السادس
١٢٤	فائدة
١٢٥	اللاهوت والناسوت



١٣٦	ظهور الخوارق على يد عيسى عليه السلام
١٤٠	إطلاق لفظ الإله على عيسى عليه السلام
١٤١	إطلاق لفظ الرب على عيسى عليه السلام
١٤٣	الفداء
١٤٤	إطلاق الأبوة على الله والنبوة على عيسى
١٤٧	المعضلة الأولى : الكلمة
١٤٩	شبهتان
١٥٨	المعضلة الثانية
١٦١	الشبهة الثالثة
١٦٤	شبهة لفظية
٢٧٣	من أهم مراجع التحقيق والدراسة
١٨١	الفهرس

